الجمهورية العراقية
جامعة البصرة
كلية الآداب

الخليج العربي

دراسة في أحواله السياسية والاقتصادية
منذ منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي - حتى بداية
القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي

رسالة تقدم بها
جاسم ياسين محمد

الى مجلس كلية الآداب - جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي

باشراف
الاستاذ الدكتور منذر عبد الكريم البكر

رجب / ١٤١٣هـ كانون الثاني / ١٩٩٣م

أشهد بأن اعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في كلية الاداب جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي .

التوقيع :

الاسم : الدكتور منذر عبد الكريم البكر

التاريخ :

بناء على التوصيات المتوفرة ، ارشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم : الدكتور . فاروق صالح العمر

رئيس لجنة الدراسات العليا في التاريخ الاسلامي

التاريخ / /

ملاحظات توضيحية

١ ـ ذكرت اسم المؤلف ومصدره في الهوامش بصورة مختصرة على ما عرف به •

٢ ـ ثبت المصادر في الهوامش حسب سني وفاة مؤلفيها •

٣ ـ النص الذى هو بين القوسين دلالة على انه ماخوذ من المصدر دون تغيير •

٤ ـ استعملت المختصرات في هوامش الرسالة كالاتي :

أ ـ ن • م = نفس المصدر •

ب ـ Ibid = نفس المصدر بالانكليزية •

جـ ـ Op., Cit. = المصدر السابق بالانكليزية •

د ـ E.I. = دائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية •

هـ ـ عند الاشارة الى المصدر الذى له اجزاء متعددة فالرقم الذى امام الخط المائل يدل على الجزء والذى بعده يشير الى رقم الصفحة ، كما هو واضح في هذا المثل (٣/٨٥) •

المحتويـــــات

المقدمـــــة

- اهمية البحـث

- خطة البحـث

- عرض لاهم مصادر الرسالة

١- المصادر العامة

٢- المصادر المحلية

٣- الدراسات والبحوث الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل (وتلك الايام نداولها بين الناس) وصلى الله على محمد خاتم الانبياء والمرسلين وعلى اله الطاهرين وصحبه اجمعين .

تبحث هذه الرسالة في الجوانب السياسية والاقتصادية للخليج العربي (١) في الحقبة من منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي حتى النصف الاول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي . وقد تميزت الحياة السياسية في الخليج العربي خلال هذه الحقبة بضعف قبضة السلطة المركزية عليها مما ساعد على ظهور القوى المحلية التي كانت تعترف اسميا بسلطة الخلافة في بغداد ، الا ان اهم ما يميز هذه القوى هو انتماؤها الى قبائل عربية لها جذور تاريخية قديمة في المنطقة تمتد الى حقبة قبل الاسلام ، وهي كل من عبد القيس التي تمكنت من استعادة نشاطها السياسي والاقتصادي في منطقة البحرين بعد ان اطاحت بالقرامطة ، وقبائل الازد التي عملت على بعث مجدها القديم على الساحل الجنوبي للخليج العربي بقسميه الشرقي والغربي واحيت مراكز تجارية جديدة هناك .

وعلى الرغم من وجود الخلفيات التاريخية والاجتماعية التي توحد هذه القوى وتشجع على دراستها مجتمعة ، الا ان هناك بعض المعايير الاقتصادية والسياسية تدعوالباحث لاظهار خصوصيات الدور الذى لعبه كل جزء من هذه الاجزاء ، وذلك لان التطور الذى شهدته المنطقة في ظل الظروف المحلية والدولية انذاك اضطر الاسر الحاكمة في هذه المراكز الى ان تاخذ في حسبانها هذه المعايير في توجيه اهدافها السياسية والاقتصادية ، ولهذا جاءت دراستنا لهذه المراكز كلا على انفراد في ظل الاطار العام للخليج العربي .

ان الهدف من هذا البحث هو اظهار دور القوى العربية الحاكمة في الخليج

---

(١) نعني بالخليج العربي ذلك المثلث المائي الذى تمثل الابلة راسه الشمالي وكل من التيز على الساحل الشرقي وقلهات على الساحل الغربي نهاياته الجنوبية والذى يضم حاليا كل من الخليج العربي وخليج عمان ، وقد ركزت في هذه الدراسة على المناطق التي كانت مزدهرة خلال حقبة البحث كالبحرين وعمان والابلة وجزيرة قيس وهرمز .

العربي وقد رتبها على ملء الفراغ السياسي الذى خلفه ضعف الخلافة اولا وانحسار النفوذ السلجوقي بسبب نشاط هذه القوى منذ حقبة مبكرة ثانيا ثم اثبات دور المراكز التجارية التي اقامتها هذه الاسر في المحافظة على استمرارية النشاط التجارى للخليج العربي على الرغم من التغييرات المحلية والدولية التي تعرضت لها المنطقة في هذه الحقبة .

ولعل هذه العوامل وغيرها دفعتني للبحث في هذا الموضوع وقررت الخوض فيه على الرغم من ان هذه الفترة وصفت بانها من اشد الحقب غموضا في تاريخ الخليج العربي (١) وربما يرجع ذلك الى ندرة المصادر المباشرة عن الموضوع وتناثر معلوماتها بين الكتب التاريخية والجغرافية والادبية مما يتطلب جهدا كبيرا لالتقاط الاشارات الواردة هنا وهناك والتوفيق بينها للخروج بمادة تاريخية واضحة ، والحقيقة ان هذا الغموض خلق فجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي وشكل (نقطة ضعف كثيرا ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها) (٢) .

كما ان عددا من الكتاب العرب (٣) سلموا بما ردده بعض المستشرقين من ان الخليج العربي دخل في هذه الحقبة مرحلة من الركود والا ضمحلال ادت الى فقدانه الاهمية الاقتصادية خاصة وذلك بسبب نشاط طريق البحر الاحمر ولذلك

---

(١) انظر على سبيل المثال : احمد مصطفى ابو حاكمه، محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية (مصر ١٩٦٨) ص٤ . سليمان الدخيل ، تحفة الالباء في تاريخ الاحساء ، مجلة العرب ، ج ٥ ــ ٦ سنة ١٩٧٥ م ص ٤٧١ . الدكتور فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى (ط٢ بغداد ١٩٨٥ م) ص ٢١١ ــ ٢١٢ .

(٢) الدكتور عبد اللطيف الحميدان ، امارة العصفوريين مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد (٥١) السنة (١٣) ص٧٠ .

(٣) انظر مثلا : عطية القوصي ، سيراف وقيس وعدن ، المجلة المصرية التاريخية ، مجلد (٢٣) سنة (١٩٧٦ م) ص٦١ . حسنين محمد ربيع ، وثائق الجنيزة ، مصادر تاريخ العربية ، الجزء الثاني (الرياض ١٩٧٩ م) ص ١٣٥ . صادق حسن عبد واني ، الدولة العمانية نشاتها وتطورها ، ندوة الدراسات العمانية (سلطنة عمان ١٩٨٠ م) ٢ / ١٢ .
D.Abdul Jabbar Naji, Basrah (295-447/907-1055) unpublished thesis, London, 1970, pp.240-241

فان تاريخ هذه الحقبة ما هو الا امتداد لاسس مقررة (١)، وهذا في تقديرنا هو احد عوامل العزوف عن دراستها والمرور عليها بصورة عابرة وسريعة .

ولما كان موضوع البحث يعالج الاحوال السياسية والاقتصادية للخليج العربي في الحقبة الانفة الذكر ، فقد تطلبت مادته تقسيمه الى بابين رئيسيين مع مقدمة عامة ، وقد تضمنت المقدمة التي نحن الان بصددها تعريفا باهمية البحث ومبررات اختياره والخطة العامة له مع استعراض تحليلي لاهم المصادر التي استعنت بها في انجازه .

وقد افردت الباب الاول لدراسة الاحوال السياسية للخليج العربي في هذه الحقبة ، وبدأته بتمهيد استعرضت فيه بشكل موجز اهم التطورات السياسية التي مرت بها المنطقة منذ قيام الدولة العربية الاسلامية حتى القرن الخامس الهجري وذلك لربط موضوع البحث بالحقبة السابقة له ، ولان بعض مشكلات هذه الحقبة تمتد جذورها في الحقبة السابقة لها مما تطلب بعض الايضاح . وفي هذا الباب ركزت على دراسة الاحوال السياسية لكل من البحرين وعمان فيما ارجأت الحديث عن كل من جزيرة قيس وهرمز على الساحل الشرقي للخليج العربي الى الباب الاقتصادي وذلك لان الحكام العرب في هذه المراكز يستندون في حكمهم على قوتهم الاقتصادية باعتبارهم كبار التجار .

ولذلك قسم هذا الباب الى قسمين رئيسيين افردت الاول منهما الى دراسة التطورات السياسية التي مرت بها البحرين في هذه الحقبة ، ونظرا لبعض الغموض الذي يكتنف تاريخ البحرين في الحقبة التي سبقت قيام الامارة العيونية وسقوط القرامطة لذلك تناولتها بشيء من التفصيل لصلتها المباشرة بقيام الامارة العيونية ،

---

(١) راجع مثلا : حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي (القاهرة ١٩٥٨م) ص٣٦ . لاندن ، عمان (سلطنة عمان ١٩٧٠م) ص ٢١ . جوايتاين ، دراسات في التاريخ الاسلامي (ط١ الكويت ١٩٨٠م) ص٢٧٠ .

J.C.Wilkinson. The Imamate Tradition of Oman, Cambridge University Press, 1987, p.43

وقد تكلمت فيها عن نشاط الاصفر المنتفقي واختلاف المؤرخين في ذلك ، ثم المنافسة الدولية للاستحواذ على منطقة البحرين بين كل من الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية ، وثورة القبائل العربية في البحرين على القرامطة •

وعند الحديث عن الامارة العيونية قسمت فترة حكمها التي امتدت من عام (٤٦٧ - ٦٣٦هـ/ ١٠٧٤ - ١٢٤٨م) الى اربع مراحل ، الاولى مرحلة التاسيس وامتازت بالقوة والازدهار وبدأت بعبد الله بن علي وانتهت بحفيده ابي سنان محمد ابن الفضل ثم مرت الامارة بمرحلة من الضعف والانقسام بسبب تنافس الامراء العيونيين على السلطة التي امتدت الى نهاية القرن السادس الهجري ، بعدها دخلت الامارة مرحلة جديدة عند تولي اميرها محمد بن ابي الحسين امتازت بالوحدة والتوسع ، الا ان وفاته جعلت الامارة تدخل مرحلتها الاخيرة بسبب الانقسام بين الامراء العيونيين ايضا بعد محمد بن ابي الحسين اذ شهدت الامارة نهايتها ، وقد استعرضت اهم الاسباب التي ادت الى سقوطها •

وفي المبحث الثاني من الباب الاول تناولت التطورات السياسية التي مرت بها عمان خلال حقبة البحث ، وقد دار الحديث هنا حول محورين ، الاول ، النشاط الاباضي في عمان والثاني محاولات التدخل الاجنبي فيها • وعند الكلام عن الاباضية استعرضت اهم التطورات التي مرت بها الحركة انذاك وكان اهمها انقسام الامامة على نفسها وظهور التاثيرات القبلية عليها مما ادى الى انهيار نفوذها السياسي في عمان على ايدي النبهانية اذ لم تقم لها بعد قائمة حتى القرن التاسع الهجري ، كما بينت ان هذه الحقبة على الرغم من شهودها تفكك الامامة الاباضية وانهيارها الا انها تميزت بنشاط فكري ملحوظ ، اذ برز خلالها اشهر علماء الاباضية الذين تركوا اثارا واضحة على العقيدة والفكر الاباضي حتى العصر الحديث •

كما استعرضت محاولات التدخل الاجنبي في عمان المتمثل بالغزو السلجوقي لها واوضحت ان محاولات السلاجقة هذه لم تحقق نجاحا ملحوظا الا في المناطق الساحلية ولفترة ليست بالطويلة اذ شهد النفوذ السلجوقي نهايته في عمان قبل منتصف القرن السادس الهجري واستعادت القبائل العربية نفوذها على الساحل •

وخصصت الباب الثاني من هذه الرسالة لدراسة الاحوال الاقتصادية للخليج العربي في هذه الحقبة ، وابتدأته باستعراض موجز لاهم التطورات الاقتصادية التي شهدتها منطقة الخليج العربي خلال القرون الهجرية الاربعة الاولى ، وقد تطلبت مادة هذا الباب تقسيمه الى اربعة مباحث ، استعرضت في الاول منها التغييرات الاقتصادية التي شهدتها منطقة الخليج العربي ، وقد جاء هذا المبحث عاما شاملا ، فلفهم طبيعة التغييرات الاقتصادية التي طرأت على المنطقة لابد من تتبع جذور هذا التغيير وخلفياته التاريخية في الحقب السابقة ، ولذلك استعرضت بايجاز التغييرات التي مرت بها المنطقة في الفترة السابقة للاسلام واثر المنافسة الدولية انذاك على التجارة العربية في الخليج العربي والبحر الاحمر، وتتبعت ذلك في قرون الاسلام الاولى ثم ركزت على تبيان اهم الظروف المحلية والدولية التي ساهمت في احداث تغييرات اقتصادية في المنطقة واثر هذه التغييرات على اقتصادها ٠

وفي المبحث الثاني من هذا الباب تناولت المراكز التجارية التي نشطت في الخليج العربي في هذه الحقبة وهي الابلة والبحرين وجزيرة قيس وهرمز وقلهات ، بعد افول نجم كل من البصرة وسيراف وصحار ، وعند الكلام عن هذه المراكز تحدثت عن الاصول الاولى للاسر العربية الحاكمة فيها وخصوصا جزيرة قيس وهرمز التي كونت امارات عربية كان الاساس الاول في تألقها في هذه الحقبة هو حدوث تلك التغييرات المارة الذكر ٠

اما المبحث الثالث فقد ضم شرحا لاهم الطرق التجارية التي تربط منطقة الخليج العربي بمراكز التجارة العالمية الاخرى ، وقد تحدثت فيه اولا عن اهم الطرق البحرية التي تصل بين الخليج العربي وكل من الهند والصين ثم شرق افريقيا وتناولت فيه ايضا بايجاز اهم السلع الواردة والصادرة من والى الخليج العربي وتلك المناطق ٠ كما بينت اهم الطرق البرية التي تربط منطقة الخليج العربي بالاقاليم المجاورة مبينا اثر تلك التغييرات على مسار هذه الطرق ٠

وفي المبحث الرابع ركزت على الموارد الاقتصادية الاخرى للخليج العربي كالثروة المعدنية التي تحفل بها مياه الخليج العربي وسواحله واثر ذلك في قيام بعض

الصناعات التي كانت رافدا مهما لاستمرارية الحركة التجارية فيه ، كما تطرقت الى وضع الزراعة في المراكز الانفة الذكر واثرها في رفد اقتصادها وحركتها التجارية ، ورايت ان اختتم هذا المبحث في الكلام عن الضرائب التي وردت في مصادرنا عن الخليج العربي في هذه الحقبة واجريت بعض المقارنات التي اوضحت استمرارية نشاط الحركة التجارية فيه • واخيرا اختتمت الرسالة بملخص لاهم النتائج التي توصلت اليها خلال هذه الدراسة •

المصادر

لم يكن الهيكل العام للرسالة يعتمد على مصدر دون اخر فقد ضمت قائمة المصادر التي ذيلت بها العشرات من الكتب التي اسهمت جميعها في بناء الموضوع ، ولكن نسبة هذا الاسهام تختلف من مصدر لاخر بقدر اهتمام مؤلفه باحداث المنطقة وتاثره بها ، كما ان اهمية المعلومات لدينا تزداد كلما اقترب عصر المؤلف من تاريخ وقوع الحدث ، ولهذا ارتاينا تقسيم المصادر التي اعتمدناها الى ثلاثة اقسام ، مصادر عامة واخرى محلية ثم الدراسات والبحوث الحديثة •

١ـ المصادر العامة

أ ـ كتب التاريخ العام: تاتي كتب التاريخ العام في مقدمة المصادر التي زودتنا ببعض المعلومات عن حالة الخليج العربي السياسية والاقتصادية في هذه الحقبة ، ولكن مما يؤسف له ان هذه المعلومات اقتصرت فقط على الامور المتعلقة بالخلافة ، اما الاحداث الاخرى عن تاريخ الخليج العربي فقلما نجد لها صدى فيها • ويأتي كتاب ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والامم (١) في مقدمة هذه المصادر من حيث معاصرته لجزء من فترة البحث ، الا انه لم يذكر لنا شيئا مهما عن حالة الخليج العربي السياسية ولكن اهمية ملاحظاته على قلتها جاءت في الجانب الاقتصادي فهو يهتم كثيرا باخبار التجار والسلع التي ينقلونها عبر الخليج العربي الى العراق وما يحملونه من طرف وهدايا الى الخلفاء كما يترجم لعدد منهم ، ولعل اهتمامه بهذا

---

(١) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط١ ، حيدر اباد الدكن ١٣٥٨هـ •

الجانب يأتي من كونه ينتمي الى اسرة تعمل بالتجارة على الرغم من انه كان فقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً (١) ثم يأتي كتاب الكامل في التاريخ لمؤرخنا الكبير ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، ومعلومات ابن الاثير عن الخليج العربي في هذه الحقبة على الرغم من قلتها الا انها مهمة جداً، فهو اول من اشار الى التوسع الكبير لحكام جزيرة قيس في الخليج العربي عندما تحدث عن هجومهم على البصرة عام (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) (٢)، كما زودنا بمعلومات مهمة عن نشاط قبائل بني عامر بين البصرة والبحرين وغاراتهم على البصرة وهذا ما يعكس طبيعة العلاقة بين العيونيين حكام البحرين والخلافة على الرغم من انه لم يشر الى العيونيين بالاسم، كما ان معلوماته عن هرمز ونشاطها البحري في بداية القرن السابع الهجري (٣) تعد غاية في الاهمية بالنسبة للبحث لانه كان معاصراً لها .

كما ترك لنا ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م) في كتابه الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (٤) وكتابه اخبار الخلفاء (٥) بعض المعلومات المهمة عن علاقة الخلافة بامراء المراكز التجارية في الخليج العربي وكذلك عن نشاطها التجاري .

واحتلت اراء ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) (٦) في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر حول نهاية القرامطة ونشاط بني الاصفر في البحرين اهمية خاصة بالنسبة للبحث، اذ تمت مناقشة هذه الاراء ومقارنتها بما ورد عند المؤرخين الاخرين مما جعلنا نخرج بنتائج مهمة عن الموضوع .

---

(١) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس (بيروت ١٩٧٣م) ص ١٤٠-١٤٢ .

(٢) ابن الاثير ابو الحسن علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٦٦م) ١٠/ ٣٤٠ .

(٣) ن.م، ١٢/ ٣٠٣-٣٠٤ .

(٤) ابن الساعي، علي بن انجب، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، عني بشرحه، مصطفى جواد (بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) .

(٥) ابن الساعي مختصر اخبار الخلفاء، (ط١ مصر ١٣١٠هـ) .

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن علي، العبر وديوان المبتدأ والخبر (ط٣ بيروت ١٩٦٧م) .

ب ـ كتب الجغرافية والرحلات : وكان لكتب الجغرافية والرحلات اهمية خاصة في هذا البحث فهي فضلا عن المعلومات الجغرافية التي قدمتها عن اسماء المدن الوارد فيه والتعريف بها ، فقد تم من خلالها التعرف على الكثير من احوال الخليج العربي الاقتصادية كالتجارة والزراعة والثروة المعدنية ، كما اعطت لنا مؤشرا مهما عن احوال المدن والتغييرات التي طرات عليها والمراكز الجديدة التي نمت خلال تلك الحقبة .

ويأتي الجغرافي العربي المقدسي البشاري (ت ٣٨٧هـ/ ٩٨٥م) في مقدمة الجغرافيين العرب الذين اعطوا لنا مؤشرا عن بوادر التغييرات التي اجتاحت المنطقة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، والمقدسي هو جغرافي ورحالة جال في منطقة الخليج العربي وغيرها من بلاد الاسلام وكتب مشاهداته تلك بنفسه (١)، وهكذا كانت ملاحظاته عن البصرة وسيراف والمرفأ المقابل لجزيرة قيس دقيقة جدا اذ اشار الى ان المدينتين الاوليتين بدأتا بالانحدار في ايامه فيما اخذت تعمر المنطقة المقابلة لجزيرة قيس (٢)، ولهذا كانت ملاحظاته اللبنة الاولى التي اعتمدناها في تتبع التغييرات التي حدثت في المنطقة خلال القرن الخامس الهجري .

كما كان لملاحظات الرحالة ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) (٣) اهمية خاصة بالنسبة لهذا البحث ، فقد اخترق هذا الرحالة قلب الجزيرة العربية باتجاه البحرين ومكث فيها عدة اشهر ثم زار مدينة البصرة والسواحل الشمالية الشرقية من الخليج العربي ، وقد اعطى لنا صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمناطق التي زارها واشار الى الطرق التي تربط مناطق الخليج العربي آنذاك ذاكرا اهم المراكز الجديدة في ايامه .

وفي القرن السادس الهجري ظهر لنا عدد من الجغرافيين والرحالة الذين تركوا ملاحظات مهمة عن احوال الخليج العربي ، نذكر منهم رحالة مجهولا

---

(١) المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ط٢ ليدن ١٩٠٦م) ص١٠ .

(٢) ن . م ص ١١٨، ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٣) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، (بيروت ١٩٧٠م) .

نسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، وفي اثناء نسخه للكتاب كان يعلق على ما ذكره ابن حوقل بملاحظات غاية في الاهمية عن احوال المدن التي ذكرها ابن حوقل في القرن الرابع الهجرى ومر هو عليها اثناء تجواله في المنطقة في النصف الاول من القرن السادس الهجرى ، فقد زار البصرة في عام (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) وسافر منها بحرا سالكا الساحل الشرقي للخليج العربي (١) ، وكانت ملاحظاته على قلتها مهمة جدا لانه كما يبدو كان تاجرا وله اتصال وثيق بحكام المناطق التي زارها في الخليج العربي (٢) .

ومن جغرافيي القرن السادس الهجرى الشريف الادريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) ، وعلى الرغم من ان الادريسي لم يزر المنطقة الا ان معظم معلوماته استقاها من التجار والمسافرين ، وهكذا كان كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق موسوعة جغرافية مهمة عن حالة العالم الاسلامي حتى القرن السادس الهجرى (٣) ، وقد افادنا منه كثيرا عند حديثه عن السواحل الغربية للخليج العربي اذ اعطى تفصيلات مهمة عن هذه المناطق وخصوصا البحرين وعمان جعلتنا نرسم صورة واضحة عن المراكز والحركة التجارية فيها ، كما ذكر الادريسي الطريق التجاري البحرى الذى يربط منطقة الخليج العربي بكل من الهند وساحل افريقيا الشرقي واعطى معلومات مهمة عن احوال تلك المراكز وعلاقتها بالخليج العربي .

كما زار الرحالة بنيامين التطيلي منطقة الخليج العربي في منتصف القرن السادس الهجرى واشاد بالحركة التجارية لكل من جزيرة قيس والبحرين (٤) ورسم صورة عن خطوط التجارة التي كانت تربط هذه المراكز بالهند .

---

(١) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل (بيروت ١٩٧٦م) ص٦٣ .

(٢) ن . م ، ص ٣٢ .

(٣) الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، وقد خرجت عدة طبعات لهذا الكتاب مجزأة على الاقاليم التي ذكرها ، منها : وصف الهند وما جاورها ، باعتناء مقبول احمد (الهند ١٩٥٤م) . كما نشر المجمع العلمي العراقي القسم الخاص بجزيرة العرب من نزهة المشتاق ، تحقيق ابراهيم شوكة عام ١٩٧١م ، والقسم الخاص بالجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في عام ١٩٧٣م . واخيرا نشرت اجزاء اخرى منه في روما عام ١٩٨٠م .

(٤) بنيامين بن يونة التطيلي ، الرحلة ، ترجمة عزرا حداد ، (بغداد ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م) .

وفي مطلع القرن السابع الهجري يبرز لنا اثنان من اشهر الجغرافيين العرب الذين كانوا على اطلاع واسع باحوال منطقة الخليج وتركوا لنا معلومات مهمة عنها في تلك الحقبة ، وكان اولهما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذي اشتغل في بداية حياته في التجارة واخذ يتردد على عمان وجزيرة قيس في الخليج العربي كما رحل الى خراسان والشام ثم انتهى به المطاف الى الاشتغال في تجارة الكتب ونسخها[(١)] ، وقد افاد ياقوت من رحلاته كثيرا وخاصة في انتاج معجمه الجغرافي الضخم المعروف بمعجم البلدان الذي ضمنه استعراضا جغرافيا وتاريخيا مركزا لمعظم الاماكن المنتشرة في العالم الاسلامي انذاك ، وكان لمعلوماته عن الخليج العربي اهمية خاصة اذ انه سافر الى المنطقة وتجول في ربوعها فكانت ملاحظاته انعكاسا لمشاهداته هناك فنراه كثيرا ما يقرن ذكره لمراكز المنطقة بقوله (رايتها او مررت بها)[(٢)] ولهذا اعتمدنا على معلوماته لرسم جانب مهم عن الحياة الاقتصادية والسياسية للخليج العربي في ايامه .

اما ابن المجاور فيبدو انه كان معاصرا لياقوت وانه كان حيا في اواخر سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، اذ ان هذا التاريخ هو اقصى ما ذكره ابن المجاور عن مشاهداته في الجزيرة العربية[(٣)] ، كما ان اغلب الملاحظات التي وردت عن مشاهداته في بلاد العرب والمناطق المجاورة لها كانت محصورة بين نهاية القرن السادس الهجري وعام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، ولهذا يعتقد انه من مواليد النصف الثاني من القرن السادس الهجري وان وفاته كانت بعد سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م بقليل وان ما ورد عن وفاته من انها كانت سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م كان خطأ[(٤)] ، كما يعتقد ايضا ان اسمه

---

(١) ابن خلكان ، المرجع السابق ، ٦/ ١٢٧-١٣٩ .
(٢) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، معجم البلدان (طهران ١٩٦٥م) ٢/ ٩ ، ٣/ ١١ ، ٤/ ٢١ ، ٣٣٣ .
(٣) ابن المجاور ، ابن محمد بن مسعود ، صفة بلاد اليمن ، اعتنى بتصحيحه اوسكر لوفغرين (ليدن ١٩٥٦) ص ٧٦ .
(٤) بشير ابراهيم بشير ، ابن المجاور دراسة تقويمية لكتابه تاريخ المستبصر ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية (الرياض ١٩٧٩م) ٢/ ٤١ وما بعدها .

الذى ورد تحت عنوان كتابه بانه جمال الدين ابي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني الدمشقي كان خطا ايضا اذ ذكر هو نفسه اسم والده محمد بن مسعود بن علي ابن احمد بن المجاور وذكر اسم اخيه بانه احمد بن محمد بن مسعود (١) ، وعلى الرغم من ان الجزء الاكبر من كتاب ابن المجاور قد ركز فيه على وصف بلاد اليمن الا انه افرد عناوين عن كل من عمان وجزيرة قيس ، وكانت خطته في الكتابة تقضي بذكر الاصول الاولى لنشأة هذه المراكز ثم التطورات المهمة التي طرأت عليها حتى ايامه ، لذا جاءت بعض ملاحظاته تحمل جانبا من القصص الاسطوري ، الا ان اغلب معلوماته عن هذه المراكز في ايامه جاءت عن مشاهداته وخبراته التي اكتسبها من جولاته بين بلاد العرب والهند وشرق افريقيا ، وقد اهتم ابن المجاور بذكر تفاصيل مهمة عن الجانب الاقتصادى والحياة الاجتماعية افدنا منها كثيرا عند الحديث عن جزيرة قيس ومدينة قلهات .

وفي منتصف القرن السابع الهجرى يظهر جغرافي ورحالة عربي اخر وهو ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الاندلسي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) في كتابه الجغرافيا ، وعلى الرغم من ان رحلات ابن سعيد اقتصرت على زيارة الحجاز والعراق والشام وارمينية ، الا ان ما ذكره عن البحرين كان من خلال التقائه باهلها في موسم الحج (٢) ، كما ان لمعلوماته عن مدن جنوب الجزيرة العربية وقلهات اهمية خاصة ، اذ اعطى موشرا واضحا عن ازدهار هذه المراكز ونشاط الطريق التجارى بينها وبين كل من جنوب شرق اسيا وشرق افريقيا وكان لمعلوماته عن الشرق الافريقي وعلاقته بمراكز التجارة في الخليج العربي قيمة خاصة اذ اعطى تفصيلات مهمة لم ترد عند غيره من الجغرافيين العرب ، ولهذا اعتمدنا عليها عند وصف الطريق التجارى الذى يربط الخليج العربي بالشرق الافريقي ، ولما كان ابن سعيد

---

(١) الدكتور محمد كريم ابراهيم ، عدن دراسة في احوالها السياسية والاقتصادية (مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ١٩٨٥م) ص٣٦ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ، ١٦٦/٤ .

لم يزر هذه المناطق فقد اعتمد في كتابه على رحالة عربي اخر مجهول الهوية يدعى ابن فاطمة الذى ذكره ابن سعيد في اكثر من موضع عند الكلام عن الشرق الافريقي (١) .

ومن المصادر العامة التي رفدت البحث بملاحظات مهمة كتاب خريدة القصر وجريدة العصر لمؤلفه عماد الدين الاصبهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، فقد افرد هذا المؤلف بابا خاصا لشعراء القطيف والاحساء واورد ترجمتين لشاعرين من القطيف ينتسبون الى قبائل عبد القيس ومن ابناء البيت الحاكم فيها في القرن السادس الهجرى واشار خلال كلامه عنهم الى اسماء اثنين من امراء الامارة العيونية انذاك وسلسلة نسبهم ، وهذه الاشارة هي الاولى من نوعها ترد في المصادر غير المتخصصة بتاريخ الامارة العيونية (٢) .

٢ــ المصادر المحلية

وهي المصادر التي اقتصرت دراستها على منطقة محددة او اسرة معينة او مدينة معينة ، وهذا النوع من المصادر ظهر عندما حدث فتور في الاهتمام بالتواريخ العامة وظهور الكيانات شبه المستقلة عن الخلافة ، وهي تعكس شعور سكان هذه المدن والاقاليم بوضوح اسهاماتهم الذاتية في البناء الحضارى ضمن التراث العربي الاسلامي المشترك (٣) .

وقد ظهر في منطقة الخليج العربي عدد من هذا النوع من المصادر ذات الصفة المحلية الخاصة ، ونحن هنا نذكر منها ما يتعلق بهذه الدراسة .

فمن المصادر التي اهتمت بذكر اخبار البحرين في هذه الحقبة ديوان ابن المقرب العيوني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، ويمكن القول ان هذا الديوان بما تضمنه من مقدمات وشروح لبعض قصائده ، يكاد يكون المصدر الوحيد الذى حفظ لنا تاريخ الاسرة العيونية (٤) ، في وقت صمتت فيه اغلب المصادر عن ذكرها وركزت في اخبارها

---

(١) ابن سعيد ، الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، (ط١ بيروت ١٩٧٠م) ص ٨٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٧ ، الخ .

(٢) الاصبهاني ، عماد الدين الكاتب ، تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجت الاثرى (بغداد ١٩٨٠م) ص ٨٥١ وما بعدها .

(٣) شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخون (ط١ بيروت ١٩٧٨م) ص٣٥٥ ، ٣٥٩ .

(٤) شوقي ضيف ، تاريخ الادب العربي (القاهرة ١٩٨٠م) ٥/١٢٢ . الخضيرى ، علي عبد العزيز ، علي بن المقرب العيوني حياته وشعره (ط١ بيروت ١٩٨١م) ص٣٢٣ ، ٣٣٩ . احمد الخطيب ، العناصر التراثية في شعر ابن المقرب ، مجلة الرشيقة عدد (١٦) ١٩٩٠ ص ١١٦ .

على الحواضر الاسلامية الكبرى في العراق والشام ومصر ، وهذه ظاهرة تلفت النظر في تاريخ البحرين فما ان ضعف التاثير السياسي للقرامطة وانحصر في منطقة البحرين في نهاية القرن الرابع الهجرى لم نعد نسمع لهذه المنطقة ذكر في المصادر ، وحتى خبر نهاية القرامطة ايضا ، وهي الحركة التي لعبت دورا كبيرا على مسرح السياسة الدولية انذاك لفترة تربو على القرن والنصف تكاد تنتهي نهاية غامضة ، على الرغم من ان هذه الحقبة عاصرها واعقبها ايضا ظهور مؤرخين كبار كالصابي (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) ، وابن الجوزى (ت٥٦٧هـ/ ١٢٠٠م) وابن الاثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، الذين غطوا في تواريخهم احداث مناطق واسعة من العالم الاسلامي ، ولولا ان ناصر خسرو يزور المنطقة قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى ويخبرنا عن وجود نفوذهم السياسي في البحرين لكانت الشكوك حول نهايتهم اعظم .

ثم يأتي الشاعر المؤرخ ابن المقرب العيوني فيسجل لنا تاريخ اسرته شعرا ، وقد حكمت البحرين لفترة تقارب (١٧٠) عاما وهي التي وضعت حدا للنفوذ القرمطي في البحرين (١) وعلى الرغم من غلبة الطابع التاريخي على شعر ابن المقرب الا ان الشروح التي تضمنها الديوان كانت غاية في الاهمية عن تاريخ الامارة العيونية ، وهذه الشروح ورد قسم منها في مقدمة الديوان والقسم الاخر في حواشي القصائد وهي عبارة عن توضيحات لابيات القصائد او المناسبات التي قيلت فيها وتعريف بالشخصيات التي وردت فيها ، اما عن تاريخ كتابة هذه الشروح فقد كان يُظن ان كاتبها ناصر بن حمد بن لاحق سنة (١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م) الشيخ صالح العقيقي من علماء نجد انذاك (٢) ، ولكن التفصيلات الدقيقة التي تضمنتها الشروح تجعلنا نشك في نسبة كتابتها الى هذا العصر المتاخر .

ويبدو لنا ان كتابة هذه الشروح كانت بعد وفاة ابن المقرب بقليل ، وربما

---

(١) الخضيرى ، المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .
(٢) الاحسائي ، محمد بن عبد الله ، تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، القسم الاول (ط١ الرياض ١٩٦٠م) ص ٢٥٦ .

في وقت كتابة ديوانه ، فمثلا يذكر شارح الديوان ان الذي نقل له حكاية يوم صفوى وهي المعركة التي حدثت بين الامير محمد بن ابي الحسين وابن عمه الامير الحسن بن شكر في نهاية القرن السادس الهجري هما اثنان شهدا ذلك اليوم (١) ، كما يذكر ايضا انه عرف حكاية ولع الامير ماجد بن محمد باهل البادية وتقريبه لهم (٢) من اناس شاهدوا الامير وسمعوا منه ذلك (٣) ، وهذا يعني انه يسجل الاحداث عن شهود عيان لها ؛

ويبدو ان جمع ديوان ابن المقرب كان بعد وفاته بقليل وذلك بدليل قول ابن الفوطي (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) اثناء ترجمته له بأن (له ديوان موجود) (٤) ، والذي يترجح عندنا ان جامع الديوان هو نفسه كاتب تلك الشروح ، فالتفصيلات الدقيقة التي وردت في مقدمة الديوان توحي بان كاتبها قد ادرك من شاهد الشاعر (٥) نفسه ، اضافة الى ما تقدم ذكره من ان شارح الديوان قد نقل معلوماته عن اشخاص شاهدوا الاحداث التي عاشها ابن المقرب ومن هنا تأتي اهمية ديوان ابن المقرب وشروحه باعتبارها شاهد العصر على نهاية الامارة العيونية .

كما اورد الاحسائي ضمن ملحقاته تاريخا مخطوطا عن تسلسل الولاة العيونيين لمؤلف مجهول ويذكر ان هذا المؤلف رحالة تردد بين الخليج العربي والهند وكان حيا عام (٨٦٧٨هـ/٥٧٠م) (٦) وقد عدد لنا هذا المؤلف الامراء العيونيين ابتداء بعبد الله بن علي وذكر تعليقات بسيطة عنهم ، منها عدد سنوات الحكم لبعضهم وبعض الاحداث المهمة التي وقعت في عهد قسم منهم ، وقد ركز صاحب المخطوطة التيمورية هذا على الامراء العيونيين الذين حكموا في القطيف وجزيرة أوال

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٨ .
(٢) حكم الاحساء في عشرينات القرن السابع الهجري حتى نهايتها ، انظر ص ٨٨ من البحث .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٧١ .
(٤) ديوان ابن المقرب ، تحقيق عبد الفتاح الحلو (ط١ مصر ١٩٦٣م) ، المقدمة ص ٩ ، نقلا عن تلخيص مجمع الاداب لابن الفوطي .
(٥) انظر ديوان ابن المقرب ، ص ٨ـ١٠ .
(٦) هذا التاريخ مخطوط في دار الكتب المصرية المكتبة التيمورية برقم (٦٣٧ تاريخ) ، الاحسائي ، المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .

دون التطرق الى الامراء الذين حكموا الاحساء ، كما انه عندما يذكر الامراء العيونيين لم يضف على اسمائهم كلمات الجلالة والتعظيم (١) على عكس شارح ديوان ابن المقرب، وهذا يدعو الى الاعتقاد ان هذا الشخص هو غير شارح ديوان ابن المقرب ، ويضف حديث هذا المؤلف عن الامير محمد بن محمد (ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) اخر الامراء العيونيين في جزيرة اوال يضفي كلمات الجلالة والتعظيم على ابي بكر السلغري (٢) حاكم اتابكية فارس السلغرية الذى هاجم البحرين في هذه الحقبة ، كما يذكر هذا المؤلف ايضا انه كان احد موظفي السلطان ابي بكر السلغرى الذين عملوا في جزيرة اوال (٣)، وعلى هذا فان الذى كتب تاريخ الولاة العيونيين كان ايضا معاصرا لنهاية الامارة العيونية وانه كان حيا في (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)، اما المؤلف المجهول للمخطوط الموجود في المكتبة التيمورية الذى كان رحالة من رجال القرن العاشر الهجرى ، فيبدو انه قد نسخ بدون تحريف ما كتبه احد موظفي السلطان ابي بكر السلغرى عن حكام الامارة العيونية وبذلك حفظ لنا جزءا مهما من تاريخ هذه الامارة .

وفي عمان ظهرت عدد من المصادر التي اهتمت بكتابة تاريخها المحلي (٤) ، الا ان هذه المصادر على الرغم من تعددها فان اهميتها تبدو محدودة بالنسبة لحقبة البحث ، فالعوتبي صاحب كتاب الانساب الذى كان حيا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى لم يذكر لنا شيئا عن احداث عمان في ايامه واهمية كتابه تنحصر لمن يريد ان يكتب عن تاريخ عمان منذ الفترة الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (٥)، والازكوى صاحب كتاب كشف الغمة الجامع لاخبار الامة (كان حيا في عام

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠ــ ٢٥٤ .

(٢) ابو بكر السلغرى : احد اتابكية فارس السلغرية التي حكمت من عام ٥٤٣هـ حتى عام ٦٨٦هـ وابو بكر من اشهر حكامها الذى اخضع عدد من جزر الخليج العربي لنفوذه في الربع الاول من القرن السابع الهجرى ، انظر التفصيلات : حافظ احمد حمدى الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي (مصر ١٩٥٠م) ص١٠٦ وما بعدها .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٣ .

(٤) عن مصادر التاريخ المحلي العماني انظر : عمرو ، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني (بغداد ١٩٧٦) .

(٥) العوتبي ، سلمة بن مسلم ، الانساب ، (سلطنة عمان ١٩٨٤م) .

(١١١٤هـ/ ١٧٠٢م) على الرغم من سعة كتابه واشتماله على اخبار مهمة من تاريخ عمان الا انه هذه حديثه عن اباضية عمان في القرنين الخامس والسادس الهجريين لا يتعدى كلامه عنهم بضعة اسطر (١) ، وقد سار ابن رزيق (ت١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين على نهج كتاب كشف الغمة حتى انه كان ينقل عنه حرفيا (٢) ، كما انه لايخرج عن هذا الخط في كتابه الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان (٣) .

الا ان اهم كتاب الف في تاريخ عمان حتى العصر الحديث هو كتاب تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان لمؤلفه نور الدين عبد الله بن حميد السالمي (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م) وعلى الرغم من ان المؤلف عاش في العصر الحديث الا انه يعد من المصادر الرئيسية في تاريخ عمان وذلك بسبب دقته في نقل الروايات التاريخية واشارته الى مصادره (٤) واعتماده في ارائه وامانته في نقل معلوماته بدقة بدون تحريف (٥) ، ولهذا فان تاريخه سيبقى متميزا بروايات جديدة لم تظهر في كتب المؤرخين الذين سبقوه (٦) ، واهمية التحفة بالنسبة للبحث لاتقل عن اهميتها بالنسبة لتاريخ عمان ككل ، اذ يورد تفصيلات عن امامة القرنين الخامس والسادس الهجريين لم نجدها عند غيره من المصادر العمانية المتوفرة الاخرى لذا جاءت اهميتها بالنسبة للبحث كبيرة .

ومن مصادر التاريخ المحلي في الخليج العربي تاريخ سلالة ملوك هرمز الذى كتبه توران شاه احد حكام هرمز في النصف الثاني من القرن الثامن الهجرى ، واصل

---

(١) الازكوى ، سرحان بن سعيد ، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة ، تحقيق عبد المجيد القيسي (ابو ظبي ١٩٧٦م) ص ٧٢ .

(٢) ابن رزيق ، حميد بن محمد ، الفتح المبين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي (سلطنة عمان ١٩٧٧م) ص٢٤٤ .

(٣) ابن رزيق ، الشعاع ، تحقيق عبد المنعم عامر ، (سلطنة عمان ١٩٧٨م) ص ٦٩-٧٠ .

(٤) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي ، ص ٦١ .

(٥) Wilkinson, Bio-bibliographical background of the Crisis Period in the Ibadi Imamate of Oman, in Arabian Studies, Vol.3, (London, 1976) pp.141-142

(٦) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي ، ص ٦٢ . مقدمة ، ص ١٥٢ .

الكتاب لم يصل الينا ، ولكن لحسن الحظ ان الرحالة البرتغالي تكسيرا الذى زار هرمز في القرن السابع عشر الميلادى قد قام باختصاره الى البرتغالية ثم ترجم الى الانكليزية مع رحلة تكسيرا تحت عنوان ملوك هرمز (١) ، وعدد تكسيرا في مختصره ملوك هرمز منذ بدايتهم ولكن مع ذلك فان رواياته تتصف بالغموض خاصة بالنسبة للفترة الاولى من تاريخ السلالة ، كما انه اكتفى باعطاء موجز عن اسماء الملوك وفترات حكمهم دون تسجيل اى تاريخ محدد لذلك ، وهذا ما جعلنا نلجأ الى مقارنتها بما جاء من اشارات في المصادر الاخرى لاعطاء صورة اوضح عن تاريخ سلالة ملوك هرمز وذلك خلال الحقبة الداخلة ضمن خطة البحث ٠

٣ــ الدراسات والبحوث الحديثة

اظهر المستشرقون اهتماما خاصا بمنطقة الخليج العربي بل انهم اول من طرق هذا الباب مدفوعين بعوامل كثيرة ، ولعل الاستعمار البريطاني لعب دورا في هذا المجال من خلال الاهتمام بتاريخ شرق الجزيرة العربية الغني بالنفط ، ولذلك ليس من الغريب ان يقوم (مايلز) احد موظفي الاستعمار البريطاني في مسقط في نهاية القرن التاسع عشر باوسع دراسة عن المنطقة ، فقد عمل تاريخا شاملا عن منطقة الخليج العربي قبائلها واقطارها منذ حقبة قبل الاسلام وحتى القرن التاسع عشر الميلادى ، وعلى الرغم من ورود بعض المعلومات المفيدة فيه الا ان على القارئ العربي ان ياخذ الحيطة والحذر لا لكون الدراسة قديمة فقط ، ولكن لان نوايا الاستعمار البريطاني الخفية فيه ركزت على اثارة الطائفية والقبلية واظهرت وكأن تاريخ المنطقة هو عبارة عن صراع بين القبائل والطوائف المختلفة (٢) ٠

---

(١) The travels of Pedro Teixeira with his kings of Harmuz, (Ttranslated by W.F.Sinclair, London, 1902), p.vi

(٢) Miles, S.B. The countries and tribes of the (Arabian)Gulf, London, 1950

وقد قام محمد امين عبد الله بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية الا ان هذه الترجمة جاءت ناقصة وتهد وبهشطوبة لذا يفضل استخدام النص الانكليزى ، انظر ، مايلز الخليج العربي بلدانه وقبائله سلطنة عمان ١٩٨٢ ٠

ومن المستشرقين الذين اهتموا بالمنطقة لي سترنج اذ افرد فصلا خاصا من كتابه بلدان الخلافة الشرقية للحديث عن العراق والجزء الشرقي من الخليج العربي ، وقد استوعب المؤلف مصادره الجغرافية خاصة فجاءت دراسته مفيدة لنا (١) ، وكذلك المستشرق ارنولد ويلسون الذي ركز على المناطق ذات الاهمية الكبيرة في انتاج النفط واهتم باعطاء عرض للخلفيات التاريخية لها مؤكدا كما فعل مايلز قبله على ابراز الجانب القبلي والطائفي في تاريخ المنطقة (٢) .

وفي الآونة الاخيرة اظهر (ج . س . ولكنسون) اهتماما بدراسة تاريخ الخليج العربي عامة وعمان خاصة ، فقدم بحوثا عديدة ومهمة ، الا ان اهمية دراساته بالنسبة لحقبة البحث كانت محدودة اذ ركز في بحوثه على الفترات الاسلامية الاولى من تاريخ عمان والحركة الاباضية فيها (٣) .

اما الدراسات العربية فقد ركز قسم منها على القرون الاربعة الاولى من تاريخ الاسلام (٤) ، باعتبار ان الخليج العربي وصل في هذه الحقبة الى عصره الذهبي ثم اخذ يفقد دوره واهميته وهي فكرة روج لها من قبل – كما اسلفنا – حوراني وبعض المستشرقين ، فيما حاول البعض الاخر من الكتاب العرب التركيز على تاريخ الخليج العربي في الفترة الاسلامية عامة منها كتاب الدكتور فاروق عمر عن تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى ، والدكتور محمد ارشيد العقيلي بعنوان تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية (٥) .

---

(١) لي سترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، (بغداد ١٩٥٤م) .

(٢) ويلسون ، الخليج العربي ، ترجمة عبد القادر اليوسف ، (الكويت بدون تاريخ) .

(٣) انظر عن مجموعة البحوث التي قدمها ولكنسون ، جاسم ياسين محمد ، عمان ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ١٩٨٦م) ، ص ٣٣ – ٣٥ .

(٤) انظر مثلا : سليمان العسكري ، التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصور العباسية (القاهرة ١٩٧٢م) . ومزية عبد الوهاب الخيرو ، تجارة الخليج العربي واثرها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج والعراق حتى نهاية القرن الرابع الهجري (ط١ بغداد ١٩٨٧م) . الدكتور عبد الرحمن العاني ، البحرين في صدر الاسلام ، (بغداد ١٩٧٣م) ، عمان في العصور الاسلامية الاولى (بغداد ١٩٧٧م) .

(٥) العقيلي ، تاريخ الخليج العربي ، ط٢ (بيروت ١٩٨٨م) .

الا ان اهم من كتب عن تاريخ الخليج العربي هو الدكتور حسين علي المسرى في كتابه تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي في العصر العباسي ، فقد درس المسرى الحالة السياسية لكل من عمان والبحرين ، الا انه عند حديثه عن عمان يتوقف في نهاية الفترة البويهية اى في منتصف القرن الخامس الهجرى ، اما عند كلامه عن البحرين فهو يتعدى ذلك ليشمل الامارة العيونية الا انه يختصر كثيرا ويركز على علاقة هذه الامارة بالخلافة بحيث لا يتعدى حديثه عنها بضع صفحات (١) ، كما درس المسرى الجانب الاقتصادى وتطرق الى ذكر طرق التجارة ونشاط اهل الخليج التجارى ومصادر الثروة الاقتصادية فيه الا انه يركز على الحقبة الاولى من خطة بحثه ويميل الى الاختصار عند الحديث عن حقبة القرن الخامس الهجرى فصاعدا ، وعلى العموم فان دراسة الدكتور المسرى تبقى من الدراسات المهمة في هذا المجال .

الى جانب ما تقدم فان هناك عدد من البحوث المهمة نذكر منها البحث المقدم الى ندوة الدراسات العمانية من قبل المؤرخ الصيني ذانج هو عن المعاملات بين العرب والصين والذى افدنا منه في الاطلاع على ما جاء عند المؤرخين الصينيين عن علاقتهم بالخليج العربي انذاك (٢) ، وكذلك البحث المقدم من قبل الدكتور نقولا زيادة الى ندوة تاريخ الجزيرة العربية بعنوان الجزيرة العربية في اخبار المؤلفين الصينيين (٣) ، كما ان هناك عدد من البحوث اطلعنا عليها وساعدتنا باخراج الرسالة بهذا الشكل وقد اكتفينا بذكرها في اخر قائمة المصادر .

---

(١) المسرى ، تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي ٧٤٩ ـ ١٢٥٨م (ط١ بيروت ١٩٨٢م) ص ١٠٤ وما بعدها .

(٢) ذانج هو ، المعاملات بين العرب والصين في العصور الوسطى ، مصادر ندوة الدراسات العمانية ، الجزء السادس ، (سلطنة عمان ١٩٨٠م) .

(٣) نقولا زيادة ، الجزيرة العربية في اخبار المؤلفين الصينيين ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني (الرياض ١٩٧٩م) .

الباب الاول

الاحوال السياسية في الخليج العربي من منتصف القرن الخامس حتى بداية القرن السابع الهجريين

التطورات السياسية في الخليج العربي قبل القرن الخامس الهجرى

نظرا للاهمية السياسية والاقتصادية التي يتمتع بها الخليج العربي فقد حظي باهمية خاصة من قبل السلطة المركزية للدولة العربية الاسلامية منذ فجر بزوغها ، فبعد فتح مكة مباشرة عام (٨هـ/٦٢٩م) بعث الرسول (صلى الله عليه وسلم) الى اهل عمان والبحرين يدعوهم الى الاسلام فاجاب ابنا الجلندى اميرا عمان من قبيلة الازد واسلما مع قومهما ، كما اسلم امير البحرين المنذر بن ساوى وسيخت مرزبان هجر واسلم معهما جميع العرب وبعض العجم (٢) ، وبذلك انتشر الاسلام في البحرين وعمان دون قتال واخذت المنطقة منذ ذلك الوقت تلعب دورها في بناء الدولة العربية الاسلامية فعلى اكتاف قبائلها الكبرى الازد وعبد القيس وتميم وبكر بن وائل تمت فتوحات المشرق (٣) ، كما شكلت وارداته الجزء الاكبر من اقتصاد الدولة الفتية حتى ان قصة استحداث الديوان ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وتسجيل العطاء عزاها البعض الى الاموال الكثيرة التي جاءت من البحرين (٤).

وعندما بدات الفتوحات الكبرى كان الباب الاول لها عبر الخليج العربي (٥) فكانت اول المدن العربية التي تم تحريرها من قبل جيوش الخلافة بقيادة خالد ابن الوليد هي كاظمة (٦) في معركة ذات السلاسل (٧) والتي تعرضت جيوش الخلافة على

---

(١) البلاذرى ، احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (ط١ بيروت ١٩٨٣م) ص ٣٣ . قدامة ابن جعفر ، الخراج وصنعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدى (بغداد ١٩٧٣) ص ٢٧٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ٢/ ٢٧٢ .

(٢) البلاذرى ، فتوح ص ٨٥ . قدامة ، الخراج ، ص ٢٧٨ . النبهاني ، البحرين ، ص ١٠١ .

(٣) البلاذرى ، فتوح ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ . قدرى القلعجي ، الخليج العربي (بيروت ١٩٦٥) ١١٣ ـ ١١٤ .

(٤) البلاذرى ، فتوح ، ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦ . الماوردى ، علي بن محمد ، الاحكام السلطانية ، مراجعة محمد فهمي السراج (مصر ١٩٧٨م) ص ٢٢٦ .

(٥) فقد كتب الخليفة ابو بكر الصديق الى خالد بن الوليد (ان سر الى العراق حتى تدخلها وابدا بفرج الهند وهي الابلة) الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك (مطبعة الاستقامة مصر ١٩٣٩م) ٢/ ٥٥١ .

(٦) كاظمة : ذكرها ياقوت بانها (جو على سيف البحر في الطريق من البحرين الى البصرة وبينها وبين البصرة مرحلتان) معجم البلدان ٤/ ٢٢٨ .

(٧) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦ .

افرزها الى قسمين ، توجه الاول منها لاستكمال تحرير العراق شمالا ، والقسم الاخر اتجه بقيادة عتبة بن غزوان لتحرير الابلة وشاغلة الفرس في الاحواز وحيث استطاع عتبة تحريرها ، وقد وصفها في رسالته الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بانها مرفأ سفن البحر من عمان والبحرين وفارس والهند والصين (١) ، وبعد تحرير السواحل الشمالية والشمالية الشرقية للخليج العربي قام العرب المسلمون باول عملية بحرية في تاريخهم اذ تم اقتحام الخليج العربي ومهاجمة الفرس في شواطئه الشرقية عبر جزيرة بني كاوان (٢) وقد التقى الجيشان القادمان من البصرة شمالا وعمان جنوبا على الشواطئ الشرقية للخليج العربي (٣) وتم تحريره نهائيا من السيطرة الفارسية وأخذ دوره في الحياة العامة للدولة العربية الاسلامية ، وهذا ما يفسر لنا عدم وجود اسطول حربي كبير في الخليج العربي على غرار اسطول البحر المتوسط اذ تمت تصفية العناصر المعادية فيه منذ وقت مبكر وظل سواحله في مأمن من اي خطر خارجي ، كما بقيت منطقة الخليج العربي هادئة طيلة فترة الخلفاء الراشدين .

وفي الحقبة الاموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٤٩م) اصبحت منطقة الخليج العربي وحدة ادارية تابعة الى والي العراق الذي كان مسؤولا عن توزيع الولاة على مراكز الخليج الادارية الاخرى وكانوا تحت اشرافه (٤) ، ونظرا لاهمية هذه المنطقة فقد اختارت السلطة المركزية في دمشق لها اكفاء ولاتها واشدهم اخلاصا كزياد بن ابيه والحجاج بن يوسف الثقفي اللذين عملا على توطيد

---

(١) البلاذري ، فتوح ص ٣٣٣ .

(٢) بني كاوان : جزيرة في الخليج العربي بين البحرين وعمان افتتحها عثمان بن ابي العاص الثقفي ، ياقوت ، معجم البلدان ٢/ ٧٩ .

(٣) البلاذري ، فتوح ص ٣٧٥-٣٧٦ ، العوتبي ، الانساب ٢/ ٣٢٥ .

(٤) العاني ، عمان ص ٦٥ .

السلطة والامن في المنطقة (١) ،ففي البحرين عندما قامت حركة الخوارج سارع الحجاج الى القضاء عليها واعادتها الى حظيرة الدولة (٢) ، اما في عمان فقد اختلف الامر اذ تزعمت حركة المعارضة فيها احدى فرق الخوارج وهي الاباضية (٣) التي تبنت خطا مغايرا لفرق الخوارج الاخرى منها انها كانت معتدلة في ارائها بعيدة عن التطرف كما انها تبنت التنظيم والعمل السري في تحقيق اهدافها (٤) ، وقد

---

(١) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي ص ٢٠١ ، القلمجي ، الخليج العربي ، ص ١٨١ ، ١٨٧ .
(٢) انظر عن حركة الخوارج في البحرين ، النجم ، البحرين ، ص ١٠١ وما بعدها .
(٣) الاباضية : هي احدى فرق الخوارج اجمعت المصادر على ان تسميتها مشتقة من اسم عبد الله بن اباض التميمي الذي تزعم الجناح المعتدل من حركة الخوارج بعد الاختلاف مع نافع بن الازرق عام ٦٤هـ/ ٦٨٣م في البصرة حول شرعية الثورة ضد المسلمين المخالفين لمذهبهم ، وقد تبنت الاباضية منذ ذلك الوقت اراء معتدلة حتى وصفت بانها اقرب فرق الخوارج الى اهل السنة ، كما انكر الاباضية النسبة الى الخوارج ودافع العديد من الكتاب الاباضية عن انفسهم ضد هذه التهمة ، ويبدو ان السبب في انكار الاباضية ان يكونوا من الخوارج هو انهم فهموا الخروج بمعنى المروق عن الدين لذا فهم يعدون انفسهم ابعد الفرق الاسلامية عن الخوارج .
انظر التفصيلات عن هذه الملاحظات : المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والادب (مكتبة المعارف بيروت) ٢/ ٢١٤ . الاسفراييني ، ابو المظفر ، التبصر بالدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، اخرجه وعلق عليه محمد زاهر الكوثري (بغداد ١٣٧٤هـ) ص ٥٦ . مؤلف مجهول ، الملل والنحل ، مخطوط في مكتبة الاوقاف ببغداد (برقم ٦٨١٩) ورقة ٦ . الهوادي ، ابو القاسم ابراهيم ، الجواهر المنتقاة ، مخطوطة مصورة بمكتبة الدراسات العليا (بغداد برقم ٢٢٠ / ٢) ورقة ١٤ . السيابي ، سالم بن حمود ، اصدق المناهج في تمييز الاباضية عن الخوارج ، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف (سلطنة عمان ١٩٧٩م) ص ٢١ ـ ٣١ . الباروني ، ابو الربيع سليمان ، مختصر تاريخ الاباضية (تونس ١٣٧٥هـ) ص ٣ . عمار طالبي ، اراء الخوارج الكلامية (الجزائر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ١/ ٣٧، ٢٠٧ .
(٤) خليفات ، الدكتور عوض ، نشأة الحركة الاباضية (عمان ١٩٧٧م) ص ٦٤ .

ساعدت ظروف عمان المحلية والقبلية على انتشار الدعوة الاباضية فيها ، فقد كان لجابر ابن زيد الازدي (١) أمام الدعوة ومؤسسها دور في نشرها بين ازد عمان (٢)، كما كان ولاة عمان في نهاية الحقبة الاموية من الازد فاظهروا لينا مع الدعاة هناك (٣) اضافة الى ان عمان كانت اقليما نائيا بعيدا عن السلطة المركزية ، كما ان طبيعتها الجغرافية بسبب وجود الجبال الشاهقة في الداخل جعل منها حصنا منيعا بوجه الهجمات القادمة من الساحل (٤)

وعندما قامت الخلافة العباسية واتخذت من العراق مركزا لها اولت عناية خاصة بمنطقة الخليج العربي وذلك لاهميتها الاقتصادية الكبيرة بالنسبة الى العراق فكانت السياسة العباسية في الخليج العربي تقضي بتامين المواصلات فيه واخضاع المناطق المطلة عليه لنفوذهم المباشر .

كانت البحرين عند قيام الخلافة العباسية هادئة من الناحية السياسية ، ويرجع ذلك على ما يبدو الى الضربات التي تلقتها الحركات الخارجية التي قامت فيها ابان الحكم الاموي مما جعلها تركن الى الهدوء (٥) ، لذلك فان المصادر لم تشر اليها كثيرا في العصر العباسي الاول سوى بعض الملاحظات عن تعيين اهم الولاة البارزين او عزلهم وحتى قيام الحركة القرمطية فيها (٦) في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التي لفتت انظار العالم الاسلامي باجمعه اليها لفترة تزيد على القرن والنصف .

والقرامطة تنتسب الى رجل يدعى حمدان قرمط قدم من خوزستان الى سواد

---

(١) جابر بن زيد : تابعي ازدي من اليحمد يكنى ابا الشعثاء اصله من عمان سكن البصرة تعتبره الاباضية المؤسس الحقيقي لها توفي سنة ٩٣هـ . انظر ترجمته: ابو زكريا الدرجيني ، طبقات المشايخ ، تحقيق ابراهيم طلاي ، الجزائر ١٩٧٤ ، ٢٠٥/٢ ؛ البرادي ، الجواهر ، ص ٢٧٢ ، الشماخي ، السير ، ٦٧ ، ابو زكرياء الوارجلاني ، سير الائمة واخبارهم ، تحقيق اسماعيل العربي ، الجزائر ١٩٧٩ ، ص ٢٨٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، (بيروت ١٩٦٦م) ١٧٩/٧ ـ ١٨٢ . الاصفهاني ، ابو نعيم ، حلية الاولياء ، (ط١ بيروت ١٩٦٧م) ٨٥/٣ ـ ٩١ .

(٢) خليفات ، المرجع السابق ، ص ٨٦ وما بعدها .
(٣) فاروق عمر ، تاريخ الخليج العربي ، ص ١٠٤ .
(٤) ن . م ، ١٠٤ .
(٥) عبد الرحمن العاني ، البحرين ، ص ٧ ١٢ ـ ١٣٧ .
(٦) حسين علي المسري ، المرجع السابق ، ص ٦٩ ـ ٨١ .

الكوفة واظهر الزهد والتقشف وادعى انه رسول المهدى المنتظر، فجمع الاتباع وكثر مؤيده من السواد ثم عمل على توسيع دعوته فارسل دعاته الى جنوب ايران واليمن والبحرين (١). وفي البحرين تبنى الدعوة هناك رجل يدعى يحيى بن مهدى فعمل على استغلال عواطف الناس وحبهم الى آل البيت فجمع عددا من الاتباع منهم ابو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي (٢) وكان تاجر طعام له مكانة مرموقة (٣) ويتمتع بقدرة فائقة على المناقشة والاقناع (٤). وقد ركز ابو سعيد نشاطه على كسب تاييد القبائل من الاعراب وذلك لقلة معرفتهم العميقة في امور الدين، اضافة الى عدم رغبتهم في الخضوع الى السلطة المركزية، فمال اليه عدد من قبائل كلاب وعقيل والضويس (٥) الذين اصبحوا فيما بعد يشكلون القوة الرئيسية في الجيش القرمطي طيلة قرن ونصف مدفوعين بدافع اقتصادية وهي الكسب المادى من وراء مهاجمة المدن وقوافل الحاج ثم بدافع الحرية وعدم الخضوع للسلطة، لذا نرى ان هذه القبائل التي اعطت تاييدها للقرامطة وحاربت معهم كثيرا ما تخرج عليهم وتقاتلهم (٦) اذا رأت ان مصلحتها تقتضي ذلك، وهذا ما يدفعنا الى القول ان القبائل التي ساندت القرامطة لم تكن بالضرورة على عقيدتهم في اغلب الاحيان.

عمل القرامطة بعد اخضاع البحرين لنفوذهم على توسيعه الى المناطق المجاورة، فهاجموا البصرة وجنوب العراق (٧)، كما هاجموا عمان وسيطروا على القسم الاكبر منها (٨). ثم عملوا على توسيع نفوذهم لضم بلاد الشام وذلك في

---

(١) ابن النديم، محمد بن اسحق، الفهرست (بيروت ١٩٨٧م) ص ٢٦٥-٢٦٦.
الدورى، الدكتور عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتاخرة (مطبعة جامعة البصرة ١٩٤٥م) ص ١٦٣.
(٢) ثابت بن سنان، تاريخ اخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، ص ١٤.
(٣) ابن الاثير، الكامل ٧/ ٤٩٤.
(٤) ابو الفضائل اليماني، كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة، تحقيق محمد زاهر الكوثرى (القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ٢.
(٥) المسعودى، ابو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والاشراف (القاهرة ١٣٥٧هـ) ص ٣٤٠-٣٤١. ابن الاثير، الكامل، ٦/ ٤٩٥.
(٦) ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٩٥.
(٧) ثابت بن سنان، المرجع السابق، ص ١٥ وما بعدها.
(٨) بندلي جوزى، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام (بيروت، بدون تاريخ) ص ١٨٨.

منتصف القرن الرابع الهجري حيث استطاعوا اكتساحها ومهاجمة مصر الا انهم اخفقوا في ذلك (١) ، وكانت سنوات العقد السابع من القرن الرابع الهجري تمثل قمـــة نشاطهم العسكري، ثم اخذ نجمهم في الافول بعد هذا التاريخ .

كانت الحركة القرمطية مصدر قلق كبير للسلطة المركزية في بغداد ، اذ هـددت بصورة مباشرة مصالحها في الخليج العربي ، كما نالت من سمعة الخلافة بمهاجمتهـا قوافل الحاج والاماكن المقدسة ، لذلك عملت على اتباع مختلف الاساليب للحد مـن هذه الحركة والقضاء عليها ، ويصور الخليفة العباسي المعتضد بالله (٢٧٩ـ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ـ٩٠١م) موقف الخلافة من هذه الحركة احسن تصوير بقوله (حسرة في نفسي كنت احسبها ان ابلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي ان اركب ثم اخرج نحـو البحرين ، ثم لا القى احد اطول من سيفي الا ضربت عنقه واني اخاف ان يكون مـن هناك حوادث عظيمة) (٢) وهو بهذا القول يبين اهمية البحرين ومنطقة الخليج العربي بالنسبة للدولة العباسية ومصالحها الحيوية ، وفعلا وقع ما كان يخشاه الخليفـة المعتضد ، اذ هاجم القرامطة البصرة والكوفة وسيراف وعمان عدة مرات طيلة القـرن الرابع الهجري (٣) ، مما دفع الخلافة الى مهادنتهم والاستجابة الى مطالبهم فـي كثير من الاحيان (٤) ، الا ان نشاطهم السياسي والعسكري ـ كما مر بنا ـ اخـذ يأفل في الربع الاخير من القرن الرابع الهجري ، اذ اقتصر نفوذهم على البحرين التي ما لبثت ان خرجت من ايديهم واسدل الستار عليهم تماما في منتصف القرن الخامس الهجري ، وهذا ما سنعرض له في الصفحات القادمة انشاء الله .

---

(١) انظر عن حروب القرامطة في بلاد الشام ومصر : ثابت بن سنان ، المرجع السابق ، ص ٤٢ ـ ٥٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٦١٤ـ٦١٦ ، ٦٣٨ـ٦٤١ .

(٢) المقريزي ، تقي الدين احمد ، اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٦٧م) ص ١٦٤ .

(٣) الدكتور عبد الجبار ناجي ، دوافع قرامطة البحرين في السيطرة على البصـرة في القرن الرابع الهجري ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد (٨) سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ٦٦ـ٧٠ .

(٤) Sha'ban, M.A, Islamic history (London, 1976) Vol. 2, P. 166.

قدري القلعجي ، الخليج العربي ، ص ٢٨٦ .

اما عمان فقد اشرنا قبل الى انها شهدت نشاطا حثيثا للحركة الاباضية فيها منذ نهاية القرن الاول الهجرى ، وقد استمر هذا النشاط حتى توج بقيام امامة اباضية فيها عام (١٣٢هـ/ ٧٤٨م) بقيادة الجلندى بن مسعود (١)، وهذا يعني ان قيام الامامة الاباضية في عمان كان مواكبا لقيام الخلافة العباسية في العراق وسقوط الخلافة الاموية ، وهو ما يعرض الخلافة العباسية الى مخاطر كثيرة في صميمها ، اذ اعلن العباسيون انهم جاؤوا لاحياء السنة والعمل بالكتاب وان احقيتهم بالخلافة جاءت من قرابتهم بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وانها ستبقى في ايديهم حتى تسلم الى عيسى بن مريم عليه السلام (٢)، لذا فان قيام امامة اباضية للمسلمين في عمان يعني تهديدا مباشرا لهذه الشعارات ، وعليه فان العمل الاول الذى اولته الخلافة العباسية اهميتها بعد القضاء على الامويين وانصارهم هو اخضاع هذه الحركة في عمان ، فارسل الخليفة ابو العباس (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٥٠-٧٥٤م) حملة عسكرية كبيرة الى هناك عام (١٣٤هـ/ ٧٥٢م) وذلك في اول عمل عسكرى تقوم به الخلافة العباسية في منطقة الخليج العربي (٣)، ويبدو ان الدافع الاول لهذا العمل العسكرى يكمن في العامل السياسي لان قيام امامة للمسلمين في عمان ينال كثيرا من سمعة الخلافة العباسية وهي في فجر انطلاقها لذا اسرع الخليفة الى القضاء عليها . اما العامل الاقتصادى فعلى الرغم من اهمية الخليج العربي في حسابات العباسيين الاقتصادية الا ان الاستقرار السياسي وتصفية العناصر المعادية فيه وخصوصا تلك التي تنافسهم في زعامتهم الروحية ، احتل المرتبة الاولى من تفكيرهم ، لذا فان العامل الاقتصادى ياتي بالدرجة الثانية في اهداف هذه الحملة على عمان .

ان القضاء على امامة الجلندى بن مسعود لا يعني القضاء على الاباضية في

---

(١) البسياني ، ابو الحسن علي بن محمد ، الحجة على من ابطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ، مخطوطة بمكتبة الامام غالب بن علي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ضمن كتاب جامع السير العمانية ، ورقة ٦٢ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٨٨ . الحارثي ، سالم بن حمود ، العقود الفضية في اصول الاباضية (دار اليقظة ، سوريا ولبنان ١٩٧٤م) ص ٢٥٣ .

(٢) الدورى ، العصر العباسي الاول ، (بغداد ١٩٤٤م) ص ٤٣ .

(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ٦/ ١١٤-١١٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ٥/ ٤٥١ .

عمان اذ استمر نشاط الحركة هناك حتى تمكنوا من اعلان امامة اباضية جديدة (١) امتدت من سنة (١٧٧ ـ ٢٨٠هـ/ ٧٩٣ ـ ٨٩٣م) ، ولم يكن رد فعل الخلافة العباسية لقيام امامة اباضية في عام (١٧٧هـ/ ٧٩٣م) مساويا لما كان عليه عند قيامها عام (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) ، وذلك راجع على ما يبدو الى ان الخلافة العباسية شهدت الاستقرار التام من الناحيتين السياسية والاقتصادية فلم تكن لتقلقها كثيرا حركة قامت ضدها في اقليم نا ء كعمان بعد ان خضع لها العالم الاسلامي باجمعه ، كما ان قوة اسطولها التجاري وهيمنتها الكاملة على السواحل الشرقية للخليج العربي اضافة الى البحرين جعل رد الفعل ياتي متاخرا حيث ارسل الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م) في اواخر حكمه حملة لاخضاع اباضية عمان بقيادة عيسى بن جعفر الا ان العمانيين استطاعوا القضاء على الحملة واسر عيسى بن جعفر ثم قتله (٢) ، وقد شهدت عمان في ظل هذه الامامة عصرها الذهبي من الناحيتين السياسية والاقتصادية (٣) اذ حافظت على استقلالها حتى عام (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) عندما ارسل الخليفة المعتضد بالله على ارسال قواته الى هناك بقيادة والي البحرين محمد بن بور للقضاء على الامامة الاباضية (٤) وذلك على اثر الاحداث الدامية التي شهدتها عمان بسبب الانشقاق العقائدي الذي تعرضت له الحركة الاباضية في عمان في اواخر ايام الامام الصلت بن مالك الخروصي (٥) (٢٣٧ ـ ٢٧٣هـ/ ٨٥١ ـ ٨٨٦م) فقد اراد البعض عزل الامام الصلت

---

(١) ابو المؤثر ، الصلت بن خميس ، الاحداث والصفات ، مخطوطة ضمن كتاب جامع السير العمانية في مكتبة الامام غالب ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، ورقة ٥٤ . الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٤٩ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٩٥ ـ ١١٣ .

(٢) ابن حبيب ، ابو جعفر ، المحبر ، اعتنت بتصحيحه ايلزه ليختن شتيتر (بيروت ١٩٤٢م) ص ٤٨٨ . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٨٤ .

(٣) Wilkinson , Sources For the early history of Oman (upublished paper read on the First inter nationd Symposium on Stadics inthe history of the Arabia, University of Riyad 1977)p.89.

(٤) الطبري ، المرجع السابق ، ٨/ ١١٦ . الازدي ، يزيد بن محمد ، تاريخ الموصل تحقيق علي حبيبه ، (القاهرة ١٩٦٧م) ص١١٦ .

(٥) الصلت بن مالك ينتمي الى احد بطون الازد اليمانية في عمان ، السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ١٦٢ وما بعدها .

عن الامامة بحجة شيخوخته (١) في حين وقف قسم اخر معارضا لهم ، وعلى الرغم من نجاح الفريق الاول في عزل الامام الصلت الا ان هذا الحادث ادى الى تاجيج العصبية بين القبائل واشتعلت نار الحرب الاهلية بين المناصرين لقضية الامام الصلت واغلبهم من القبائل اليمانية التي ينتمي اليها الصلت بن مالك وبين المعارضين له واغلبهم من القبائل النزارية وكانت اخر جولة من الحروب الاهلية هي معركة القاع التي وقعت بين القبائل اليمانية والنزارية والتي اسفرت عن قتل شيخ قبائل النزارية موسى بن موسى وهزيمتها في عام (٢٧٨هـ/ ٨٩١م) (٢) ، وعلى اثر هذه الهزيمة التجأ عدد من زعماء القبائل النزارية وعلى راسهم بنو سامة (٣) الى الخلافة العباسية وطلبوا منها المساعدة (٤) ، وعند ذلك وجد الخليفة المعتضد الفرصة للقضاء على امامة عمان الاباضية واسترجاعها الى حظيرة الخلافة العباسية ، فاوعز الى عامله على البحرين محمد بن بور بتلبية طلب النزارية فكانت جولة اخرى من الحروب ادت الى انهيار الامامة الثانية في عمان في عام (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) (٥) .

ومن جانب اخر فان عزل الامام الصلت بن مالك احدث انقساما سياسيا داخل الحركة الاباضية نفسها نتج عنه ظهور فرقتين رئيسيتين على مسرح الاحداث ،

---

(١) انظر التفصيلات عن احداث عزل الامام الصلت: ابو المؤثر ، الاحداث والصفات ، ورقة ٢ ـ ٢٧ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ١٩٦ وما بعدها .

(٢) انظر التفصيلات عن وقعة القاع : العوتبي ، الانساب ، ١/ ٣٢٢ . الازكوي ، تاريخ عمان ، ص ٥٨ . ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٣٤ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٢٥١ ـ ٢٥٣ . Wilkinson , Sources , p.20.

(٣) بنو سامة : نسبة الى سامة بن لوي بن غالب احدى القبائل القرشية التي هاجرت الى عمان وحالفت الازد بها . ابن حبيب ، المحبر ص ١٦٨ . البكري ، عبد الله ابن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا (ط ١ القاهرة ١٩٤٩م) ١/ ٨٩ .

(٤) العوتبي ، الانساب ، ١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ . الازكوي ، تاريخ عمان ، ص ٥٨ . ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٤٣٥ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٢٥٨ .

(٥) الاصطخري ، ابراهيم بن محمد ، الاقاليم (مكتبة المثنى بغداد) ص ١٤ . المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال (مصر ١٩٦١م) ص ٢٧ . ابن حوقل ، المرجع السابق ، ص ٤٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٩٩ .

الاولى تدعى فرقة الرستاق التي لازمت قضية الصلت بن مالك وقد وصفت بالغلو والتطرف (١) ، والاخرى عرفت بالفرقة النزوانية وكان موقفها يتصف بالاعتدال ازاء احداث عزل الامام الصلت (٢) ، وبذلك ادى عزل الامام الصلت الى انقسامات عقائدية بين الفقهاء والعلماء الاباضية نتج عنها انشقاقات قبلية حادة وترك اثار سلبية على الحركة وتاريخها السياسي في عمان لعدة قرون اخرى (٣) .

ان انهيار الامامة الاباضية الثانية في عمان عام (٢٨٠ / ٨٩٣م) اثر الاحداث المارة الذكر حفز العديد من القوى من داخل عمان وخارجها للسيطرة على الاقليم ، فقد حاولت كل قبيلة من القبائل الاباضية في عمان استغلال نفوذها وانتخاب امام من بين صفوفها يمثل وجهة نظرها ، كما لعبت الخلافة العباسية دورا في تدعيم سلطتها في عمان عن طريق حلفائها من بني سامة ، وظهر القرامطة في هذا الوقت ايضا في شرق الجزيرة العربية وجنوبها واخذوا يتطلعون الى عمان في محاولة لاخضاع الجزيرة العربية باكملها لنفوذهم ، وبذلك غدت عمان مسرحا لصراع مرير بين هذه القوى المختلفة سياسيا وفكريا .

ان نفوذ الاباضية لم ينته بسقوط امامتها عام (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ، فقد انسحب اتباع الحركة الى الداخل وراء جبال عمان خط الدفاع الطبيعي الاول ، وهناك تمكنوا من تعويض النفوذ العباسي وعملوا على انتخاب ائمة لهم (٤) ، الا ان انقسامهم حول مسالة عزل الامام الصلت اضعف الحركة وجعل تأثيرها يقتصر على المناطق الداخلية فقط ، وقد استمر نفوذها الفعلي هناك حتى عام (٣٤٢هـ / ٩٥٣م) (٥)

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١ / ٢١٢ . والرستاق هي احدى مدن عمان في منطقة الحجر الغربي ، ابن رزيق ، الشعاع ، ص ٣١ (الهامش) .

(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١ / ٢٤٢ . ونزوى معقل الاباضية في عمان وصفها ابن بطوطة بانها (في سفح جبل تحف بها البساتين والانهار ولها اسواق واسعة حسنة ومساجد عظيمة) ، ابن بطوطة ، الرحلة (مصر ١٩٦٤م) ص ١٧٢ .

(٣) Wilkinson, Bio-bibliographical, Arabian Studies, 3, pp. 1,8-14.

(٤) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص ٦١ . ابن رزيق ، الفتح المبين ص ٢٣٧ ، السالمي ، تحفة الاعيان ، ١ / ٢٦٤ .

(٥) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١ / ٢٦٣ وما بعدها .

عندما تمكن حكام عمان من بني وجيه التابعين للخلافة من دك حصونهم والقضاء على جميع نفوذهم السياسي في المنطقة (١)، ولم تستطع الحركة الاباضية من لم شملها حتى عام (٤٠٧هـ/١٠١٦م) حيث عملت على استعادة نظام الامامة من جديد في عمان وتمكنت من انتخاب امام لها في المناطق الداخلية (٢)، ان ولادة الامامة الجديدة في بداية القرن الخامس الهجرى حملت معها بشائر الوحدة والنصر فقد تناسوا موقتا احداث عزل الامام الصلت وعملوا على توحيد صفوفهم بقيادة الامام راشد بن سعيد (٤٢٥ ـ ٤٤٥هـ/١٠٣٣ ـ ١٠٥٣م) الذى تمكن من قيادة الحركة الاباضية وتحرير عمان وسواحلها من الاحتلال البويهي في منتصف القرن الخامس الهجرى (٣).

اما الخلافة العباسية فقد غضت النظر عما يحدث في المناطق الداخلية من عمان وذلك بسبب عزلة المنطقة، كما سرها ما جرى من انشقاق في صفوف الحركة الاباضية وجعل باسهم فيما بينهم، ومن جانب اخر عملت الخلافة على تطوير علاقتها بساحل عمان وتاكيد سيطرتها عليه، فتصدت لجميع المحاولات القرمطية الاستيلاء عليها (٤)، ثم عملت على تشجيع القوى المحلية المؤيدة لها مما نتج عنه تكوين امارة قوية في النصف الاول من القرن الرابع الهجرى وهي امارة بني وجيه (٣١٧ ـ ٣٥٤هـ/٩٢٩ ـ ٩٦٥م)، وقد شهدت عمان والخليج

---

(١) السالمي، تحفة الاعيان، ١/٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤٦. السالمي، تحفة الاعيان، ١/٢٩٥. الحارثي، العقود الفضية، ص٢٥٧. زلوم، عبد القادر، عمان والامارات السبع (بيروت ١٩٦٣)، ص١٧٠.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ٩/٥٦٥. ابن خلدون، تاريخ، ٤/١٠٤٥.
Wilkinson, Bio-bibliographical, Arabian Studies, 3, p. 193.

(٤) انظر عن محاولات القرامطة احتلال عمان: المسعودى، التنبيه والاشراف، ص٣٤١. مسكويه، احمد بن عمر، تجارب الامم، اعتنى بتصحيحه هـ. ف. امدروز (مصر ١٩١٤م) ٢/٢١٦ ـ ٢١٧. ابن الاثير، الكامل، ٨/٥٦٧ ـ ٥٦٨. ابن القاسم، يحيى ابن الحسين، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٦٨م) ص٢٠٠.

العربي في ظلها ازهى مراحل تطورها الاقتصادي (١) ، وكانت هذه الامارة على ولاء شديد للخلافة ، فتصدت للبريديين (٢) عندما حاولوا الاعتداء على الخلافة ، كما ناصبت البويهيين العداء (٣) منذ دخولهم بغداد عام (٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) ولم تعط اي اعتراف رسمي بهم (٤)، مما جعل البويهيون مدفوعين بعوامل اخرى الى ارسال الحملات الواحدة تلو الاخرى لغزو عمان حتى تمكنوا من اخضاعها والقضاء على امارة بني وجيه هناك في عام (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) (٥) ، ان استيلاء البويهيين على عمان كان فاتحة لسلسلة من الحروب خاضها العمانيون استمرت حتى عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) (٦) ، حيث توجت بطرد البويهيين النهائي من عمان وبدء صفحة جديدة في التاريخ العماني .

---

(١) انظر عن امارة بني وجيه في عمان : جاسم ياسين محمد ، المرجع السابق ، ص ١٤١ ـ ١٦٠ .

(٢) البريديون : نسبة الى البريد وهو لقب تلقب به الاخوة الثلاثة ابو عبد الله احمد وابو يوسف يعقوب وابو الحسين علي حيث تمكن هؤلاء الاخوة من الارتقاء في المناصب الادارية والحصول على الثروة والشهرة الواسعة مكنتهم من احتلال البصرة عام ٣٢٥هـ واقامة امارة لهم فيها حتى عام ٣٣٦هـ . انظر التفصيلات عن البريديين ابن الاثير ، الكامل ، ٦/ ٦٣ ـ ١٦٤ ، ٩٦ ـ ٢١٠ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ـ ٧ ، ٢٩ .

(٣) جاسم ياسين محمد ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٤) الصراف ، عبد الله شكر ، ما ضرب من النقود باسم الخليفة المستكفي بعد خلعه ، مجلة المسكوكات (تصدرها مديرية الاثار العراقية ، بغداد ١٩٦٩م) الجزء الثاني ، المجلد الاول ، ص ٤٤ .

(٥) التنوخي نشوار المحاضرة ، ٤/ ٤٦ . مسكويه ، تجارب الامم ، ٢/ ٤٢١ ـ ١٤٤ ، ١٩٦ ، ٢١٣ . ياقوت ، معجم الادباء ، ٦/ ١٢٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٥٤٦ ، ٥٦٥ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٥٦٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٠٤٥ .

المبحث الاول (البحرين)

١ ـ نهاية القرامطة والصراع على السلطة قبيل قيام الامارة العيونية

٢ ـ الإمارة العيونية في البحرين ٤٦٧ ـ ٦٣٦هـ/ ١٠٧٤ ـ ١٢٣٨م

المرحلة الاولى : عصر القوة والإزدهار

ا ـ عبد الله بن علي العيوني

ب ـ الفضل بن عبد الله

جـ ابو سنان محمد بن الفضل

المرحلة الثانية : الضعف والإنقسام

المرحلة الثالثة : الوحدة والتوسع / عصر محمد بن ابي الحسين

المرحلة الرابعة : انحلال الامارة ونهايتها

١ـ نهاية القرامطة والصراع على السلطة قبيل قيام الامارة العيونية

قبل الشروع في الحديث عن الامارة العيونية ارتأينا استعراض آراء المؤرخين فيما قيل عن نهاية قرامطة البحرين وذلك لما له من صلة بالامارة العيونية ولغموض تاريخ البحرين في الفترة التي سبقت قيام الامارة العيونية (اى في النصف الاول من القرن الخامس الهجرى) .

شهد الربع الاخير من القرن الرابع الهجرى ضعف دولة القرامطة وانحلالها (١) . فبعد الهزيمة الكبيرة التي حلت بهم في عام (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) على ايدى جيش الخلافة في الكوفة وانسحابهم الى معاقلهم في البحرين (٢) ، تجرأت عليهم المناطق التي كانت خاضعة لهم . وكانت القبائل العمانية السباقة في هذا المجال ، فما ان وصلت اخبار هزيمة القرامطة على ايدى جيش الخلافة عام (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) حتى باشرت القبائل العمانية بقيادة الحركة الاباضية بالانقضاض على معاقل القرامطة في شمال عمان وطردهم منها (٣) . ثم تبعهم في ذلك القبائل العربية القاطنة بين البحرين والبصرة وخصوصا قبائل المنتفق ، اذ يشير ابن الاثير الى ان الاصفر (٤) زعيم بني المنتفق قام بمهاجمة البحرين عام (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) واوقع هزيمة كبيرة بالقرامطة سار على اثرها الى الاحساء وحاصرهم ثم عدل الى القطيف واستولى على ممتلكات القرامطة فيها ثم انسحب الى البصرة (٥) . واشارت المصادر ايضا ان الاصيفر الاعرابي

---

(١) يشير ابن النديم الى ان القرامطة اخذ نجمهم يافل وحالتهم تضعف منذ ستينات القرن الرابع الهجرى ، الفهرست ، ص ٢٦٨ .

(٢) الروذراورى ، ابو شجاع ، ذيل تجارب الامم ، (مطبعة التمدن الصناعية ، مصر ١٩١٦م) ص ١٠٩ـ ١١٠ . ابن الجوزى ، المنتظم ، ٧/ ١٢٦ . ابن الاثير ، الكامل ٩/ ٤٢ـ ٤٣ . سبط ابن الجوزى ، شمس الدين ابو المظفر ، مراة الزمان في تاريخ الاعيان ، الحقبة من ٣٤٥هـ ـ ٤٤٧هـ (تحقيق جنان محمد ، بغداد ١٩٩٠م) ص ٢٢٨ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٩٨ـ ١٩٩ .

Miles , op,Cit, p 121.

(٤) يرد ايضا الاصيفر .

(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٥٨ .

اتفق مع الخلافة على حماية الحاج وخفارتهم من حد الكوفة الى عمان واقامة الخطبة العباسية هناك مقابل مبالغ معينة تدفع اليه سنويا (١) ، ويبدو ان الاصيفر الاعرابي هو نفسه الاصيفر (او الاصفر) المنتفقي اذ تارجحت المصادر في الاشارة الى هذا اللقب او ذاك خلال حوادث تعرضه للحاج (٢) .

ان المصادر الانفة الذكر لم تشر الى اي نشاط للقرامطة منذ نهاية القرن الرابع الهجري ، كما انها لم تشر الى نهايتهم ، الا ان ابن خلدون ينفرد بالقول ان حكم القرامطة في البحرين انتهى باستيلاء الاصفر بن ابي الحسن التغلبي في عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) واقام الخطبة العباسية فيها ، ويضيف قائلا ان الاصفر هذا اختلف مع بني عقيل في البحرين فاجلاهم عنها الى العراق ثم طمع في ملكهم فسار اليهم وحاربهم براس عين التمر واستولى على مناطق نفوذهم واخضع الجزيرة والموصل ولكنه اصطدم بنصير الدولة بن مروان (٣) صاحب ميافارقين وديار بكر فهزمه الاخير واعتقله وان ملكه بقي متوارثا في بنيه بالبحرين (٤) .

ويبدو ان ما ذهب اليه ابن خلدون من ان الاصفر التغلبي (٥) قضى على القرامطة في البحرين عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) واقام دولة له هناك امر فيه نظر ، اذ لم يعرف عن ظهور اسرة في البحرين بهذا الاسم (٦) ، كما ان القرامطة استمر نفوذهم في البحرين حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، فعندما زارهم الرحالة

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧/ ١٧٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ١٠٥ . سبط ابن الجوزي ، مراة الزمان ، ص٢٤٨ .

(٢) انظر على سبيل المقارنة : ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧/ ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٥٨ ، ١٠٥ ، ٢٢٤ ، ٣١٣ ، ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ط١ مصر ١٩٣٢م) ٤/ ٢١٠ ، ٢٢٠ .

(٣) نصير الدولة بن مروان ، هو احد ولاة الخلافة على ميافارقين وديار بكر من سنة ٤٠١هـ الى سنة ٤٥٣هـ ، انظر عنه : ابن الجوزي ، المنتظم ، ٧/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٥) يرد ايضا الثعلبي .

(٦) الحميدان ، المرجع السابق ، ص١٢٨ .

ناصر خسرو ذكر ان ملكهم ما زال في الاحساء وانهم في قوة ومنعة (١) .

ويعتقد البعض ان نهاية قرامطة البحرين كانت في نهاية القرن الرابع الهجرى عندما سيطر الاصفر الثعلبي على الاحساء في عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) وان الاصفر اسس دولة له هناك استمرت حتى قيام الامارة العيونية (٢) وقد عمل العيونيون على اثارة السلاجقة من اجل الحصول على مساعدتهم للوصول الى الحكم عن طريق وصف الزعماء المحليين من بني الاصفر بالقرامطة (٣) وقد بنى هؤلاء اراءهم على ما سبقت الاشارة اليه في تاريخ ابن خلدون وهو ان القرامطة تم القضاء عليهم من قبل الاصفر الثعلبي عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) (٤) .

ويبدو ان العامل الاول في اختلاف الاراء حول نهاية القرامطة هو ان ابن خلدون لا يعرف شيئا عن العيونيين ، وهذا ما اشكل على ابن لعبون والكتيبي والحميدان (٥) . فابن خلدون ظن ان هناك امارة انشاها الاصفر بن ابي الحسن الثعلبي استمرت في البحرين من نهاية القرن الرابع الهجرى حتى القرن السابع الهجرى حيث تغلب عليها بنو عقيل (٦) وهو يشير الى هذا في اكثر من موضع فيصف امارة الاصفر تارة ببني ابي الحسن (٧) وتارة ابي الحسين الاصفر بن تغلب ومرة ثالثة بنو الاصفر بن تغلب (٨) ثم يتبع ذلك قول ابن سعيد (سالت اهل البحرين في سنة احدى وخمسين وستمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية فقالوا الملك فيها لبني

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص١٤٣ .

(٢) المسلم ، محمد بن سعيد ، ساحل الذهب الاسود ، (بيروت ١٩٦٢م) ص١٥٦ . الظاهرى ، ابو عبد الرحمن ، انساب الاسر الحاكمة في الاحساء (الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م) ص١٤٠ .

(٣) المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٩٤ .

(٥) ابن لعبون ، حمد بن محمد ، تاريخ ابن لعبون (مطبعة ام القرى ، ط١ ، ١٣٥٧هـ) ص ٢٧ . الحميدان ، المرجع السابق ، ص١٢٨ . انظر ايضا : شرقي ، المرجع السابق ٥/ ٣٢ .

(٦) وهو هنا يخلط بين الاصفر المنتفقي الاعرابي الذى حارب القرامطة وبين الاصفر الثعلبي الذى ظهر بمنطقة الجزيرة وحارب الروم في عام ٤٣٦هـ وظنهما واحدا .

(٧) ابن خلدون ، تاريخ ، ٢/ ٦٤٨ .

(٨) ن . م ، ٦/ ٢٥ .

(٩) ن . م ، ٦/ ١٤٢ .

عامر بن عقيل)(١) ، ان المشكل الرئيسي هنا هو ان ابن خلدون يشير بان بني عقيل اخذوا البحرين من بني ابي الحسن (وترد احيانا الحسين) في النصف الاول من القرن السابع الهجرى ، وهذا ما دفع البعض الى الاعتقاد ان بني ابي الحسن او الحسين انما هم ابناء محمد بن ابي الحسين العيوني الذى تولى حكم الامارة(٢) العيونية في نهاية القرن السادس الهجرى(٣) .

وبيد و ان اشارات ابن خلدون هذه لا توحي بان المقصود هي الامارة العيونية فهو يشير صراحة ان بني عامر اخو المنتفق غلبوا على البحرين (وملكوها من يدى ابي الحسين الاصغر بن تغلب وكانت هذه المواطن للازد وبني تميم وعبد القيس فورث هؤلاء فيها ارضهم وديارهم ، قال ابن سعيد وملكوا ايضا ارض اليمامة من بني كلاب وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه)(٤) ، كما يشير ابن خلدون في مكان اخر الى ان الاصغر التغلبي قضى على قرامطة البحرين واسس له دولة اورثها بنيه ، كما حارب بني عقيل في الموصل سنة (٤٣٨هـ/١٠٤٦م) ، واستمر ملكهم في البحرين الى ان غلب السلاجقة على بني عقيل في الموصل والجزيرة فتحولوا عنها الى البحرين وغلبوا على بني ثعلب جماعة الاصغر ، ثم تبع ذلك ما رواه عن ابن سعيد بان بني عامر بن عوف بن عقيل هم اصحاب الاحساء في منتصف القرن السابع الهجري وان بني ثعلبة هم من جملة رعاياهم(٥) .

يمكن ان نستنتج من روايات ابن خلدون هذه عدة امور منها :ـ

---

(١) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/١٩٦ .

(٢) انظر عن محمد بن ابي الحسين العيوني ص ٧٥ وما بعدها من البحث .

(٣) ابن لعبون ، تاريخ ، ص٢٧ . الحميدان ، المرجع السابق ، ص١٢٨ . ويذهب الدكتور الحميدان الى ابعد من ذلك فيشير الى انه من المحتمل (ان بني ابي الحسن ربما تعد بهم اولاد ابي الحسن علي بن مسمار زعيم عبد القيس الذى انتزع منه القرامطة القطيف) في نهاية القرن الثالث الهجرى .

(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، ٦/٢٤ـ٢٥ .

(٥) ن . م ، ٤/١٩٥ـ١٩٦ .

١ـ ان الاصفر الثعلبي قضى على سلطة القرامطة في البحرين في نهاية القرن الرابع الهجري .

٢ـ ان امارة بني الاصفر استمرت من نهاية القرن الرابع الهجري حتى سقوطها على ايدي بني عقيل في القرن السابع الهجري .

٣ـ ان بني عامر بن عوف بن عقيل تولوا الحكم في البحرين في النصف الاول من القرن السابع الهجري .

٤ـ ان الاصفر الثعلبي هذا طرد بني عقيل في الموصل في عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م .

٥ـ ان الاصيفر الثعلبي كان يعترض طريق الحاج ويثير لهم المتاعب وكان منها ما قام به سنة (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) عندما اعترض طريق حجاج العراق وخراسان فوعظه قارئان كانا في صحبة الحاج فخلى سبيلهم ولم يعترض طريقهم .(١)

٦ـ انه كان يقيم الخطبة العباسية .

٧ـ ربما يظن ان ابن خلدون قصد ببني ثعلبة هم العيونيون انفسهم .

ويبدو ان معلومات ابن خلدون هذه يسودها الغموض والاضطراب في كثير من جوانبها وذلك :

أ ـ انه يشير ان سلطة القرامطة في البحرين انتهت في عام (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) على يد الاصفر او الاصفر الثعلبي في حين اننا نجد ان ناصر خسرو الذي زار الاحساء في عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) ومكث فيها شهور عديدة ذكر لنا بان حكام الاحساء بوسعيديون يحكمون على شكل هيئة جماعية تتكون من ستة ملوك وستة وزراء(٢) وهذا النظام كان سائدا عند القرامطة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وذكر ناصر خسرو ايضا ان سلطة حكومة الاحساء تمتد الى جزيرة اوال ، كما ان صاحب المخطوطة التيمورية الذي كتب عن امراء العيونيين

---

(١) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ٢١٦ .

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤٣ . انظر ايضا :

Rentz ,E, AL - Bahrain in E.I. 2 , p.942.

(٣) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٤ .

والذى يعتقد انه كان حيا في عام (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) ، اى انه شاهد عيان لنهاية الامارة العيونية ، ذكر ان نهاية القرامطة في الاحساء كانت على يد (١) عبد الله بن علي العيوني في العقد السادس من القرن الخامس الهجرى ، اما (٢) ما ذهب اليه البعض من ان الحكومة التي اطاح بها عبد الله بن علي هم من الزعماء المحليين وان ادعاء عبد الله بن علي ان هؤلاء كانوا قرامطة هو ادعاء باطل الغرض منه الحصول على مساعدة السلاجقة ، (٣) فقد فاتهم ان ناصر خسرو نفسه كان داعيا اسماعيليا (٤) اعترف بوجود حكومة القرامطة عند زيارته الاحساء كما اشار الى ثورة القبائل العربية عليهم في عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) (٥) وهذا الوقت كما هو معروف قبل مجيء السلاجقة الى السلطة في العراق ، كما ان صاحب المخطوطة التيمورية كان موظفا لدى الاتابك ابو بكر السلغرى الذى شن الغارات مرارا على الامارة العيونية حتى تمكن من الاطاحة بها (٦) ، فهو ايضا يمثل الجانب المعادى للعيونيين .

٢ـ ان ما ذهب اليه ابن خلدون من ان امارة بني الاصفر في البحرين استمرت حتى سقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة امر لا تؤيده المصادر الاخرى ، فالاصفر التغلبي الذى ذكره ابن خلدون ذكرته المصادر الاخرى الاصيفر الاعرابي او المنتفقي وابعد ما وصلت اليه حركة الاصيفر هذا هو محاصرته القرامطة في

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ، ص٨٦ .
(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠ـ٢٥١ .
(٣) المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٥٧ .
(٤) نقولا زياده ، الجغرافية والرحلات عند العرب (بيروت ١٩٦٢م) ص١٥٩ .
(٥) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٤ .
(٦) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٠ .

الاحساء وعندما فشل في احتلالها انتهب اموال القرامطة في القطيف ثم انسحب الى البصرة وذلك في عام (٣٧٨هـ/ ٩٨٨م)(١) ، ولكن النجاح الذى حققه الاصيفر في تحجيم قوة القرامطة وحصرها في الاحساء صاحبه على ما يبدو تكوين امارة له في مناطق البادية بين نجد والكوفة والبصرة حيث اخضع كافة القبائل العربية لسلطانه ، وهذا ما دفعه الى ارسال وفد الى الخلافة وتعهد بحماية طريق الحاج والقوافل واقامة الخطبة العباسية مقابل مبالغ سنوية تدفع اليه(٢) ، والواقع فان الاصيفر لم يلتزم بتعهده هذا للخلافة بل استمر في نشاطه في منطقة البادية وتعرضه للحاج حتى وفاته عام (٤١٠هـ/ ١٠١٩م)(٣) ، ولا يمنع من ان امارة للاصفر ربما قامت في منطقة البادية واستمرت حتى سقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في عام (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥–١٠٩٦م)(٤) اذ رجع عدد منهم الى منطقة البادية حيث يوجد بنو عمهم المنتفق بين البصرة والكوفة والبحرين مما عزز موقفهم وزاد من نشاطهم بعد هذا التاريخ .

٣– اما بخصوص بني الاصفر بن تغلب ودولتهم في البحرين فهو امر لا تؤيده المصادر ، اذ لا نعرف ظهور اسرة في البحرين بهذا الاسم ، اما الاصفر التغلبي الذى ظهر براس العين عام (٤٣٦هـ/ ١٠٤٧م) وادعى انه مرسل ، فقد تم انهاء حركته هناك وليس له اى صلة بالبحرين(٥) .

٤– يبدو لنا ان الاصيفر الاعرابي او المنتفقي الذى ورد في المصادر هو نفسه الاصفر التغلبي الذى ورد عند ابن خلدون ، ولكن ابن خلدون خلط بينه وبين الاصفر التغلبي الذى ظهر براس العين ، وذلك بدليل حادثة تعرضه للحاج (اى

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٥٨ .

(٢) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٧/ ١٧٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ١٠٥ . ابن كثير ، ابو الفدا ، البداية والنهاية (ط١ بيروت ١٩٦٦م) ١١/ ٣١١ .

(٣) انظر عن نشاط الاصيفر : ابن الجوزى ، المنتظم ، ٧/ ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٩٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ١٠٥ ، ٣١٣ . سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٠٠ . يجعل سبط ابن الجوزى وفاة الاصيفر عام ٤٠٧هـ .

(٤) اسس بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة اخوة بني المنتفق امارة لهم في الموصل والجزيرة امتدت من سنة ٣٨٠هـ الى سنة ٤٨٩هـ . انظر : المعاضيدى الدكتور خاشع ، دولة بني عقيل في الموصل (بغداد ١٩٦٨م) .

(٥) الحميدان ، المرجع السابق ، ص ١٢٨–١٢٦ .

الاصيفر الاعرابي أو المنتفقي) عام (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) التي وردت متشابهة عند كل من ابن خلدون والمصادر الاخرى (١) .

٥ـ اما ما يمكن ان يتبادر الى الذهن من قول ابن خلدون ان نهاية بني الاصفر كانت ببني عقيل وان الاصفر من بني ثعلبة (كما يدعي ابن خلدون) فهو اذا من بني ثعلبة بن الحارث بن انمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن افصى بن عبد القيس ، وعلى هذا فهو جد العيونيين الذين ينتسبون ايضا الى الحارث بن انمار من عبد القيس ، ان هذا الاحتمال مردود من عدة وجوه منها ان العيونيين مريون لا ثعلبيون ولا تغلبيون (٢) وذلك بشهادة الحسين بن ثابت (٣) وابن المقرب العيوني شارح الديوان والاصبهاني (٤) ، فيذكر الاخير انه كان في البصرة سنة (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) التقى باحد شعراء عبد القيس المدعو الحسين بن ثابت بعد ان نقم عليه امير الاحساء والقطيف ابو سنان محمد بن الفضل (المرى) (٥) .
كما ان مؤرخي الامارة العيونية ذكروا انها بدات بامارة عبد الله بن علي ولم تكن استمرارا لامارة الاصفر او غيره ، اضافة الى ان الاصفر (او الاصفر باختلاف النسخ) كان اعرابيا من اهل البادية باجماع المؤرخين (٦) ، والعيونيون من عبد القيس اهل حواضر ولم يرد عنهم انهم سكنة البوادي وذلك بشهادة شاعرهم ابن المقرب وشارح

---

(١) انظر هذه الحادثة في ابن خلدون ، تاريخ ، ٢١٦/٤ . قارن ذلك مع كل من : ابن الجوزى ، المنتظم ، ٢٢٧/٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٨٢/٩ . سبط ابن الجوزى ، مراة الزمان ، ص ٢٦٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٣٣/١١ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢١٠/٤ .

(٢) ابو عبد الرحمن الظاهرى ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٣) الحسين بن ثابت هو احد شعراء عبد القيس في البحرين في القرن السادس الهجرى انظر ترجمته ، الاصبهاني ، تكملة خريدة القصر ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٤٦٢ . تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٧ . الظاهرى ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٥) الاصبهاني ، تكملة خريدة القصر ، ص ٨٦١ .

(٦) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٧٤/٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٠٥/٩ ، ٣١٣ . سبط ابن الجوزى ، مراة الزمان ، ص ٢٦٧ . ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ٢١٠/٤ .

الديوان . ثم ان اغلب المؤرخين عدا ابن خلدون ذكروا ان (الاصفر او الاصيفر او الاصفر) منفقي اي انه من المنتفق بن عقيل بن عامر بن صعصعة ، وقد تقدم ما يوضح التباس الامر على ابن خلدون .(١) (٢)

٦ـ واخيرا فان ما يعزز ما ذهبنا اليه من ان امارة للاصيفر المنتفقي (من بني عقيل) ربما قامت في منطقة البادية بين البحرين والكوفة والبصرة هو ان القرامطة في الاحساء كانوا يدفعون لهؤلاء الاتاوة حتى منتصف القرن الخامس الهجري ، بدليل ان عبد الله بن علي عندما قضى على القرامطة قطع تلك الاتاوة التي كان يدفعها القرامطة لبني عقيل مما ادى الى ثورتهم الكبيرة ضده .(٣)

عندما جاء منتصف القرن الخامس الهجري كان الجو السياسي العام في منطقة البحرين يتمثل بظهور قوتين كبيرتين حاولت كل منهما استخدام نفوذها للسيطرة على المنطقة ، وهما الخلافة العباسية والفاطميين ، فيما تراجعت القوة الثالثة محاولة الاحتفاظ باقل ما يمكن من النفوذ في سبيل البقاء ، وتتمثل القوة الثالثة بالقرامطة الذين حاولوا التقرب الى الاهالي عن طريق تقديم الخدمات العامة وبذل الاموال من اجل كسب التاييد ، ولكنها بالرغم من هذه الجهود فشلت في مواجهة المد الكبير الذي تمثل في ثورة القبائل العربية المدعوم من قبل الخلافة العباسية .(٤)

تتمثل الجهة الثانية التي حاولت السيطرة على المنطقة في هذا الوقت بالفاطميين ، فقد ادرك الفاطميون مدى الخطر الذي يعرض مصالحهم في الخليج والجزيرة العربية بسبب انحسار قوة القرامطة فارسلوا دعاتهم الى المنطقة منذ

---

(١) انظر : ديوان ابن المقرب ، ص٢٥٢ـ٢٥٨ ، ٦٣١ـ٦٤٢ . تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ، ص٢٦٨ ، ٢٧٠ . انظر ايضا : البكري ، معجم ما استعجم ٣٢٧/١ .

Kaskel , Abd-Al Qais , in E.I., p. 73.

(٢) القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق علي الخاقاني (بغداد ١٩٥٨م) ص٣٠٥ .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥٧ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١٠١ . العقيلي ، المرجع السابق ، ص١٩١ .

(٤) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص١٤٣ وما بعدها .

النصف الاول من القرن الخامس الهجرى ، (١) وقد اوكلوا مهمة الاشراف على الدعوة هناك الى علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن ، (٢) ويستفاد من خطاب ارسله علي الصليحي الى المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) بانه حارب رجلا من هجر اسمه ابن عراف وهزمه وقد شكر المستنصر الفاطمي علي الصليحي على هذا العمل وعين داعية في البحرين اسمه عبد الله بن ابراهيم بدل الذى توفى وهو اسعد بن عبد الله ، (٣) كما تشير السجلات المستنصرية الى داع اخر في الاحساء وهو عبد الله بن علي العلوى وتشيد بجهوده التي يبذلها من اجل الدعوة هناك، (٤) ويبدو ان رد الفعل الفاطمي تجاه احداث البحرين لم يكن بالمستوى الموازى لرد فعل الخلافة العباسية فيها ، وهذا ما ادى بالتالي الى انحسار النفوذ الفاطمي من المنطقة اذ لم نعد نسمع لها ذكر في السجلات المستنصرية بعد منتصف القرن الخامس الهجرى على عكس عمان التي استمر نشاط الدعاة فيها الى بعد هذا التاريخ على الرغم من انهم لم يحققوا فيها ايضا اى مكاسب سياسية . (٥)

اما الخلافة العباسية فقد عملت على كسب ود القبائل العربية ومساعدتها من اجل مد نفوذها على المنطقة وذلك لما لها من اهمية كبيرة لوقوعها على طريق حاج العراق من جهة وخطوط التجارة البحرية ومصائد اللؤلؤ الذى يعد ثروة يحسب حسابها انذاك من جهة اخرى ، وكانت الصفقة الاولى التي عقدتها الخلافة مع الاصيفر المنتفقي وذلك لضمان سلامة قوافل الحاج والمدن المتاخمة للبادية من

---

(١) ماجد ، د . عبد المنعم ، سياسة الفاطميين في الخليج العربي ، المؤرخ العربي العدد (٢) سنة ١٩٨٠م ، ص٤٠٧ .

(٢) علي بن محمد الصليحي ، يمني الاصل اسماعيلي المذهب قاد في عام ٤٢٩هـ حركة استولى فيها على معظم بلاد اليمن واستطاع تكوين دولة بالتعاون مع الفاطميين في مصر شملت ايضا حضرموت والحجاز ، اغتيل وهو في طريقه الى مكة عام ٤٥٩هـ ، انظر عنه : عمارة اليمني ، نجم الين عمارة بن علي ، المفيد في اخبار صنعاء وزبيد ، تحقيق محمد علي الاكوع ، (ط٢، ١٩٧٦م) ص٩٥-١٢٦ . ابو مخرمة ، عبد الله ابن الطيب ، تاريخ ثغر عدن (ليدن ١٩٣٦م) ١/ ١٠٩-١٦٤ .

(٣) الهمداني ، حسين ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (القاهرة ١٩٥٥م) ص٢٢٤ .

(٤) السجلات المستنصرية ، تحقيق عبد المنعم ماجد (مصر ١٩٥٤م) ص١٧٦-١٧٩ .

(٥) ماجد ، المرجع السابق ، ص٤٠٩-٤١٠ .

هجمات الاعراب، الا ان الاصيفر لم يف بالتزاماته تجاه الخلافة فاستمر بالتعرض للحاج (١) حتى وفاته عام (٤١٠هـ/ ١٠١٩م)، مما حدا بالخلافة الى التفتيش عن حليف (٢) جديد في المنطقة، ويبدو ان قبائل عبد القيس كانت الحليف المناسب الذي يمكن الاعتماد عليه اذ كانوا على مذهب الخلافة ويشكلون نسبة مهمة من سكان المراكز الحضرية في البحرين (٣).

وفي عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) عندما زار ناصر خسرو الاحساء وجدها محاصرة من قبل امير عربي منذ سنة، ويستفاد من اشاراته ان هذا الامير الذي كان يحاصر القرامطة لم يكن من اهل البادية (٤)، مما يدفع الى القول ان هذا الامير ربما كان احد زعماء عبد القيس، اذ نرى ان رجالات عبد القيس تزعمت الحركات ضد القرامطة في ثلاث مراكز مهمة من اقليم البحرين وهي جزيرة اوال والقطيف والاحساء، الا ان ذلك لا يعني بالضرورة ان جميع عبد القيس توحدوا ضد القرامطة، فقد وقف قسم منهم الى جانب القرامطة ضد حركة ابي البهلول في جزيرة اوال — كما سنرى — كما ان جميع من ناهضوا القرامطة من عبد القيس لم يكونوا متحدي الكلمة اذ جمعهم اسم عبد القيس وفرقتهم المصالح.

ان اول حركة اتخذت طابعا دينيا وسياسيا ضد القرامطة هي حركة ابي البهلول

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ٧/ ١٧٠؛ ابن الاثير، الكامل، ٩/ ١٠٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٤٨.

(٢) انظر عن نشاط الاصيفر وتعرضه للحاج ص ٤٠ وما بعدها من البحث.

(٣) البكري، معجم ما استعجم، ١/ ٨٠.

Kaskel, Abd- Al Qais , in E.I, pp.73-74.

(٤) ناصر خسرو، سفر نامة، ص ١٤٥.

محمد بن يوسف الزجاج وهو احد زعماء عبد القيس في جزيرة اوال وقد كان ضامنا (١) لمكوسها فطمع بالاستيلاء على الجزيرة لما راى من ضعف القرامطة وانحلال امورهم وكان له اخ خطيب مشهور بالتدين فاتفق مع اخيه ان يبدل القرامطة في (٢) الجزيرة وينضم الى الخلافة في بغداد ، فعملوا الحيلة للوصول الى غايتهم ، فارسلوا الى ناظر القرامطة وممثلهم في جزيرة اوال مبلغ ثلاثة الاف دينار على ان يمكنهم من بناء جامع يجتمع اليه من احب من اهل البلد والمسافرين لان البلد خال من جامع تصلى فيه الجمعة ، كما ان قيامها يعني مجيء المزيد من التجار والمسافرين الى الجزيرة مما يضاعف لهم الربح ، عند ذلك رفع والي القرامطة وممثلهم المدعو جعفر بن ابي محمد بن عرهم هذا الطلب الى القرامطة في الاحساء فجاء الرد بالموافقة ، فلما تم بناء الجامع صعد ابو الوليد الزجاج المنبر (٣) وخطب للخليفة القائم بامر الله ، وقد استنكر انصار القرامطة هذا الامر على ابن (٤) الزجاج وطالبوا ان تمنع الخطبة والصلاة في الجامع وارسل الى القرامطة للمشاورة واتخاذ ما يلزم فاجابوا (الا يعترضوا في مذهبهم ولا يمنعوا من خطبهم (٥)) ، ان موافقة القرامطة على اعمال ابن الزجاج دليل اكيد على مدى الضعف الذي وصلوا اليه وحاولتهم عدم اثارة الاهالي ضدهم ، وقد ادرك ابن الزجاج ذلك ، لذا لم يبال بكل الاصوات التي حاولت الوقوف ضده ، فعندما قامت حركة البساسيري في

---

(١) ابن المقرب ، تاريخ ، ص ٥٣ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ط ١ مصر ١٩٦٧ م) ٤/٢٥٨ .

(٢) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٣٦ ، هامش (٦٠ — ٦٦) ، النبهاني ، الشيخ محمد بن خليفة ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، (ط ٢ مصر ١٣٤٢ هـ) ٨/ ٦٣ .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٧ .

(٤) تولى القائم بامر الله الخلافة في عام ٤٢٢ هـ وتوفي في عام ٤٦٧ هـ . انظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط ١ مصر ١٩٥٢ م) ص ٤١٧ — ٤٢٣ .

(٥) تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٥٧ .

بغداد في ذي القعدة عام (٠ ٤٥هـ/ ١٠٥٨م) وخطب للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد اعترض انصار القرامطة في الجزيرة على ابي الوليد الزجاج ومنعوه من الخطبة وقالوا له (ان الذي كنت تخطب له قد بطل وصارت الخطبة بالعراق للمستنصر بالله صاحب مصر ويجب ان تكون الخطبة له دون من بطل حكمه) (١) الا ان ابا البهلول رفض طلبهم وارسل الى القرامطة بمجموعة من الاموال مقابل عدم التعرض له فاجابوه بالرضا ، وبذلك ارتفع شان ابي البهلول في الجزيرة وذاع صيته وقوى امره ، ثم حاول اظهار تقربه الى اهل البلد فاتفق معهم بتقسيط الاموال التي تدفع الى القرامطة فاذا رفض طلبهم امتنعوا عن دفع الاموال ، فذهب الى ناظر القرامطة ابن عرهم وساله التخفيف عن اهل البلد بتقسيط الاموال عليهم ، ولما رفض طلبهم اضطربوا عليه وامتنعوا عن دفع الاموال ، وعند ذلك ارسل ابن عرهم الى القرامطة يستشيرهم بالامر حيث لم تكن له طاقة بابي البهلول ، عندئذ نفذ صبر القرامطة فقرروا عزل ابن عرهم عن الجزيرة وتولية شخص اخر وامروه بالقبض على ابي البهلول ومصادرة امواله (٢) ، الا ان ابا البهلول جمع اهله واقاربه واستمال شخصا اخر يدعى ابن ابي العريان وهو ايضا احد رجالات عبد القيس في جزيرة اوال وطلبا من اصحاب البساتين والضياع عدم تسليم الاموال الا باجابة مطالبهم ، فاجتمع معهم نحو ثلاثين الف رجل ، وعندما عرف والي القرامطة الجديد ذلك قرر القبض على ابي البهلول وابن ابي العريان الا انهما عاجلاه بالرجال والقتال فهرب الى السفن في البحر بعد ان قتل عدد من اصحابه (٤) ، وبذلك تمكن ابو البهلول من الاستيلاء على الجزيرة ، ولما لم يكن القرامطة في وضع يمكنهم من القضاء عليه لذلك

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥٧ .

(٢) ن ٠م ص ٢٥٧ .

(٣) ديوان ابن المقرب ص ٦٣٩ ، هامش (٧٥ ، ٧٦) ، تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥٦ .

(٤) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٨ .

قرروا طلب المساعدة من عمان ، فارسل وزير القرامطة ابو عبد الله بن سنبر بعض اولاده الى عمان لطلب المساعدة من المال والسلاح (١) ، ولا نعرف بالضبط الجهة التي ساعدت القرامطة من عمان ، اذ ان عمان في هذا الوقت كانت تعيش حالة من الانقسام ايام امامها حفص بن راشد (٤٤٥ـ٤٥٣هـ/١٠٥٣ـ١٠٦١م) كما ان الغزو السلجوقي لها لم يقع بعد (٢) ، لذا نرجح ان المساعدة ربما جاءت من بعض القبائل الساكنة في شمال عمان التي كانت تحت النفوذ القرمطي سابقا وخصوصا بني الحدان من الازد الذين وصفهم ابن المقرب بانهم قد طمعوا في الملك مع القرامطة (٣) ، كما كانت صلتهم بالقرامطة قديمة ترجع الى نهاية القرن الثالث الهجري (٤) ، والمساعدة تتكون من خمسة الاف دينار وثلاثة الاف رمح ولكن ابا البهلول وابن ابي العريان كمنوا لهم في طريق العودة فاستولوا على المال والسلاح وقتلوا الرجال (٥) ، وقد عز على الوزير القرمطي ابن سنبر وقوع هذا الحادث فعمل الحيلة للتفريق بين ابن ابي العريان وابي البهلول ، فكاتب الاول سرا ووعده بان يوليه الجزيرة ان ساعده على ابي البهلول ، فوافق ابن ابي العريان على هذا العرض على ان تأتي العساكر القرمطية الى جزيرة أوال ويقوم هو بقتل ابي البهلول ثم ينحاز الى القرامطة بعد اقناع اصحابه ان لا سبيل الى مقاومة القرامطة (٦) ، ومن جانب اخر عمل القرامطة على استمالة عدد كبير من قبائل بني عامر وذلك عن طريق بذل المال لهم ، ولا ننسى ان بني عامر كانوا الحلفاء المخلصين للقرامطة منذ قيام دولتهم

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٨ . المسلم ، المرجع السابق ص ١٥٧ .

(٢) انظر عن حالة عمان في هذه الحقبة ص ٩٦ من البحث .

(٣) ديوان ابن المقرب ، ص ٦٠٩ ، هامش (٧٧ ، ٧٨) .

(٤) ترجع صلة القرامطة بالحدان من الازد اليمانية الى نهاية القرن الثالث الهجري عندما اعتنق احد ائمة الاباضية المذهب القرمطي وتعاون معهم مما حدا بالاباضية في عمان الى البراءة منه ، انظر التفصيلات ، جاسم ياسين محمد ، المرجع السابق ، ص ٦٠ـ٦٤ .

(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٨ . المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٦) ن . م ، ص ٢٥٨ .

في البحرين حتى نهايتها (١)، كما تمكن القرامطة من استمالة شخص اخر من عبد القيس هو بشر بن مفلح الذي وصفته المصادر بانه احد العيونيين (٢)، حيث وعدوه هو الاخر بولاية جزيرة أوال اذا تم استرجاعها من ابي البهلول (٣)، وهكذا فان القرامطة قاموا باستنفار قواتهم كافة وجمعوا انصارهم من اجل استرجاع الجزيرة لانهم ادركوا ان خروجها من ايديهم يعني حرمانهم من مورد اقتصادي مهم كان ياتيهم من الضرائب المفروضة على التجارة والغوص على اللؤلؤ، ولهذا نراهم يبذلون كل ما في وسعهم لاسترجاع جزيرة أوال .

وعندما عرف ابو البهلول بالمؤامرة التي حيكت ضده قرر الابتداء بابن ابي العريان فارسل من قتله سرا وعندما اتهموه بقتله سارع الى انكار ذلك وارضى اقاربه بالمال فسكتوا عنه، ثم اخذ يعمل على تنظيم جيشه في كل من البر والبحر، اما القرامطة فقد اتجهوا الى الجزيرة بقيادة الوزير القرمطي ابو عبد الله بن سنبر بلغ عددهم مئة وثمانين قطعة حربية مشحونة بالرجال من بني عامر وخمسمائة من الخيل محملة في السفن، فلما نزلوا الى الجزيرة لم يتوقعوا حربا اذ لم يعلموا باغتيال ابن ابي العريان، وهكذا فوجئوا بهجوم صاعق قام به ابو البهلول على جيش القرامطة وحلفائهم في موضع يدعى كسكوس (٤) وتمكن من ايقاع الهزيمة في الجيش القرمطي وحلفائه فقتل واسر عدد كبير منهم وبذلك تم لابي البهلول الاستقلال بالجزيرة اذ لم يتمكن القرامطة بعدها من المعاودة اليها وانسحبوا الى الاحساء فيما عمل ابو البهلول في المسارعة بمكاتبة الخلافة لتساعد على تقويض ما تبقى من حكم

---

(١) الحميدان، المرجع السابق، ص ٨٠ .

(٢) ديوان ابن المقرب، ص٥٣٢، هامش (٥٥)، الاحسائي، تحفة المستفيد، ص ٩٨ . النبهاني، التحفة النبهانية، ٨/ ٦٣ .

(٣) الاحسائي، تحفة المستفيد، ص ٩٨ .

(٤) كسكوس: هي جزيرة صغيرة تقع قرب الدمام، الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية، المنطقة الشرقية (الرياض ١٩٧٩م) ١/ ٤٠٢ .

القرامطة في البحرين واقامة الخطبة للخلافة فيها .(١)

ان النجاح الذى حققه ابو البهلول في جزيرة اوال دفع زعامات طامحة اخرى من عبد القيس الى التحرك في بقية مناطق البحرين لتقويض وانهاء نفوذ القرامطة بصورة كاملة ، فكانت القطيف المحطة الثانية التي شهدت ثورة على الحكم القرمطي فيها ، فقد ثار يحيى بن عياش الجذمي (٢) وتمكن من اخراج القرامطة من القطيف والاستيلاء عليها ولم يتمكن القرامطة من التصدى له فاضطروا الى التقهقر الى الاحساء والاحتماء داخل اسوارها فتحرك اليها زعيم ثالث من عبد القيس وهو عبد الله بن علي العيوني ، نسبة الى العيون (٣) وهي محلة تقع شمال الاحساء ، حيث طمع هو الاخر في اخذ حصته من القرامطة والاستيلاء على البلاد ، ولا يعرف تاريخ خروج كل من ابن عياش وعبد الله بن علي على القرامطة ، الا اننا نرجح ان ذلك كان في ستينات القرن الخامس الهجرى ، اذ اجمعت المصادر ان استيلاء عبد الله بن علي على الاحساء كان في عام (٤٦٦هـ/١٠٧٦م) وان حربه مع القرامطة دامت سبع سنوات (٤) .

مما مر يتبين ان البحرين في بداية عقد الستينات من القرن الخامس الهجرى كانت موزعة الى ثلاث مراكز هي جزيرة اوال تحت زعامة ابي البهلول ، والقطيف بزعامة يحيى بن العياش ، والاحساء بيد القرامطة ومحاصرة من قبل عبد الله بن علي ، ان هذه الزعامات الثلاثة كلها ترجع في اصولها الى عبد القيس ولكنها لم تتفق فيما بينها منذ البداية فكل منهم شق طريقه بمفرده ، وحاول الاستيلاء على بلاد البحرين كافة ، وهكذا دخل الثلاثة في حلبة الصراع والعدو الاكبر (القرامطة) ما يزال متقوقعا داخل حصون مدينة الاحساء ، وقد وجه الثلاثة انظارهم الى بغداد التي

---

(١) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٨ ، ٢٥٨ . النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٨/ ٩٨ . امين الريحاني ، ملوك العرب ، ط٤ بيروت ١٩٦٠م) ٢/ ٢٥٠ .

(٢) يحيى بن عياش الجذمي نسبة الى بني جذيمة زعماء عبد القيس في القطيف في نهاية القرن الثالث الهجرى الذين قتلهم ابو سعيد الجنابي ، تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٦ . انظر ايضا : المسعودى ، التنبيه والاشراف ص ٣٤٠ .

(٣) ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٣/ ٧٦٦ .

(٤) تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٦٠ . الاحسائي تحفة المستفيد ، ص ٩٨ . النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٨/ ٩٦ .

اخذت تراقب الموقف باهتمام كبير لترى من سيفوز كي تقدم له المساعدة الضرورية التي تعيد سيادتها على المنطقة ، وحتى لا تستبق الاحداث لتتابع خطواتها .

عندما استولى يحيى بن العياش على القطيف طمع في السيطرة على بلاد البحرين كافة، وحاول الابتداء بجزيرة أوال ولكن المنية عاجلته فتولى ابنه زكريا حكم البلاد مكانه وقد حقق خطة ابيه اذ جهز جيشا عبر فيه الى جزيرة أوال وتمكن من الحاق الهزيمة بابن البهلول وقتله وضم الجزيرة الى ملكه (١) . وبذلك علا نجم زكريا بن يحيى بن العياش وزاد صيته فرغبت الخلافة في مراسلته ، ويبدو ان اول اتصال حدث بين الطرفين كان في البصرة بين وفد ابن عياش ووفد يمثل الخلافة ، اذ عرض اصحاب ابن عياش على وفد الخلافة تقديم مساعدة تقدر بمائتي فارس الى زكريا صاحب القطيف كي يتمكن بواسطتها من القضاء على القرامطة في الاحساء وتقام الخطبة العباسية هناك ، وتعهد الوفد بدفع مبالغ سنوية الى الخلافة والسلطنة في بغداد ، الا ان وفد بغداد برئاسة ابن الزراد وهو احد خدمة حجاب السلطان ملكشاه السلجوقي الذى تردد بين القطيف وبغداد اطمع السلطان ووزيره نظام الملك بضرورة السيطرة على تلك النواحي ، واتفق مع امراء البدو القاطنين على الطريق بين العراق والبحرين باعطائهم حصة من الغنائم متجاهلا زكريا بن يحيى بن العياش حاكم القطيف (٢) وهكذا تجمع الجيش في البصرة للخروج باتجاه البحرين بقيادة قائد حجاب السلطان المدعو

---

(١) ابن لعبون ، تاريخ ، ص٥٣ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص٩٨ . النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٩٤/٨ . المسلم ، المرجع السابق ، ص١٥٨ .

(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٢ .

كجلينا فلما وصلوا الى موضع جبل سنام (١) كانوا يتوقعون انحياز العرب في البادية اليهم ، الا ان احدا يجلون العرب من قيس وقبات (٢) نزلوا على طريقهم طمعا فيهم وجرت مناوشات تغلب فيها كجلينا ولكنه لم يستطع ملاحقتهم فبدأ يلاطفهم وهم يسايرونه ويبتاعون التمر والذرة بالثمن الذي يريد ونه فلما صار على مقربة من القطيف وراسلوا ابن عياش وجدوا الامر بخلاف ما جاءوا عليه فعلموا ان ابن الزواب قد كذبهم ، وكان جواب ابن عياش اليهم ان الذي استقر بينه وبين وفدهم هو ان ينفذ السلطان مائتي فارس يكونون تحت زعامة ابن عياش ورأيه ، اما طبل واعلام وقيادة وسلطان فهذا ما لا يمكن الموافقة عليه ، وقد ابدى ابن عياش تحفظه من الاجتماع مع قائد الجيش كجلينا اذ ذكره بغدره بقبائل العرب من قيس وقبات ثم عرض عليه ان يرجع الى البصرة ويسلم القوات التي معه اليه يسير بها الى الاحساء ليستولي عليها ويقيم الخطبة العباسية ويرسل الاموال السنوية الى بغداد ويعكسه فانت (كالسبع في الاجمة وحولها الاعداء لا يمكنك المقام ولا العود) (٣) ، ثم جرت بينهم مراسلات لم تؤد الى نتيجة فوقعت الحرب بينهما ، وفي اليوم الثالث منها عمل ابن عياش على استمالة قبائل قيس وقبات حيث اخذوا جمالهم واحمالهم وما عليها من متاع وساروا فيها في البرية ، فلما علم كجلينا بذلك انسحب من المعركة وسار وراء قبائل قيس وقبات فنهب معسكره ولم يظفر بالعرب ، وقد اوشك هو وجنده على الهلاك لولا مجيء شبانة (٤) والشبانات مع

---

(١) جبل سنام : هو تل منعزل يبعد خمسة اميال عن مدينة سفوان ويبلغ ارتفاعه ٤٣٠ قدم ، لوريمر ، ج ، دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي (ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ، بيروت ١٩٦٩م) ٦/٢١٤٨ .

(٢) يذكر شارح ديوان ابن المقرب ان قيس وقبات من بطون عرب المنتفق ، تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٦٢ .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٣ .

(٤) الشبانات هم احد بطون بني عامر بن صعصعة في الاحساء ، القلقشندي ، نهاية الارب ، ص ١٠١ . ومما هو جدير بالذكر هنا ان الدكتور الحميدان يشير ان بني عامر (كانوا هم القوة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت بجانبهم حتى النهاية .. فقد وقفوا الى جانب القرامطة في محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبد الله بن علي) ، امارة العصفوريين ، ص ٨٠ - ٨١ ، ولكننا نرى في هذه الحادثة ان بني عامر يقدمون المساعدة السخية الى الجيش العباسي الذي جاء للقضاء على القرامطة والذي لولا هم لهلكوا جميعا .

من عربه وقدموا لهم الغذاء والجمال بالثمن الذى يريدونه حتى اوصلوهم الى البصرة فخلع كجلينا على شبانة واصحابه الذى كان من الممكن ان يهلكوا في البرية لولاه (١).

ان الهزيمة التي حلت بجيش الخلافة في القطيف جعلت انظارها تتجه الى الشخص الاخر من عبد القيس وهو عبد الله بن علي العيوني الذى كان ما يزال يحاصر القرامطة في الاحساء ويضيق عليهم الخناق ، وكان عبد الله بن علي قد كتب في عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م) الى كل من الخليفة القائم بامر الله والسلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك يدعوهم فيها الى مساعدته للقضاء على القرامطة واقامة الخطبة العباسية في البحرين، وعند ذاك قررت الخلافة ارسال جيش الى هناك للانتقام اولا من ابن عياش الذى حارب الجيش العباسي ثم لمساعدة عبد الله بن علي في القضاء على القرامطة ، وقد اسندت قيادة الجيش الى اكسك سلار (٢) وكان عددها سبعة الاف فارس توجه فيها نحو القطيف اولا حيث تمكن من احتلالها وهرب ابن عياش الى جزيرة اوال ، ثم توجه نحو الاحساء حيث كان عبد الله بن علي يحاصرها واشترك معه في عمليات مطاردة الاعراب من بني عامر الذين كانوا يساندون القرامطة واحكم الحصار عليهم فارسلوا اليه يطلبون الصلح على مال يدفعونه اليه شرط ان يمهلهم شهرا يتمكنون خلاله من جمع المال مقابل اخذ ثلاثة عشر رجلا منهم رهينة ، فتم الصلح واخذ الرهائن ، ولكن القرامطة عملوا على جمع الاطعمة والاسلحة وادخالها الى اسوارهم ليتقووا بها ثم نقضوا الصلح فقتل الرهائن وشدد الحصار عليهم ولكن اطالة امد الحصار جعل الجند يتضجرون من ذلك ، فشاور قائد الجيش العباسي عبد الله بن علي بالامر وعرض عليه ان يجعل معه من الجند مائتي فارس مع اخيه البقوش وان يرجع هو الى بغداد ، وبعد و ان

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٣ .

(٢) اكسك سلار : وقيل اسمه ارتق بك وهو غلام تركي تولى حلوان والجبل ثم القدس للسلاجقة واصبح من قادتهم المشهورين توفي عام ٤٨٤هـ . انظر : ابن خلكان المرجع السابق ، ١/ ١٩١ .

رجوعه كان عبارة عن عملية استبدال الجند ، اذ اكد للخلافة في بغداد ضرورة الرجوع لاستخلاص البلاد من القرامطة ، وكان الخليفة انذاك المقتدى بامر الله (٤٦٧ ـ ٤٨٧هـ / ١٠٧٤ ـ ١٠٩٤م) فاخذ التوقيع منه وقد جاء فيه : (الحمد لله الموحد بالجمال والبهاء المتفرد بالقدرة والكبرياء المنجي من غياهب الشرك برسالة محمد صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق محتدا واصلا ، واشرفهم درجة ومحلا ، النبي العربي سيد الانبياء وخاتم الاصفياء ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، الحمد لله الذى عضد الاسلام بالخلفاء الراشدين المهديين الذين ازال الله بهم الزيغ والمنكر ، وجعل الاقتداء بهم سبيل النجاة ، يوم الفزع الاكبر وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله فقال عز من قائل : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فصارت طاعة امير المؤمنين لازمة الوجوب ، واضحت قلوب اهل الزيغ منه دائمة الوجوب ، وغدت راياته حيث يممت منصورة ظاهرة ، وفتوحه متتابعة متقاطرة ، فالله يمتع امير المؤمنين بالنعمة فيه ولا يخلي دولته من حميد مساعيه ، وليعلم يك سلار ان الخليفة وقف على ما كان له من جميل الخدمة ، وامتثال الامر في جهاد المبطلين القرامطة الملحدين ، فليستمر في استئصال ذكرهم ، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم ، قال تعالى : قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبكم (٢) ، وليعتمد احماد السيرة فيما فتحه الله عليه من تلك الاعمال وليقدم صالحا ليوم تجد فيه : كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد (٣)) . ثم انحدر اكسك سلار الى واسط وهناك وافاه رسول اخيه المقوص فذكر ان اعدادا كبيرة من بني عامر جاءت مددا الى القرامطة فكانت

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٢) الاية (١٤) من سورة التوبة .

(٣) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ٩٦ .

معركة حامية في موقع يسمى الرحلين حيث كانت الهزيمة على القرامطة واتباعهم من بني عامر وقد ملك عبد الله بن علي البلد واعطاهم الامان وذلك في سنة (٤٦٩هـ/١٠٧٦م) وبذلك اسدل الستار نهائيا على دولة قرامطة البحرين بعد حكم دام اكثر من قرن ونصف.(١)(٢)

ان نهاية قرامطة البحرين لاتعني نهاية الصراع فيها، اذ تحول الصراع بين زعماء عبد القيس انفسهم، فقد ظل زكريا بن يحيى بن العياش في جزيرة اوال يتحين الفرص للقضاء على عبد الله بن علي، وما ان انسحب الجيش العباسي الى البصرة حتى ارسل ابن عياش سرية للاغارة على الاحساء فاصطدمت مع جيش عبد الله بن علي في قرية تسمى ناظرة فوقعت الهزيمة على جيش ابن عياش واضطر الى الانسحاب الى القطيف ولكنه لم يتمكن من الصمود فيها فعبر الى جزيرة اوال وتبعه الفضل بن عبد الله بن علي واشتبك مع جيش ابن عياش في معركة قتل فيها وزيره المعروف بالعكروت وكان يوصف بالشجاعة والدهاء، فلما راى ابن عياش مقتل وزيره هرب الى العقير وقام بجمع الاعراب حوله وزحف بهم نحو القطيف فالتقى بعبد الله ابن علي الذي اوقع به وقتله وبذلك انتهت حركة ابن عياش وخضعت كل من جزيرة اوال والقطيف والاحساء الى حكم عبد الله بن علي العيوني.(٣)(٤)(٥)

---

(١) الرحلين: موضع بالاحساء بين بلد العمران وحيرة الاصفر، الاحسائي، تحفة المستفيد، ص١٠٠، وفي ديوان ابن المقرب ان الوقعة كانت بين باب الشمال وباب الاصفر وقتلى القرامطة امتدت من نهر الخندق الى الباب، ديوان ابن المقرب، ص٥٣٦.

(٢) الاحسائي، تحفة المستفيد، ص ٩٦ - ١٠٠، ٢٦٠.

(٣) ناظرة: وهي كثبان من الرمل تقع شرق منطقة الهفوف، ديوان ابن المقرب، ص ٥٣٨ هامش (٩١).

(٤) العقير: ذكرها ياقوت بانها (قرية على شاطئ البحر بحذاء هجر) معجم البلدان، ٣/٦٩٩.

(٥) ديوان ابن المقرب، ص ٥٣٩، هامش (٩٠-٩٦). النبهاني، التحفة النبهانية، ٨/٩٦. المسلم، المرجع السابق، ص٦١.

٦- الامارة العيونية في البحرين

بدأ حكم الإمارة العيونية في البحرين في نهاية ستينات القرن الخامس الهجرى وقد مرت هذه الإمارة منذ تأسيسها حتى نهايتها بأربع مراحل كانت الاولى منهـــا قوية متماسكة استطاعت خلالها اخضاع بلاد البحرين والمناطق المجاورة لها الـــى نفوذها ، كما تمكنت من القضاء على الاخطار التي واجهتها في الداخل والخارج ، وقد حكم خلال هذه المرحلة ثلاثة امراء هم مؤسس الامارة عبد الله بن علي وولده الفضل وحفيده ابو سنان ، وبعد موت ابو سنان تنافس الامراء العيونيون فيما بينهـــم على الحكم وكثرت بينهم الحروب وانقسمت بلاد البحرين الى مركزين للحكم احدهمـــا في القطيف والاخر في الاحساء بعد ان كانت موحدة ، ودب الضعف فيها حتـــى طمع فيهم القريب والبعيد وكادت ان تسقط لولا مجيء محمد بن ابي الحسيـــن الذى استعادت الامارة في ظله وحدتها وقوتها وبلغت اوج اتساعها الا ان مقتله جعل الامارة تعود مرة اخرى الى ما كانت عليه من انقسام فدخلت مرحلتها الاخيرة التي اتصفت بالضعف والانحلال حتى نهايتها في ثلاثينيات القرن السابع الهجرى .

المرحلة الاولى - عصر القوة والازدهار - .

أ - عبد الله بن علي العيوني :-

هو عبد الله بن علي بن محمد بن ابراهيم العيوني العبقسي (١)(٢) والعيوني نسبة الى بلدة العيون التي تقع على مشارف الاحساء ، والعبقسي نسبة الى عبد القيس وهي احدى اشهر القبائل العربية التي استقرت في البحريـــن قبل الاسلام (٣) ، اما العيونيون فكل ما نعرف عن نسبهم انه ينتهي الى ابراهيم بن محمد المهدي البحراني العيوني وانهم من بني مرة احد بطون عبد القيس في البحرين (٤).

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥ ، ابن لعبون ، تاريخ ، ص٥٢ .

(٢) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص٦٨ .

(٣) ابن حزم ، ابو محمد علي ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون (مصر ١٩٦٢م) ص٢٩٦ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ١/٨٠ ، ابن لعبون ، تاريخ ، ص ٥٠-٥٢ .
Kaskel, Abd-Al Qais in E.I.p.73.

(٤) تحفـــــة المستفيـــــد ملحق رقم (٣) ، ص٢٧ ، الاصبهاني ، تكملة خريدة القصر ، ص٥٢٨ .

كان عبد الله بن علي مؤسس الامارة العيونية على درجة من الشجاعة والذكاء مما مكنه من توطيد اركان حكمه والقضاء على جميع مناوئيه سواء بالحرب ام بالاساليب الاخرى ، فعندما تم له اخضاع الاحساء لسيطرته لم يخرج منها من كان على عقيدة القرامطة وانما اقرهم على املاكهم رد وهم ما داموا مذعنين لحكمه (١) ولكن هؤلاء عندما راوا انسحاب جيش الخلافة من الاحساء راسلوا سرا بني عامر الذين ابعدهم عبد الله بن علي الى الصحراء واطمعوهم في ملك البلد ، فاقبل بنو عامر في اعداد كبيرة وسالوا عبد الله بن علي ان يجري لهم من الاموال مثل ما كان الامر ايام القرامطة ، فقد كانت لهم خفارة البادية وحماية الطرق التجارية لقاء مبالغ معينة تدفعها لهم القرامطة ، وهو موقف سليم اذ يخفف عنهم اعباء امنية ومالية كبيرة ويؤمن سير القوافل الا انه في الوقت نفسه مؤشر على ضعف السلطة ، (٢) ولهذا رفض عبد الله بن علي ان يدفع لهم ما سألوه فكانت الحرب بينهما ، ويذكر شارح ديوان ابن المقرب ان المعركة كانت بين نهرى محلم وسليل في الاحساء (٣) ، اما الاحسائي فيشير الى انها كانت في منطقة ثغور السهلة (٤) ، وقد قدم بنو عامر الابل ومن ورائهم الفرسان وزحفوا على جيش عبد الله بن علي الذى امر بضرب الطبول والبوقات وامر السرية الصغيرة من الاتراك التي بقيت بعد انسحاب الجيش العباسي برشق الابل بالنشاب ، فرجعت الابل على بني عامر فداستهم وحمل عليهم عبد الله بن علي فكانت الهزيمة عليهم حيث لم يفلت منهم الا رئيسهم احمد بن مسعر وابو فراس بن الشباس اذ هربا الى المنتفق قرب البصرة (٥) ، وقد غنم عبد الله بن علي اموالهم ونفس نساءهم والضعفة منهم الى عمان وذلك في عام (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) (٦) .

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦١ .
(٢) الحميدان ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦١ .
(٤) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠١ .
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦١ .
(٦) الاحسائي ، تحفة المستفيد ص ١٠١ .

الا ان هزيمة بني عامر امام عبد الله بن علي لم تؤد الى انتهاء نفوذهم او تضاؤل نشاطهم فقد ظل نشاطهم مستمرا يرتبط بصورة واضحة مع قوة الامير العيوني او ضعفه ، وظلوا يمثلون قوة ضاربة وكبيرة في منطقة البادية بين البصرة والبحرين ومصدر قلق كبير لهاتين المنطقتين اذ كانوا ينظرون اليها على انها المجال الحيوى لسد احتياجاتهم المادية فعيشهم كما يقال على اطراف سيوفهم كلما اضطروا الى ذلك[(١)] ، ولهذا لم تمر غير فترة قصيرة على هزيمتهم في البحرين حتى هاجموا البصرة وكانت انذاك كما يقول ابن الاثير (امنة من داعر لان الناس في جنة من هيبة السلطان)[(٢)] ، وهذا الهجوم كما تذكر المصادر كان بسبب وشاية حققه من رجل عاملته السلطة بقسوة في البصرة فذهب الى امير بني عامر وحسن له نهبها[(٣)] ، ولكن مهما تعددت الاسباب فان السبب الاول يكمن في ان هؤلاء الاعراب كانوا لا يتورعون عن مهاجمة اى من المراكز الحضرية القريبة منهم عندما يحسون بضعف السلطة فيها ، ولهذا نرى ان الهجوم الذى حدث في عام (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م) تكرر مرة اخرى بعد فترة قصيرة ، ويصور لنا هذا الحادث كثافة بني عامر وقوتهم اذ كان جمعهم يزيد على العشرة الاف مقاتل تمكنوا من دخول البصرة ونهبها وعمل الخراب فيها ثم الانسحاب الى الصحراء[(٤)] .

ويشير ابن الاثير الى ان الشخص الذى حرض الاعراب على غزو البصرة اعتقل في البحرين بعد عام من الحادث وارسل الى بغداد حيث صلب هناك[(٥)] ، مما يدعو الى القول ان الخلافة كانت على صلة بالعيونيين في البحرين لتتبع المتسببين في هذا الحادث ، ويدل ايضا ان عبد الله بن علي انحصرت سلطته في منطقة

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ، ص٧٦ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠/ ١٨٣ .
(٣) ابن الاثير ن . م . الذهبي ، الحافظ شمس الدين ، دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت (مصر ١٩٧٤م) ٢/ ١١ . النبهاني ، التحفة النبهانية ٩/ ٢٣٦ .
(٤) ابن الاثير ، ن . م ، ٩/ ٢٣٦ .
(٥) ن . م ، ٩/ ٢٣٦ .

البحرين فقط دون باديتها وانه كان عاجزا عن ملاحقة بني عامر او معاقبتهم مما جعل خطرهم ينمو ويزداد مع تقدم الزمن وضعف الامراء العيونيين، ومع ان هجومهم على البصرة تكرر في عام (٤٦٦هـ/ ١٠٥٠م)[١] الا انهم لم يجرؤا على مهاجمة البحرين طيلة حقبة حكم عبد الله بن علي ، ومما هو جدير بالذكر هنا ان بوزورث يصف المهاجمين في هذا الحادث بانهم قرامطة البحرين ويشير الى ابن الاثير مصدر له[٢]، وهذا لم يقله ابن الاثير، كما ان القرامطة قد تم القضاء عليهم قبل هذا التاريخ كما مر بنا ، ويبدو انه تأول ما جاء في تاريخ ابن الاثير عن الرجل الذي ذهب الى امير بني عامر وقال له (انك تملك الارض وقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ فحسن له نهب البصرة)[٣] وهذا يصعب تأويله ان هؤلاء كانوا قرامطة، ويعزز ما ذهبنا اليه من ان امارة في البادية ربما استمرت في اعقاب الاصفر المنتفقي الذي كان يعترض طريق الحاج -كما مر بنا- اذ ان كلا من بني عامر والمنتفق يرجعون الى بني عقيل بن عامر بن صعصعة[٤].

ومن المشاكل التي واجهت عبد الله بن علي العيوني هي حركة البقوش وهو امير المائتي فارس التي بقيت مع عبد الله بن علي بعد انسحاب الجيش العباسي ، فقد طمع البقوش في انتزاع ولاية البحرين من عبد الله بن علي فقبض عليه ثم قتله ابنه علي بن عبد الله وهو في السجن[٥]، ان مقتل البقوش اثار غضب السلاجقة فقرروا الانتقام من عبد الله بن علي والقضاء عليه ، فسار احد امرائهم ويدعى ركن الدين والدولة قاصدا الاحساء في الف فارس وحاصرها حولا كاملا ولما لم

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٢٣٥ ، النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٩/ ٢٤٥ .

(٢) Bosworth, The political dynistic history of Iranians world, 1000-1212 (in the Combridge history of Iran, 1968) Vol. 5. p. 101.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠/ ١٨٣ .

(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، ٢/ ٦٤٨ ، القلقشندي ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيم الابياري (ط ١ القاهرة ١٩٦٣م) ص ١١٩ .

(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٥ .

يستطع اقتحامها راسل عبد الله بن علي في الصلح فصالحه ورحل عن البلاد ، الا ان شارح ديوان ابن المقرب يشير ان العجم الذين حاصروا الاحساء لما تيقنوا ان لا قدرة لهم على عبد الله بن علي طلبوا منه ان يسلمهم الذى قتل صاحبهم البقوش ورفضوا الدية ، وكان قاتله علي بن الامير عبد الله بن علي ، فقرر تسليم نفسه سرا الى الاعاجم فداء لقومه ولئلا يعلم به ابوه فيمنعه عن ذلك (١) ، وحين ذاك خطفه الاعاجم وارسلوه الى بلاد كرمان واعتقل هناك ، ثم بعث اليه ابوه رجالا من الاحساء ليحتال على اخراجه فنجح في رشوة السجان واخرجه واتى به الى البحرين (٢) .

ويبدو ان البحرين قد توجهت اليها في هذه الحقبة انظار عدد من الامراء السلاجقة الطامعين فيها ، اذ يذكر شارح ديوان ابن المقرب ان ملكا من ملوك العجم كان قاضي بلاد قار (٣) وتخرج يريد الاحساء وفي طريقه اليها وجد ملكا اخر في عسكر خرج من البصرة من جهة خمارتكين (٤) كان قد نقل اسمه الى تلك الاعمال لتكون ضمن نفوذه بعد ان نقل اكسك سلار الى الشام وكان ذلك في سنة (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) فلما وصلت تلك العساكر مع الامراء الى الاحساء ضاق بهم الامير عبد الله بن علي وادرك انهم ما جاءوا الا لاستخلاص الاموال والحصول على الغنائم فاظهر لهم الطاعة والتجمل وبذل لهم المال ، الا انه لم ينزلهم معه في القصر ، ثم اشار عليهم بالمسير الى عمان ووصف لهم كثرة ما بها من الذهب والفضة والثياب والمتاع ورغبهم في ملكها (٥) ، فلما طلبوا منه الادلاء بعث الى قوم من عرب بني خارجة الذين

---

(١) وفيه يقول علي بن المقرب :

منا الذى جاد بالنفس الخطيرة في عز العشيرة حتى استرحل العجما .

ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٠ .

(٢) ن . م ، ص ٥٤٠ ، هامش (٩٨) .

(٣) لعله يعني بذلك امير من امراء السلاجقة ، وفي ديوان ابن المقرب جاء اللفظ قارون وفي تاريخ ابن لعبون تاروت ، تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٦٤ ، تاريخ ابن لعبون ، ص ٥٣ .

(٤) يذكر ابن الاثير ان خمارتكين ضمن البصرة حربا وخراجا في عام ٤٧٣هـ ولعله طمع في الاستيلاء على البحرين فارسل من قبله جيشا لضمها اليه ، الكامل ، ١٠/ ١١٦ .

(٥) بني خارجة : هي بطن من طيء القحطانية وهو خارجة بن سعد بن قطرة بن طيء ، القلقشندى ، نهاية الارب ، ص ٢٢٨ .

يسكنون الرمليين عمان والبحرين بأن يدلوهم على الطريق واسر اليهم ان اذا توسطتم بهم الرمل فانزلوهم على غير ماء فاذا ذهب شطر من الليل فامضوا واتركوهم ، وقد نفذ هؤلاء العرب الخطة بنجاح حتى اذا توسطوا بهم الرمل ذهبوا عنهم فهلكوا (١) جميعا الا واحد بلغ به فرسه الاحساء وهو لا يدري اين ذاهب (٢) .

ومن الاخطار الخارجية التي واجهت عبد الله بن علي هي اطماع حاكم جزيرة قيس الواقعة في الجنوب الشرقي من الخليج العربي التي شهدت هذه الحقبة (٣) نموها وازدهارها بعد اضمحلال سيراف ، فبعد انحسار قوة القرامطة عن جزيرة أوال طمع حاكم قيس في ضم هذه الجزيرة الى نفوذه لما لها من اهمية اقتصادية باعتبارها اكبر مصدر لاستخراج اللؤلؤ في العالم المعروف انذاك ، ويذكر البعض ان حاكم جزيرة قيس الذي حاول غزو جزيرة أوال على عهد الامير عبد الله بن علي هو باكرزا بن سعد بن قيصر حيث تصدى له الامير علي بن عبد الله بن علي (٤) ، فيما يذكر شارح ديوان ان غزو باكرزا صاحب جزيرة قيس كان على ايام الامير ابي علي الحسن بن عبد الله الملقب بالزئر وانه قد بعث اخاه ابا مقدم سكر بن ابي علي لمواجهته (٥) ، وكما سيأتي من تسلسل الاحداث فان ابا علي الحسن بن عبد الله حكم في حوالي منتصف القرن السادس الهجري (٦) ، فيما يشير ابن البلخي الذي الف كتابه بين (٥٠٠ ــ ٥١٠هـ / ١١٠٦ ــ ١١١٦م) ان ركن الدولة خمارتكين كان حاكما لجزيرة قيس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (٧) ، وعليه فاننا نرجح ان هذه الغزوة لم تكن من قبل باكرزا وانما كانت

---

(١) هذا الرمل وصفه ابن حوقل من القرن الرابع الهجري بانه برية (خالية من الابار والمراعي قفرة لا تسلك ولا تسكن) ووصفها الادريسي من القرن السادس الهجري بانها (طريق متعذرة السلوك) وذكر ابن سعيد من القرن السابع الهجري بانها قفرة (لا يقدر احد على سلوكها للرمال السائلة والعطش) انظر على التوالي : صورة الارض ، ص ٤١ ، جزيرة العرب من نزهة المشتاق ، ص ٤٣ ، الجغرافية ، ص ١٨١ .

(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٣٦٤ ، ابن لعبون ، تاريخ ، ص ٥٣ .

(٣) انظر التفاصيل عن جزيرة قيس ص ٥٣ من البحث .

(٤) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠١ ، النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٨ / ٩٨ .

(٥) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٥ وهامش (١٢٦ ، ١٢٧) .

(٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان (القاهرة ١٩٦٣م) ١ / ٣٢٤ .

(٧) لسترنج ، المرجع السابق ، ص ٢٩٤ (عن البلخي) .

من قبل احد قواد خمارتكين الحاكم السلجوقي لفارس وقيس والذى سبق ان حاول مهاجمة الاحساء برا في عام (٤٧٤هـ/١٠٨١م) ، ان هذه الحملة هي الحملة البحرية الاولى التي تشن على البحرين من قبل حكام جزيرة قيس حيث تصدى لهما الامير علي بن عبد الله بن علي واوقع بهم هزيمة اضطرتهم الى الانسحاب (١) (٢).

حكم عبد الله بن علي البحرين بلا منازع حقبة طويلة استمرت طيلة النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى ، وقد عمل على توزيع الحكم في مراكز البحرين على اولاده واقاربه من عبد القيس ، فكان ابنه الفضل يحكم القطيف وجزيرة اوال (٣) ، وجعل ابنه علي بن عبد الله على الاحساء (٤) ، وكان عبد الله بن علي قوى الشخصية مهيب الجانب كثير التسامح مع الرعية ، فعندما حاصر ركن الدين والدولة الاحساء انتقاما لمقتل البقوش انحاز قسم كبير من الاهالي الى الاتراك خوفا من بطشهم ، ولكن عبد الله ابن علي بعد ان صالح السلاجقة وتم لهم الانسحاب اعلن العفو العام عن كل من ساعد الاعاجم وبذلك طيب القلوب وهدأ النفوس (٥) ، كما عمل على ازالة البدع التي خلفها القرامطة في مجتمع البحرين (٦) وذلك لمخالفتها لمبادئ الاسلام .

واخيرا بقي ان نشير ان عبد الله بن علي كان عربيا خالصا في سياسته كثير البغض للاعاجم لهذا عمل على تصفيتهم بعد نجاح ثورته في القضاء على القرامطة ، فقد قتل البقوش وهو تركي جاء لمساعدته ضد القرامطة عندما احس منه شيئا من الطمع في الولاية (٧) ، كما انه لم يمكن السلاجقة الاتراك حتى من اعدائه من العرب ، فعندما هزم بني عامر منع الاتراك من سبيهم او التعرض لاموالهم ونسائهم (٨) ، علاوة على تصديه الشديد والحازم لمحاولات غزو الاحساء وما اوقعه

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٤ .
(٢) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠١ .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .
(٤) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٣ .
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٥ .
(٦) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٥٠ - ٥٥١ ، هامش (١٣٠) .
(٧) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٥ .
(٨) ن ٠ م ، ص ٢٦١ .

بهم في الصحراء القاحلة بين البحرين وعمان[1] ، ولكنه في الوقت نفسه اقر بالخلافة وحقوقها وخطب لها وارسل الاموال السنوية الى بغداد[2] .

اما وفاته فيذكر صاحب المخطوطة التيمورية ان حكمه من اخراج القرامطة الى وفاته كان ستين سنة[3] ، وهذا يعني انه توفي في حوالي عام (٥٢٧هـ/١١٣٢م) .

ب ـ الفضل بن عبد الله العيوني :

تولى حكم الامارة العيونية بعد الامير عبد الله ابنه الاكبر الفضل وقد كان في زمان ابيه يتولى القطيف وجزيرة أوال لمدة سبع سنين[4] ، وبعد وفاة ابيه تولى امارة البحرين جميعها لسبع سنين اخرى وهذا ما عبر عنه ابن المقرب العيوني بقوله[5] :

همام حمى البحرين سبعا ومثلها ... سنين وسارت في الفيافي مواكبه

وقد وصف الامير الفضل بانه كان شجاعا كريما كثير الاسفار والتنقلات في البوادى وذلك لتعقب المفسدين وقطاع الطرق من الاعراب فامنت البلاد في عهده[6] ، وقد امتد حكمه من منطقة ثاج[7] شمالا حتى يبرين[8] جنوبا ، وعلى الرغم من ان مقر اقامته كان في موضع من جزيرة أوال يعرف بزاد برد[9] ، الا انه كان كثير التنقل بين مراكز البحرين الاخرى وخصوصا القطيف والاحساء[10] ، ولعل هذا ما يفسر لنا هيبته

---

(١) تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٦١ .
(٢) ن . م ص ٢٦٠ .
(٣) ن . م ، ص ٢٥١ .
(٤) ن . م ص ٢٥١ .
(٥) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٧ .
(٦) الاحسائي ، تحفة المستفيد ص ١٠٢ .
(٧) ثاج : ذكرها ياقوت من قرى البحرين ، معجم البلدان ، ١/ ١٩٣ .

(٨) يبرين : وهي ارض سبخة تقع بين الحسا واليمامة وعمان على صورة مثلث ، ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل ، تقويم البلدان ، تحقيق ماك كوكين ديسلان (باريس ١٨٤٠م) ص ٨٤ .
(٩) زاد برد : موضع في جزيرة اوال فيه قصور الامير الفضل ، الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٢ .
(١٠) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٨ ، هامش (٥٣) ، وقيل ان الفضل خرج ذات مرة في الارض التي حماها من البادية واذا اعرابي يرعى قطعة ابل له والخر بازائه يقول له ويحك اما تخاف من الامير الفضل بن عبد الله على مالك ونفسك فقال له باعلى صوته :
متى يلتقي من يمن[illegible] محلته ... والخر سودى بعيد مذاهبه
فسمعه الامير الفضل فحضر امامه قائلا الساعة يا اخا العرب فذهبت هذه الحادثة مثلا عن شدة مراقبة الفضل لملكه ورعاياه ، انظر ديوان ابن المقرب ، ص ٥٨ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٢ .

وهدوء الاحوال في ايامه ، توفي الامير الفضل بن عبد الله بن علي مقتولا في تاروت (١) على يد خادم له (٢)، ولم يوجد ما يشير الى تاريخ وفاته ولكن في شعر ابن المقرب (٣) ما يفيد انه تولى الحكم سبع سنين بعد وفاة ابيه ، اى ان وفاته كانت في حوالي عام (٥٢٤هـ/ ١١٣٦م).

جـ — ابو سنان محمد بن الفضل

بعد وفاة الفضل تولى حكم الامارة العيونية ابنه محمد بن الفضل بن عبد الله ابن علي العيوني وكان يكنى ابا سنان (٤)، وفي رواية اخرى لصاحب المخطوطة التيمورية (٥) تشير ان ابا سنان محمد بن الفضل تولى بعد جده ، ولا يوجد ما يرجح احدى الروايتين سوى ان ابن المقرب عندما يفخر باجداده الامراء العيونيين يضع محمد بن الفضل بعد ابيه (٦)، ولعل المقصود ان كلا من الفضل وابنه محمد كان يتولى شيئا من الامارة في البحرين على عهد عبد الله بن علي اذ المعروف عن عبد الله انه وزع امارة الولايات على ولده وعائلته العيونيين .

كان ابو سنان محمد بن الفضل يسكن القطيف ، وعامله في الاحساء ابن عمه شكر بن علي بن عبد الله بن علي (٧)، وقد وصف ابو سنان بانه كان كريما محبا للشعراء فقد قدم عليه شاعر من العراق يعرف بالثعلبي (٨)، فلما حضر مجلسه جاءه عامله على جزيرة اوال بمال كثير من الذهب واللؤلؤ والجوهر ، فامر ابو سنان بدفع ذلك المال كله للثعلبي ، فقال له العامل هل تدرى بقيمة هذا المال ، فلما عدّ عليه الجوهر وان قيمة واحدة منها فقط الف دينار ، قال ما اراه كثيرا ولو كان

---

(١) تاروت: هي جزيرة تقع في الخليج العربي مما يلي القطيف ، الجاسر ، المرجع السابق ص ٦٣ .

(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .

(٣) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٧ .

(٤) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١٠٣ . المسلم ، المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .

(٦) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٦ .

(٧) يذكر الاحسائي ان عامله على الاحساء كان عمه علي بن عبد الله ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٣ . ولعل وجود علي في الاحساء كان الى جانب ابنه شكر .

(٨) لم نجد له ترجمة .

اكثر لكان احب فانشقت مرارة العامل فسقط ميتا وفي ذلك يقول ابن المقرب (١)

منا الذي من نداه مات عامله   غما واصبح في الاموات مخترما

ومن كرمه انه امر صاحب خزانته ان يدفع لشخص الف دينار فلما احضرها بين يديه قال (ما ارى الالف الا قليلة فزد عليها الفا اخر فاعطاها للرجل)(٢)، الا ان عهده لم ينعم بالرخاء طويلا ، فقد شهد تحركات جديدة لقبائل البحرين من بني عامر وغيرهم استهدفت السلطة العيونية ، ففي الاحساء خرج رجل يقال له حماد النائلي وصفه شارح ديوان ابن المقرب انه من بني نائل من الاحلاف ، فجمع جمعا من العرب وعزم على انتزاع الاحساء من العيونيين ، وقد تمكن حماد النائلي من ضرب الحصار على المدينة لمدة ثلاثين يوما نجح بعدها في اقتحام الاسوار والدخول الى مدينة الاحساء حيث عملوا على نهبها ، ولما انشغلوا في عملية النهب حمل عليهم الامير ابو مقدم شكر بن علي بن عبد الله بن علي ومن معه من الامراء حملة صادقة تمكنوا فيها من تشتيت شمل المهاجمين فقتل عدد كبير منهم ثم طلبوا الصلح فصالحهم ، وسمي مكان الوقعة بالخائس لكثرة قتلى تلك الوقعة (٣)، ويبدو ان حركة النائلي لم تكن منظمة بدليل انه بعد اقتحام اسوار المدينة انشغل الاعراب في النهب مما اتاح لافراد الاسرة الحاكمة جمع صفوفهم وطرد المهاجمين .

ومن المشاكل التي واجهت الامارة العيونية في ايام ابي سنان هي تجدد نشاط بني عامر على ساحة البحرين ، فقد اراد رئيس بني عامر عقيلة بن شبانة الدخول بقومه من البدو الى مدينة القطيف في الصيف وذلك للاحتماء في بساتينها في فصل الحرارة ، فمنعه الامير ابو سنان وامره ان يذهب الى الاحساء نظرا لسعة تلك الارياف ، فابى عقيلة الا دخول القطيف عندئذ وقعت الحرب بينهما فكانت الجولة الاولى من المعركة هزيمة عقيلة واصحابه من بني عامر ، فلما انشغل اصحاب ابي

---

(١) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ .
(٢) ن . م . ص ٥٤١ ، هامش (١٠١) .
(٣) ن . م . ص ٥٤٦ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٤ .

سنان بالنهب عطف عليهم بقيلة فهزمهم ولم يثبت في المعركة غير ابي سنان في قلة من اصحابه حيث تمكن من رد بني عامر واجبارهم على الانسحاب الى الاحساء (١) .

حكم ابو سنان محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي مدة ثماني عشرة سنة (٢) ، ويشير صاحب المخطوطة التيمورية ان هذه المدة ضمنها ولايته اوال والقطيف لجده وابيه (٣) ، ولما كان حكم ابيه الفضل للقطيف واوال منذ حوالي عام (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) ، وانه تولى هذه المناطق ايضا لجده وابيه ، فان حكمه ترجيحا الى حوالي عام (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) .

المرحلة الثانية : الضعف والانقسام

تعد نهاية حكم الامير ابي سنان محمد بن الفضل بداية عهد من الاضطراب السياسي في البحرين والانشقاق العائلي بين صفوف الاسرة الحاكمة ، ويبدو ان من نتائج حركة النائلي في الاحساء التي مر ذكرها والتي تمكن الامير شكر بن علي بن عبد الله من القضاء عليها هو ظهور شعور بين ابناء علي بن عبد الله بن علي بان أباهم عليا احق في رئاسة الامارة العيونية من ابناء الفضل بن عبد الله وذلك لكبر سنه اضافة الى مقدرتهم على مواجهة الاخطار بمفردهم بعيدا عن مؤازرة ال الفضل في القطيف وأوال كما حدث في حركة النائلي ، ان هذا الشعور تطور فيما بعد وادى الى انقسام الحكم في البحرين الى قسمين ، الاول في القطيف وأوال برئاسة ال الفضل ابن عبد الله والاخر في الاحساء بزعامة ال علي بن عبد الله بن علي ويشير صاحب المخطوطة التيمورية ان الامير ابا سنان قتله عماه ابو منصور علي بن عبد الله وابو علي (٤) ، ولما كان شارح ديوان ابن المقرب قد اشار الى ان قبر ابي سنان محمد بن الفضل في الاحساء (٥) ، فان هذا يعني انه جاء الى الاحساء للقضاء على حركة تمرد قام بها عماه ضده وانه قتل في معركة جرت بينهما .

في اعقاب مقتل ابي سنان بايع اهل القطيف الامير ابا الحسن بن عبد الله بن علي

---

(١) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٦ ، هامش (١١٦) .
(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .
(٣) ن . م ، ص ٢٥١ .
(٤) ن . م ، ص ٢٥١ .
(٥) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤١ ، هامش (٩٩) .

الذي استمر حكمه احدى عشرة سنة اي انه حكم تقريبا في الحقبة بين (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) و (٥٤٨هـ/ ١٠٥٦م)[1] ، وقد وصفه شارح ديوان ابن المقرب انه كان جوادا كريما وفي ايامه انقسم العيونيون على انفسهم بين القطيف والاحساء حيث نزح عدد كبير من الامراء العيونيين المعارضين لحركة الانفصال التي قام بها ابو منصور علي بن عبد الله في الاحساء وتوجهوا الى القطيف وقد رحب بهم الامير ابو الحسن واقطعهم الاراضي والبساتين[2] .

وبعد وفاته بايع اهل القطيف واول غرير بن مقلد المكنى بالتراكي[3] ، وقد حاول غرير (او عزيز كما يذكر الاصبهاني)[4] اعادة توحيد البحرين تحت سلطته وذلك بالقضاء على حركة تمرد آل علي في الاحساء فجهز جيشا سار به الى هناك وقد استعان في حربه ببني عامر[5] ، وذلك لاول مرة في تاريخ الامارة العيونية ، وهذه تعتبر سابقة خطيرة ادت فيما بعد الى تدخل بني عامر في الخلافات القائمة بين افراد البيت العيوني وزيادة نفوذهم على حساب العيونيين ، وعلى الرغم من ان الامير غرير تمكن من هزيمة اهل الاحساء وقتل قائد حركة التمرد علي بن عبدالله الا انه لم يستطع البقاء في الاحساء اذ اضطر الى الانسحاب الى القطيف بسبب تحصن اهل الاحساء داخل اسوارها[6] ، وقد بايع اهل الاحساء بعد مقتل الامير ابي منصور علي ابنه شكر بن علي[7] .

ان انشغال الامراء العيونيين في الحروب الداخلية فيما بينهم دفعت حاكم جزيرة قيس المدعو باكرزا الى معاودة الهجوم على جزيرة اوال طامعا في الاستيلاء عليها وذلك في الثالث من جمادى الاولى سنة (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) وفي اثناء حكم

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .
(٢) ديوان ابن المقرب ، ص٥٤٤ ، هامش (١٠٨ ، ١٠٩) .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥١ . يذكر الاحسائي ان اهل القطيف بايعوا بعد موت ابي سنان غرير بن محمد دون ان يشير الى ابي الحسن ، كما انه لم يشر الى غرير بن مقلد ولكن الحوادث التي ساقها تدل على ان الشخصيتين واحدة ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٣ .
(٤) الاصبهاني ، تكملة خريدة القصر ، ص٨٥٣ .
(٥) ديوان ابن المقرب ، ص٤٥٣ . ولكن شارح الديوان لم يشر الى قائد معسكر اهل القطيف في هذه الحرب ، هامش (١٠٦ ، ١٠٧) .
(٦) ن . م ، ص٤٥٣ ، هامش (١٠٦ ، ١٠٧) .
(٧) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٣ .

الامير غرير ، ولكنه لم يتمكن من تحقيق اهدافه اذ اضطر الى الانسحاب تحت ضغط القوات العيونية [1]. استمر حكم الامير غرير سبع سنوات [2] وذلك بين حوالي عام (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) [3] وعام ٥٥٥هـ/١١٦٠م) اذ مات مقتولا على يد ابن عمه .

بايع اهل القطيف بعد مقتل غرير هجرس بن محمد بن عبد الله ومكث في الحكم سنة واحدة توفي بعدها فبايع اهل القطيف واوال الامير شكر بن ابي الحسن بن عبد الله بن علي ، وفي ايامه هاجم ايضا جزيرة اوال حاكم جزيرة قيس لمرات عديدة [4] ولم ترد تفصيلات عن نتائج هذه الحملات الا انها لم تحقق اهدافها على ما يبدو ولذا نرى تكرارها [5]. بقي الامير شكر بن ابي الحسن في الحكم ثمانية عشر عاما اي ان حكمه استمر الى حوالي عام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) ، بعد وفاته بايع اهل القطيف واوال اخاه علي بن الحسين بن عبد الله بن علي ، وفي عهده عاود صاحب جزيرة قيس الهجوم على سواحل اوال والبحرين فجهز الامير علي بن الحسين جيشا بقيادة اخيه الزير الذي تمكن من هزيمة باكرزاز في معركة سترة [6] وقتل اعدادا كبيرة منهم وقد اسر في هذه المعركة اخو ملك جزيرة قيس ويدعى نصار الا ان الامير العيوني مَنّ عليه [7] فيما بعد واطلق سراحه وقد خسر صاحب جزيرة قيس في هذه المعركة (٢٨٠٠) قتيل

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥١ .

(٢) ينقل الاصبهاني عن الاديب علي بن الحسين في البصرة قوله ان الامير عزيز بن مقلد كان يحكم القطيف في عام ٥٥٤هـ ، تكملة خريدة القصر ، ص٨٥٢ .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥١ .

(٤) ن ، م ، ص ٢٥١ .

(٥) ن ، م ، ص ٢٥١ .

(٦) سترة ، ذكرها شارح ديوان ابن المقرب انها قرية بجزيرة اوال ، ديوان ابن المقرب ص ٥٥ هامش (١٢٧) .

(٧) ن ، م ، ص ٢٥٢ .

والى ذلك يشير ابن المقرب بقوله : (١)

ويوم سترة منا كان صاحبه لاقت به شامة والحاسك الرقما
الفين غادر منهم مع ثمان مائي صرعى فكم مرضع من بعدها يتما

ان الزير بعد ان قضى على هجوم حاكم جزيرة قيس عمل على قتل اخيه علي بن الحسين حيث ملك البلاد بعده واستمر حكمه لمدة سنتين قتل بعدها بسهم رجل اعجمي عندما دخل الامير محمد بن ابي الحسين الى جزيرة اوال . الا ان الامير محمد بن ابي الحسين بقي في الجزيرة اقل من سنة ثم خرج مختارا . (٢)

والواقع ان الضعف الذي اصاب الامارة العيونية وصل الى ادنى مراحله في هذه الحقبة حتى كاد ان يذهب ملكهم . فعندما خلت القطيف من امير لها بايع اهلها رجلا يدعى النقيب العلوي الا انه لم يستطع السيطرة على الوضع المضطرب فيها فاستقال من الامارة فبايعوا رجلا من البيت العيوني يدعى المسيب الا انه هو الاخر كان ضعيفا فلم يبق في الحكم سوى شهرين حيث خلفه الامير حسن بن شكر بن ابي عبد الله الذي استمر حكمه ثلاث سنوات انتهى بحركة قام بها الاخوان شكر وعبد الله ابنا منصور . وقد حكم عبد الله القطيف لمدة سبع سنوات . وفي عهده هاجم البحرين حاكم جزيرة قيس شاه بن كرزا حيث اصطدم بالعسكر العيوني بقيادة ابن النحاس وزير الامير عبد الله بن منصور . (٣) وعلى اثر هذه الوقعة ضعف الامراء العيونيين عبر كثير من اهالي جزيرة اوال الى القطيف خوفا من تجدد الحرب ومهاجمة صاحب جزيرة قيس لهم . (٤) ويبدو ان حاكم جزيرة قيس لم يحقق هدفه من هذا الهجوم لذا نراه يعاود الكرة على الجزيرة مرة اخرى كما سنرى .

اما في الاحساء فقد مر بنا ان اهلها بايعوا الامير شكر بن علي بن عبد الله بن علي بعد مقتل ابيه من قبل غرير . ويذكر الاحسائي ان شكر توفي بعد منتصف القرن

---

(١) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٥٠ .
(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٢ .
(٣) ن . م ، ص ٢٥٢ .
(٤) ن . م ، ص ٢٥٢ .

السادس الهجري ، الا ان اخبار الاحساء يكتنفها الغموض بعد شكر ، ولكن يبدو (١) ان الحكم بقي متوارثا فيها في عقب علي بن عبد الله حتى تم توحيد البلاد باجمعها (٢) على يد محمد بن ابي الحسين وبذلك بدات مرحلة جديدة في تاريخ الامارة العيونية ٠

المرحلة الثالثة : الوحدة والتوسع / محمد بن ابي الحسين

هو محمد بن ابي الحسين احمد بن محمد بن الفضل بن عبد الله بن علي العيوني ، الذى شهدت الامارة العيونية في ايامه ذروتها ، (٣) ويبدو ان محمد بن ابي الحسين قام بمحاولتين للاستيلاء على بلاد البحرين بعد ما راى من تفكك الامارة العيونية وضعفها ، الا انه اخفق في الاولى ، اذ يشير صاحب المخطوطة التيمورية الى انه دخل جزيرة اوال على عهد الامير الزير الذى قتل في معركة جرت بينهما ، كما تمكن من احتلال القطيف ومكث فيها اقل من سنة ثم خرج منها مختارا ، (٤) ولكن يبدو ان محمد بن ابي الحسين ترك القطيف عندما ادرك ان ليس لديه القوة الكافية للسيطرة على الامور فيها ومواجهة خطرين الاول من جانب البحر يمثله حاكم جزيرة قيس الذى ما انفك يهاجم جزيرة اوال وسواحل الخط ، والثاني خطر اهل البادية من بني عامر الذين تحالف قسم منهم مع بعض الامراء العيونيين وحصلوا على امتيازات لهم في القطيف ، ولهذا خرج من القطيف لاجل جمع الاتباع والانصار من اهل (٥) البادية ، فاستطاع ان يستميل الى جانبه عميرة بن سنان زعيم احد بطون بني عامر ، فرجع الى القطيف ثانية وكان بها كما يذكر شارح الديوان ـ وهو على ما يبدو قريب من الاحداث ـ الامير الحسن بن شكر بن الحسن الذى عمل هو الاخر على (٦)

---

(١) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١٠٤ ٠
(٢) الخضيرى ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ٠
(٣) ديوان ابن المقرب ، ص ٢٠٧ ، ٦١٨ ٠ ٠
(٤) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٢ ٠
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٠٦ ٨ ٠

(٦) يشير صاحب المخطوطة التيمورية ان الامير الحسن بن شكر قتل من قبل شكر واخوه عبد الله ابني منصور حيث ملك القطيف عبد الله بن منصور وان مجيء محمد بن ابي الحسين للمرة الثانية الى القطيف كان ايام عبد الله بن منصور الذى لحق باخيه في الاحساء ، تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٢ ٠

استمالة اخواله من الشياطات من بني عامر اولاد شبانة ، وكان الامير الحسن بن شكر قد اقطعهم عددا من بساتين القطيف ، فنزل الامير محمد بن ابي الحسين ومن معه من بني عامر في مكان يقال له صفوى (١) ، اذ ذاك انذرهم الامير الحسين ابن شكر بترك القطيف الا انهم رفضوا ذلك فبادرهم بالحرب وقد كانوا في اعداد كبيرة فلم يكن لاصحاب محمد بن ابي الحسين وعميرة بن سنان بهم طاقة فولوا منهزمين فلما وصلوا الى المكان الذى فيه الامير محمد بن ابي الحسين قال للذين تكفلوا بلزومه (اتركوني فترة فاعترى وصاح صيحة هائلة كاد ان ينصرع في الارض وحمل عليهم حملة لم يثبت منها غير اولاد شبانة فضاربهم وضاربوه) (٢) حتى ارغمهم على التراجع ثم الهزيمة وعند ذاك رجع اليه اصحابه فكانت الهزيمة الكبرى على اصحاب الامير الحسن بن شكر وقد اسر عدد كبير منهم ثم احاط بهم الامير محمد بن ابي الحسين (وانزلهم بشر مكان يعني البلد لان البدوى لاشيء اشد عليه من البلد) (٣) ، ولم ترد تفصيلات عن مصير الامير الحسن بن شكر بعد هذه المعركة ، كما لا نعرف الوسيلة التي تمكن فيها الامير محمد بن ابي الحسين من الاستيلاء على بلاد البحرين كافة وخصوصا الاحساء (٤) التي كان فيها اولاد علي بن عبد الله بن علي ، ولعلهم اعطوا تاييدهم

---

(١) صفوى : قرية كبيرة مسورة تقع على بعد ٨ اميل غرب مدينة الظهران ، لوريمر ، المرجع السابق ، ٥/١٨٨٥ .

(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٨ .

(٣) ن . م ، ص ٢٦٨ .

(٤) في ديوان ابن المقرب قصيدة قالها في مدح الامير محمد بن ابي الحسين عند ملكه الاحساء وقد سقط منها تاريخ السنة التي انشدت فيها ولكن القصيدة تتضمن في موضوعها الاشادة بانتصارات الامير محمد على قبائل طيء في الشام وعلى بني مالك في الدهناء ، الديوان ، ص٤٧ وما بعدها ، وفي شرح ديوان ابن المقرب يذكر ان الايقاع ببني مالك من طيء كانت في سنة ٥٦٩ هـ ، اخبار البحرين ضمن ملحقات تحفة المستفيد ، ص٢٦٧ . وهذا يعني ان ملكه الاحساء كان في هذا العام او بعده بقليل ولكن لم يرد في القصيدة التي اشار عنوانها بملك الاحساء ، الى ذكر دخوله الاحساء او الجهة التي كان فيها كما هو معروف عن دقة ابن المقرب واهتمامه بتفصيلات الحادث الذى يتكلم عنه ، فكل موضوع القصيدة يدور حول النجاح الذى حققه الامير محمد على قبائل طيء وتكريم الخليفة الناصر له ، وهذا ما يجعلنا نشك في الكلمات الواردة اخر العنوان من هذه القصيدة وهو ما نصه (وقال يمدح الامير محمد بن ابي الحسين احمد ابن سنان بن محمد بن الفضل بن علي بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد العيوني وذلك في سنة .. وقد استوثقت ملكه الاحساء من البحرين) ، انظر الديوان ص ٤٧ .

الى الامير محمد بن ابي الحسين بعد ما رأوا من شدة باسه وقوته وعدم مقدرتهم على مقاومته اما ما ذكره الدكتور الخضيرى من ان اهم عامل في استقرار حكم البحرين بيد محمد بن ابي الحسين هو احقيته فيه بعد جده ابي سنان محمد بن الفضل الابن الاكبر لمؤسس الامارة العيونية ، فهو امر يصعب ترجيحه وذلك لان محمد بن ابي الحسين قتل — كما سنرى — بمؤامرة دبرها له اولاد عمه آل علي بن عبد الله ابن علي اذ اصبح من الصعوبة الجمع بين الشقين الكبيرين في العائلة العيونيـــة منذ مقتل ابي سنان محمد بن الفضل في حوالي (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) حيث استمر هذا الانشقاق في الازدياد — عدا حقبة حكم محمد بن ابي الحسين — ممــــا ادى في النهاية الى سقوط الامارة العيونية ، اما توقف الانشقاق في حقبة حكـــم محمد بن ابي الحسين فهو امر ظاهرى اخفته بالدرجة الاولى قوة محمد بن ابـي الحسين ثم سعة نفوذه . وهذا ما يفسر لنا ايضا انضواء اكثر بني عامر تحت نفوذه وانقيادهم الى سلطته حيث اتخذ لاول مرة في تاريخ الامارة العيونية لقب اميـــر عرب البحرين ، الذى يعني انضواء جميع العرب من البحرين الى بادية البصــرة والكوفة تحت نفوذه . (١) وعليه فان الامارة العيونية وصلت في عهده الى قمة مجدهــا حيث عمل على نشر الامن والاخذ على ايدى الاعراب وقطاع الطرق وقد عبر الشاعر العيوني علي بن المقرب المعاصر للامير محمد بن ابي الحسين عن ذلك بقوله : (٢)

منا الذى اصبح المجتاز من حلب ... الى العراق الى نجد الى ادمــا

وهو يعني بذلك وفق ما جاء في شرح ديوان ابن المقرب ان الراكب يسير مـــن العراق الى الشام وعمان ونجد فلا يفزعه احد وكذلك القوافل اين ادركها الليـــل باتت لا تخاف احدا (٣) وهو تعبير عن انقياد القبائل العربية له وخشيتها من صولته .

ان الشهرة الواسعة التي حصل عليها الامير محمد بن ابي الحسين دفعــت الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ — ١٢٢٥م) الى اقامة صلات

---

(١) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٨ هامش (١٢١) .

(٢) ن . م ، ص ٥٤٨ .
(٣) ن . م ، ص ٥٤٩ ، هامش (١٢٢) .

قوية معه ، وهذه العلاقة قامت على الاساس الذى ترتكز عليه العلاقات بين القبائل والدولة في ذلك الوقت ونعني بذلك المصالح المشتركة ، فالدولة تبغي من وراء هذه العلاقة المحافظة على طرق المواصلات المهمة للبريد والتجارة والحاج الذى يحفظ هيبتها وسمعتها ، ومصلحة القبائل تتمثل في مشاركتها في الحياة السياسية للمنطقة والمكاسب المادية التي تحصل عليها سواء مما تدفعها اليها الدولة او من الغنائم التي تجنيها اثناء الحروب ، وهذه المكاسب تعد موردا مهما من موارد القبيلة [(١)] .

وعلى هذا الاساس فقد اوكل الخليفة الناصر لدين الله الى الامير محمد بن ابي خفارة الحاج (وفرض له من بغداد الفا ومائتي ثوب من عمل مصر اكثرها ابريسم وفرض له من البصرة كل سنة الفا وخمسمائة حمل حنطة وشعير وارز وتمر مدة حياته) [(٢)] .

اما تاريخ نشوء هذه العلاقة فلم تشر المصادر الى ذلك ، ولكننا نرجح انها كانت بعد عام (٥٩٢هـ/ ١١٩٦م) ، وذلك ان ابن الاثير يشير الى انه في عام (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) قام بنو عامر برئاسة اميرهم عميرة [(٣)] بالهجوم على البصرة ونهبها وتخريب عدد من اسواقها ومحالها ، ويشير ايضا ان هذه الحادثة نفسها تكررت في عام [(٤)] (٥٩٢هـ/ ١١٩٦م) ، فلو كان الخليفة الناصر قد اعطى خفارة البادية للامير محمد بن ابي الحسين قبل هذا التاريخ لما تجرأ بنو عامر على مهاجمة البصرة ونهبها ، وفي تقديرنا ان السبب المباشر الذى دفع الخليفة الناصر الى اقامة علاقة قوية مع الامير محمد بن ابي الحسين هو هجوم بني عامر على البصرة وذلك لمنع مثل هذه التعديات على مدن العراق مستقبلا .

ومع ان عهد الامير محمد بن ابي الحسين يمثل ذروة مجد الامارة العيونية الا انه كان لايخلو من احداث جسام ومشاكل خطيرة ، منها ان القبائل التي تمكن

---

(١) الحيارى ، د . مصطفى ، الامارة الطائية في بلاد الشام (ط١ عمان ١٩٧٧م) ص ١٣٥ ـ ١٣٧ .

(٢) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٩ ، هامش (١٢٣) .

(٣) ولعله عميرة بن سنان الذى ساعد محمد بن ابي الحسين في امتلاك القطيف .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٨٠ . انظر ايضا ، النبهاني ، التحفة النبهانية ، ٩/ ٢٥١ .

في بادية الشام وعلى راسها طيء جمعوا امراء العرب (١) هناك وساروا يريدون ارض بني عقيل بن عامر بن صعصعة ومن خالطهم من العرب وهم يسكنون في منطقة البادية بين البصرة والبحرين ، فاستنجد بنو عقيل بالامير محمد بن ابي الحسين (٢) كما شكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله من ذلك لان تقدم طيء جنوبا يعني تهديد طريق الحاج العراقي ، فبعث الخليفة الناصر رسولا الى الامير محمد بن ابي الحسين يدعوه الى النهوض لمحاربة طيء وجموعها وحماية طريق الحاج من شرهم ، وعند ذلك جمع الامير محمد عرب البحرين وسار الى العراق فانضمت اليه قبائل المنتفق وعبادة وخفاجة حتى التقى مع امراء عرب الشام بظاهر الكوفة فكانت معركة حامية حمل فيها الامير محمد واولاده ، فانهزمت جيوش طيء ومن معها واتى القتل عليهم فاستجاروا بالامير محمد وطلبوا الصلح فاجارهم الا احد امرائهم ويدعى دهمش بن سند بن اجود الذي هرب ودخل مشهد الامام علي بن ابي طالب (رض) واقام بقبوره مستنجدا به فاقام الامير محمد الحراس على الباب لئلا يهرب وبعث الى الخليفة الناصر ليرى رايه فيه ، فارسل رجالا قبضوا عليه وارسلوه الى بغداد فاستتابه الخليفة عن الفساد في الطريق ثم خلى سبيله ، (٣) وقد بلغ من هيمنة الامير محمد بن ابي الحسين على القبائل حدا ان جعل كل من شاركه في هذه الوقعة يمر ومعه مغنمه بين رمحين ركزهما فاذا استطابه شيئا ضمه اليه بحيث لا يقدر احد على الانكار عليه ، (٤) ومن اثر هزيمة قبائل طيء هذه ان خرج عليه بعض بطونهم الذين يسكنون الاحساء وهم بنو مالك من طيء وذلك في حدود عام (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) فاظفره عليهم واوقع بهم وقتل منهم خلقا كثيرا ويضيف شارح الديوان ان قبائل طيء لم تقم لهم بعد هذه الوقعة قائمة (٥) .

---

(١) انظر عن امراء طيء ونشاطهم في منطقة البادية ، الحياري ، المرجع السابق ، ص٢٨ .

(٢) يذكر ابن المقرب ان هدفهم ايضا الاستيلاء على البحرين ويشير الى ذلك بقوله :
وقد زعموا في زعمهم ان خيلهم   تدوس قرى البحرين من كل جانب
الديوان ، ص٥٥ .

(٣) ديوان ابن المقرب ، ص٥٤٨ ، هامش (١٢١) . المغيري ، عبد الرحمن ، المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب (ط٢ بيروت ١٩٦٥) ص ١٧٧ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١٠٤ .

(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٤٦ ، هامش (٤ ، ١٢٥) .

(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٦٧ ٢ .

وعلى الرغم من ان الامير محمد بن ابي الحسين استطاع اخضاع اغلب خصومه الا ان ذلك كان ظاهريا بسبب قوته وخوفهم من بطشه وكان الخطر الحقيقي لسه يتمركز حول محورين الاول ابناء عمومته من ال علي بن عبد الله بن علي حيث سبق للامير محمد بن ابي الحسين ان انتزع القطيف والاحساء منهم ، والمحور الثاني كان بنو عامر الذين لا يزالون يشكلون القوة الضاربة في البادية وعلى اطراف المراكز الحضرية في بلاد البحرين ،كما ان زعماءهم عملوا بدوافع سياسية الى الارتباط بالاسرة العيونية عن طريق المصاهرة ، ولهذا اشتركوا بالصراعات الداخلية التي كانت تدور بين الامراء العيونيين ، وكان تأييدهم لهذا الامير او ذاك تمليه مصالحهم ، وقد رأينا كيف ان احد زعمائهم المدعو عميرة بن سنان وهو احد اصهار الامير محمد اشترك معه في احتلال القطيف وطرد الامير الحسن بن شكر (١) الذي ينتمي الى ال علي بن عبد الله ، ولكن ولاء ال عميرة تحول في نهاية عهد (٢) الامير محمد الى ال علي ،فقد اشترك راشد بن عميرة بن سنان وهو رئيس بني عقيل في البحرين انذاك في حلف مع ال علي بن عبد الله برئاسة غرير (او عزيز) بن شكر بن علي للاطاحة بحكم الامير محمد بن ابي الحسين ، وقد كان هدف الفريقين واضحا منذ البداية اذ كان بنو عامر يبغون الحصول على المكاسب المادية والسياسية في بلاد البحرين اكثر من ذي قبل ، وهدف ال علي النكاية بال الفضل وتسلم حكم البحرين . (٣)

لم يكن هذا التحالف ليخفى على الامير محمد بن ابي الحسين ،فقد رد عليهم الناطق الرسمي للامير محمد وهو الشاعر علي بن المقرب العيوني في قصيدة له عام (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) ذكرهم فيها بفضل الامير محمد عليهم حين ازاح عنهم خطر قبائل طيء ونصحهم بالرضا بقيادته وحذرهم من معاكسته ،ثم اوصاهم بحفظ

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ،ص٨٣ .

(٢) تحفة المستفيد ،ملحق رقم (٣) ص٢٦٨ .

(٣) ن . م ،ص٢٦٨ .

العهود التي بينهم وبين الامير محمد ، ويعد وان هذه القصيدة التي قالها ابن المقرب في هذا التحالف تعكس قوته وبعض بوادر الضعف عند الامير محمد اذ غلب عليها طابع النصح والتذكير بالعهود ودعوتهم الى استعمال العقل بدل السيف.(١)

ولكن على الرغم من بوادر الضعف هذه التي اخذت تظهر في جانب الامير محمد الا ان المتحالفين قرروا عدم الالتقاء معه في معركة ، بل الاحتيال عليه واغتياله ، وقد كانت الخطة تقضي بان يتولى عملية الاغتيال رئيس بني عامر بن عقيل ، راشد بن عميرة بن سنان مقابل ان ياخذ كل املاك الامير محمد في القطيف والاول وعددا من المراكب التجارية والاخرى المعدة للغوص وعدة الوف من الدنانير تدفع له كل سنة وعدة الوف من قطع الثياب واطلاق يد راشد في اقطاع من شاء من اصحابه او من اهل البلد في اراضي القطيف والاول ، مقابل ذلك كله ان يكون لغرير بن حسن بن شكر ملك البلاد ، وقد تم تنفيذ المؤامرة وقتل الامير محمد بن ابي الحسين في القطيف بين صفوى والاجام ، اما عن تاريخ مقتل الامير محمد فقد(٢) سكتت المصادر المعنية بالامارة العيونية عن ذلك ، وقد جعلها البعض في عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) ، وهو امر محتمل اذ ان اخر قصيدة قالها ابن المقرب في(٣) مدح الامير محمد هي في عام (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) عندما تحالف بنو عامر على قتله ،(٤) كما ان اول رحلة له الى العراق كانت بعد مقتل الامير محمد حيث امتدح شمس الدين باتكين عند انحداره من بغداد سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)(٥) وهذا مما(٦) يرجح كون قتله كان في حدود عام (٦٠٣هـ/١٢٠٦م) ، وذلك بعد حكم دام (١٨) سنة بين حوالي عام (٥٨٥ – ٦٠٣هـ/١١٨٦ – ١٢٠٦م) ، وبذلك بدأت(٧) مرحلة الضعف والانحلال في تاريخ الامارة العيونية التي انتهت بسقوطها .

---

(١) انظر هذه القصيدة في ديوان ابن المقرب، ص ٢٠٧ – ٢١٢ .

(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٦ .

(٣) شوقي ، المرجع السابق ، ٥/ ٣٢ .

(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٢٠٧ .

(٥) شمس الدين باتكين : احد مماليك الخليفة الناصر لدين الله تولى البصرة ثم اربل ومات في بغداد سنة ٦٤٠هـ . انظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣/ ٥٠٤ .

(٦) ديوان ابن المقرب ، ص ٤٣٤ .

(٧) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٩ .

المرحلة الرابعة : انحلال الامارة ونهايتها

ساد الانقسام والتناحر بين افراد الاسرة العيونية بعد مقتل الامير محمد بن ابي الحسين اذ استقر بعضهم في القطيف والبعض الاخر في الاحساء ، وقد تميزت هذه الحقبة بالضعف العام والتدخل السافر في شؤون الحكم من قبل الاعراب واهل البادية وخصوصا بني عامر الذين عملوا بكل ما في وسعهم لاضعاف الامارة العيونية حتى تمكنوا اخيرا — كما سنرى — من اسقاطها وتاسيس امارة لهم محلها .

تسلم حكم القطيف بعد مقتل الامير محمد بن ابي الحسين غرير بن الحسن ابن شكر الا ان حكمه استمر سنة واحدة (١) اذ خرج عليه الفضل بن محمد بن ابي الحسين للاخذ بثأر ابيه وقد استمال الى جانبه اخواله من بني عامر ، ثم سار الى بغداد طلبا من الخليفة الناصر مساعدته للاخذ بثأر ابيه واسترجاع الحكم في البحرين (٢) ، وقد استجاب الخليفة الناصر لطلبه وذلك وفاء منه لابيه فامده (بمنجنيقات وقوم يرمون عن الخرخ وقوم يزرقون بالنفط) (٣) ، وهكذا رجع الى القطيف حيث انضم اليه خاله الحسين بن المقداد بن سنان بمن تبعه من بني عامر ، وقد طالت الحرب بينه وبين ابن عمه غرير بن الحسن بن شكر لمدة اشهر ثم تمكن من احتلالها وقتل الامير غرير بن الحسن (٤) .

تسلم الامير الفضل بن محمد بن ابي الحسين حكم القطيف في عام (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) ، وكان من الاخطاء التي ارتكبها في بداية حكمه هوانه انتزع الاراضي والبساتين من اهالي القطيف واوال واخذ يقطعها لاهل البادية من بني عامر كما ملكهم مراكب السفر والغوص ، وقد عبر شارح الديوان — وهو قريب العهد بالاحداث — عن ذلك بقوله (وكان أول هلاك القطيف وأوال خروجها من ايدي

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ، ص ٢٥٢ .

(٢) تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص ٢٥٢ ، ديوان ابن المقرب ، ص ٥٦٤ .

(٣) ن . م ، ص ٢٦٩ .

(٤) ن . م ، ص ٢٥٢ .

اهلها قتل الامير محمد بن ابي الحسين وملك الامير غرير بن الحسن وتممه ملك الفضل بن محمد (١).

وفي العام نفسه الذى تسلم فيه الحكم في القطيف واوال عقد صلحا مع صاحب جزيرة قيس غياث الدين شاه بن تاج الدين جمشيد تعهد فيه بما نصه «ان يكون لصاحب جزيرة قيس (جزيرة اكل (٢) ومقاسمها وخراجها برها وبحرها وما يتعلق بها وجزيرة الجارم (٣)، وجزيرة الطيور (٤) وهي توارة وقثان وحرم المربعة ما خلا مائتي خلة (٥) وما في بحر الحورة (٦) وظهرها سماهيج (٧) وجميع عسكر السمك الى ساحل بني المروان (٨) وخمسمائة دينار في كل سنة لملك قيس خاصة وان يكون الخراج والمقاسم والخاصة والحلقة وطراز الخاصة والطير والطيارات والعشور بين ملك قيس وملك العرب نصفين، وان يكون لملك قيس من مقاسم تاروت الحسيني (٩) والحساسي ومقسم القصر ومن مقاسم القطيف بستان القصر وبستان المشمرى ودالية الدار والفايدية ونصف طراز الخاصة الذين هم ليسوا من اهل القطيف وخمسة وثلاثون بهارا من الخراج لملك قيس زيادة على النصف عوض بستان الصفاة التي بالاحساء (١٠)»،

ويبدو ان ذلك كله مقابل عدم قيام صاحب قيس بشن الهجمات على جزيرة اوال وسواحل البحرين، ومن هذه المعاهدة يمكن ان نلمس مدى الضعف الذى اصاب الامارة العيونية في عهد الفضل بن محمد حيث شاركه صاحب جزيرة قيس حتى في خصوصياته من بساتينه وقصره، وقد جعل له عمالا في البحرين يشرفون على جباية الاموال التي منحتهم اياها هذه المعاهدة غير المتكافئة.

---

(١) تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٦٩.

(٢) جزيرة اكل: وهي جزيرة صغيرة تعرف الان بجزيرة النبي صالح تكثر فيها عيون الماء والنخيل، سنان، البحرين درة الخليج (ط١ بغداد ١٩٦٧م) ص٦١٤.

(٣) جزيرة جارم: وهي جزيرة في البحر غرب جزيرة اوال، الجاسر، المرجع السابق ٣٥٥/١.

(٤) جزيرة الطيور: وهي احدى جزر البحرين، المسلم، المرجع السابق، ص١٦٣.

(٥) في تحفة المستفيد (واد م المد بغة ما خلا مائتي جلد) الاحسائي، ص١٠٨.

(٦) في الاحسائي (وما في ظهر الحورة) ص١٠٨.

(٧) سماهيج اسم جزيرة ذكرها ياقوت في وسط البحر بين عمان والبحرين، معجم البلدان، ١٣٣/٣.

(٨) في الاحسائي (وجميع مساكر الاسماك الى المروزان) ص ١٠٨.

(٩) تاروت: هي جزيرة تقع على الساحل مما يلي القطيف، الجاسر، المرجع السابق ٦٣/١.

(١٠) تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص٢٥٢.

(١١) ن. م، ص٢٥٣.

كان اول الناقمين عليه بسبب سياسته هذه ابن عمه الشاعر علي بن المقرب الذى كان من اشد انصاره حيث رحل الى بغداد وشارك في احضار المؤن التي ارسلت من الخليفة لمساعدته في استعادة حكمه واخذ ثأر ابيه[1] وقد عز على الشاعر ابن المقرب بما يمتلكه من طبع حماسي ومزاج حاد ان يرى مجد هم ينهار وتتقاسمها الايادى ، فاخذ ينظم القصائد الحماسية مندد ا فيها بسياسة الفضل ومعاتبا له على افعاله وسوء تدبيره[2] .

استمر حكم الامير الفضل بن محمد اكثر من عشر سنوات[3] (٦٠٦ـ٦١٦هـ/ ١٢٠٩ـ ١٢١٩م) وقد ضاق الناس من سوء سياسته ، فخرج عليه بنو عامر الذين اصبحوا في هذه الحقبة اليد المحركة للامراء العيونيين ، فاخذوا يناصرون الواحد على الاخر ويعزلون من شاؤا ، وهكذا قاموا باخراج الامير الفضل بن محمد من القطيف حيث نصب ابن اخيه ابي شكر مقدم بن ماجد بن ابي الحسين[4] الذى خصه الشاعر علي ابن المقرب بقصيدتين عاتبه في الاولى وامتدحه في الثانية[5] ، ثم اعقبه في حكم القطيف الفضل بن احمد الذى امتدحه ايضا ابن المقرب[6] دون ان نحصل على تفاصيل عن حكمه ، ثم اعقبه في الحكم فاضل بن معن واستمر في الحكم لمدة ثلاث سنوات[7] . ثم ملك القطيف اخوه جعفر بن معن الذى لا نعرف هو الاخر مدة حكمه التي انتهت بخروج المساعيد عليه اى اولاد مسعود وهم محمد بن مسعود واخوانه حسن وحسين وملكا القطيف لمدة سنتين ونصف[8] ، وقد مدح الشاعر ابن المقرب الامير محمد بن مسعود بقصيدتين تدل على حب الشاعر له وتقربه اليه[9] الا انه لم يشر الى احداث وقعت في عهده .

---

(١) ديوان ابن المقرب ، ص ٥٩٤ .
(٢) انظر عن قصيدته الدالية التي يعاتب فيها الامير الفضل بن محمد ، الديوان ص ١٤٠ـ١٤٨ .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٣ .
(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٤٩٨ .
(٥) ن . م ، ص ٥٩ وما بعدها ، وص ٧٤ وما بعدها .
(٦) ن . م ، ص ٥٢٠ .
(٧) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٣ .
(٨) ن . م ، ص ٢٥٣ .
(٩) ديوان ابن المقرب ، ص ١٦٠ ، ٤٧٣ .

الحال في عهد الامير محمد بن ابي الحسين (١) ، وبعد ان خرج الشاعر من السجن قرر الخروج من البحرين والسفر الى العراق وكانت رحلته الاولى في اوائل عـــام (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م) (٢)، وهذا يعني ان الامير محمد بن علي حكم الاحساء في هذا التاريخ (٣)، الا ان المصادر لم تشر الى مدة حكمه ، ولكن كاتب مقدمة الديوان يشير الى ان الامير محمد بن ماجد الذى اعقب الامير محمد بن علي في حكم الاحساء مدحه الشاعر بقصيدة املا في ان يعيد له ما سلب منه وذلك في عام (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) (٤)

ومن هنا يمكن ان نحدد تاريخ حكم الامير محمد بن علي في الحقبة بين (٦٠٣— ٦٠٥هـ/ ١٢٠٦— ١٢٠٨م) .

تسلم حكم الاحساء بعد الامير محمد بن علي ، الامير محمد بن ماجد الذى لم يستمر طويلا اذ قتله عمه ابو القاسم مسعود بن محمد (٥) ، وفي ايامه ساءت حالة الاحساء كثيرا فقد وصفه شارح الديوان انه على الرغم من كونه سليم القلب الا انــه كان ضعيف الراى وقد احاط به نفر تواطاؤا مع زعماء بني عامر على ان يهاجمـــوا الاحساء ويحاصروها وبعد ذلك يشيرون هم على الامير ان يطلب الصلح من بنــي عامر وتلبية مطالبهم المتمثلة باعطائهم جميع القصور والبساتين الخاصة بالعائلـــة المالكة ، وهكذا هاجم بنو عامر الاحساء وحاصروها فاستشار اصحابه فاشاروا عليــه بالصلح وتلبية مطالبهم مقابل عدم ذهاب الدولة ، وعند ذلك قام الامير بتسليم جميع املاك عائلته الى بني عامر ، فدخلوا البلد وجردوا العائلة المالكة من جميع ممتلكاتها (٦) ، فذهب اليه الشاعر ابن المقرب وعاتبه على ما فعل فاشار بان اصحابه هم الذين اشاروا عليه بذلك فانشده قصيدة مطلعها (٧) :

يعش الذى نالنا يا دهر يكفينا   فامنن ببقيا اودعها يدا فينا

---

(١) الخضيرى ، المرجع السابق ، ص٧٣ .
(٢) ن . م ، ص٨٠ .
(٣) وهو كما يبدو لنا شارح الديوان نفسه .
(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٢٦ .
(٥) ورد اسمه في مقدمة الديوان ابو القاسم محمد بن مسعود ، ص٩ ، وتبعهما في ذلك الاحسائي في التحفة ، ص١١٦ ، والخضيرى ، ص٤٣ ، والصحيح هو مسعود بن محمد حيث ورد في نفس القصيدة في معرض عتابه له ، ص٦٣٢ ، ما نصه:
فقلت رويدا انه ابن محمد   وان ساءني اعراضه وتغافله
وكذلك في مقدمة العتاب الطويلة التي بعثها له في الاحساء ، الديوان ، ص ٦١٠ .
(٦) ديوان ابن المقرب ، ص٦١٠ — ٦١١ . الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص١١٦ — ١١٧ .
(٧) ن . م ، ص ٦١١ .

وفي هذه القصيدة صور لنا الشاعر الحالة السياسية التي وصلت اليها امارته في الاحساء من تدخل اهل البادية من بني عامر واستحواذهم على املاك الدولة وذلك كله بسبب سوء التدبير وضعف الراى والركون الى الوشايات وقد تنبأ في هذه القصيدة ايضا بقرب زوال الملك العيوني بقوله : (١)

واستيقنت ان كل الملك منتزع ولو تمكث في اربابه حينا

وفي تقديرنا ان هذه القصيدة هي ابدع ما قاله الشاعر في ديوانه لانها لم تنشد لغرض معين وانما كانت تعبيرا لحالة ماساوية عاشها الشاعر وذاق مرارتها فجاءت انعكاسا صادقا لهذا الاحساس.

ويذكر شارح الديوان ان ابنه الفضل اعقبه في حكم الاحساء وقد سار على نهج ابيه في تقريب اهل البادية مما جعله غير محمود السيرة عند ابن المقرب فرحل الى العراق (٢) وهي الرحلة الثالثة وذلك في حدود عام (٦١٣هـ/ ١٢١٦م) (٣)، وهذا يعني ان حكم الامير ابي القاسم مسعود بن محمد وابنه الفضل كان بين عامي (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م و ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) ، اذ ان الشاعر ابن المقرب عندما سمع وهو بالعراق بملك الامير علي بن ماجد بن محمد الاحساء واخراجه ابي القاسم عاد من العراق في هذه السنة (اى سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) وامتدحه باحدى قصائده (٤)، الا ان الامير علي بن ماجد الذى اعقب ابي القاسم بن مسعود كان هو الاخر مغلوبا على امره فاضطر الى ترك الحكم بسبب اضطراب الاحوال (٥) وعند ذلك اجتمع نفر من زعماء البيت العيوني وعلى راسهم ابو علي ابراهيم بن غرير ابن ابي جروان واعطوا حكم الاحساء الى مقدم بن غرير بن الحسن بن شكر بن علي ابن عبد الله بن علي وقد وصف شارح الديوان عهده بقوله (كانت السلطنة في البحرين قد ضعفت وساء تدبير اهلها وذلك انهم صاروا يقدمون قوما ليسوا من اهل الشرف ولا من اهل الدولة ولا القرابة لهم ويؤخرون اهل قرابتهم ومن هم

---

(١) انظر هذه القصيدة في الديوان ، ص ٦١١ ـ ٦١٧ .
(٢) ديوان ابن المقرب ، المقدمة ، ص ٩ .
(٣) الخضيرى ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .
(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٩ ، ٨٤ .
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٧٥ .

من اربا ب الدولة ويتحاملون عليهم حتى زهد فيهم الصديق فابغضهم وطمع فيهم العدو وصارت العامة تقدم من تريد من السلاطين ... فعند ذلك حملت القوم الذين كانوا ادخلوا مقدم بن غرير وملكوه عليهم وقالوا لابد ان نقبض على قوم واحد واحد من بني مرة من ال ابراهيم العيونيين اقارب اهل بيت السلطان وكان اذ ذاك مقدم بن غرير جاهلا بالبلد واهلها غير مكترث بالنسب لانه نشأ في البادية ولم يكن ينشأ في البلد ولم يكن يعرف اهلها فاجابهم الى ذلك فقبض على رجال فالقاهم في المطمورة ونهب ما في خزائنهم (١) ، وبذلك فقد استكمل مقدم بن غرير ما بداه ابو القاسم بن مسعود قبله اذ قام الاول بمصادرة الاموال والاملاك وتبعه الثاني بقتل اعيان الدولة وامرائها ومشاهيرها وذلك كله راجع الى ضعف الراى وقلة الخبرة والتدخل الكبير لاعراب البادية من بني عامر في شؤون الامارة العيونية ، وعلى اثر هذا الحادث خرج الشاعر ابن المقرب من الاحساء سالما على نفسه وارسل بقصيدة الى مقدم بن غرير وابراهيم بن ابي جروان يعاتبهم فيها ويذكر لهم سوء تدبيرهم وانهما بدد ولتهم (٢) ، ثم قرر القيام برحلة الى العراق وهي الرابعة والتي حدثت في عام (٦١٧هـ/١٢٢٠م) والتي قام بها اثر تسلم الامير مقدم بن غرير حكم الاحساء ، وهذا يعني ان الامير علي بن ماجد مكث في الحكم سنة واحدة . اما الامير مقدم فلم يرد ما يدل على مدة حكمه سوى ان شارح الديوان يذكر ان ماجد بن محمد تولى حكم الاحساء ايضا ويدل سياق كلامه ان حكمه كان بعد مقدم بن غرير (٣) ، ويذكر شارح الديوان ان عهد ماجد بن محمد استمر عشر سنوات استخف خلالها باهل الاحساء حيث سفك دماءهم واستباح اموالهم وكان يميل الى البدو وقربهم منه كثيرا وملكهم البلد اكثر من ذي قبل

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٢) ، ص٢٧٠ .
(٢) الخضيرى ، المرجع السابق ، ص٨٣ . انظر ايضا ديوان ابن المقرب ، المقدمة ، ص ١٠ .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٢) ، ص ٢٧١ .

فكان اهل البادية يرغمون الناس على بيع بساتينهم واملاكهم بابخس الاثمان دون ان يجرأ احد على ردهم ، وقد استمر هذا الحال حتى اجتمع اهل الاحساء وثاروا عليه واخرجوه وملكوا عليهم الامير علي بن الحسين بن عبد الله[١] ، ولما كان عهد الامير ماجد بن محمد استمر عشر سنوات من نهاية العقد الثاني للقرن السابع الهجري فان حكم الامير علي بن الحسين كان في نهاية عشرينات القرن السابع الهجري ، وبعد ذلك تسكت المصادر الخاصة بالامارة العيونية عن الاشارة الى الى الاحساء وامرائها ، مما يدفعنا الى القول بان اخر حكام الامارة العيونية في الاحساء هو علي بن الحسين .

اما ما ذكره الاحسائي وتبعه في ذلك الدكتور الحميدان من ان السلطة في الاحساء[٢] انتقلت الى بني عصفور ايام الفضل بن محمد بن مسعود[٣] (والاصح هو الفضل بن مسعود بن محمد[٤]) فان مسعود بن محمد وابنه الفضل — كما قدمنا — تولوا الامارة في الاحساء بين عامي (٦٠٥ — ٦١٦ هـ / ١٢٠٨ — ١٢١٩ م) وان عددا من الامراء العيونيين تولوا في الاحساء بعد المذكورين وذلك كما ورد في ديوان ابن المقرب وشارحه .

الا اننا لا نعرف الوسيلة التي انتقل فيها الحكم في الاحساء من الاسرة العيونية الى بني عصفور بن عامر بن عقيل ، اذ اكتفت المصادر بالاشارة الى ان اهل البادية من بني عامر استحوذوا على املاك الاسرة العيونية واموالهم وذلك بالتواطوء مع الامراء العيونيين انفسهم وانهم بقوا بجانب اهل البادية مجرد هياكل لا حول لها ولا قوة[٥] ، واستمر هذا السمت الى منتصف القرن السابع الهجري اذ يذكر ابن خلدون نقلا عن ابن سعيد قوله (سالت اهل البحرين حين لقيتهم بالمدينة النبوية سنة احدى وخمسين وستمائة عن البحرين فقالوا الملك فيها لبني عامر ابن عوف بن عقيل ، وبنو تغلب من جملة رعاياهم وبنو عصفور منهم اصحاب الاحساء[٦]) .

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٧٢ .
(٢) بنو عصفور هم احد افخاذ بنو عامر في الاحساء ، الحميدان ، المرجع السابق ص ٨٥ .
(٣) الاحسائي ، تحفة المستفيد ، ص ١١٦ — ١١٧ ، الحميدان ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .
(٤) انظر ص ٨٤ من البحث .
(٥) انظر ذلك في القصيدة النونية في ديوان ابن المقرب ، ص ٦٣٢ — ٦٤٢ .
(٦) ابن خلدون ، تاريخ ، ٤ / ١٦٥ ، انظر ايضا : ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١١٨ ، ١٢١ ، القلقشندي ، قلائد الجمان ص ١١٦ ، نهاية الارب ص ١٠١ ، صبح الاعشى ١ / ٣٤٦ .

وعلى هذا يمكن القول ان انتقال الحكم في الاحساء الى بني عصفور كان بصورة تدريجية حيث عمل بنو عامر اولا على الاستحواذ على املاك الامراء العيونيين وتجريدهم من اى قوة اقتصادية ربما يستخدمونها في جمع الاتباع[1] ، ثم عملوا على ضرب الامراء فيما بينهم وتصفية زعاماتهم على ايدى بعضهم البعض كما حدث في ايام الامير مقدم بن غرير ثم وثبوا هم على ما تبقى من الامراء وانتزعوا السلطة منهم — على ما يبدو — دون مواجهة عسكرية حامية بعد ان فقدوا انصارهم وسوء سيرتهم في اهالي البلد .

اما مصير الامارة العيونية في القطيف واوال فقد ارتبط بصورة مباشرة بالاحداث التي شهدتها ساحة الخليج العربي في تلك الحقبة ، ففي عام (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) نشأ نزاع بين ابو بكر السلغرى اتابك فارس وبين امير هرموز سيف الدين ابو النظر وكانت نتيجته ان قام اتابك فارس ابو بكر السلغرى بمهاجمة جزيرة قيس وانتزاعها من امير هرموز[2] ، ثم ادعى باحقيته بالمناطق التي كانت تخضع لجزيرة قيس كافة ، ومنها البحرين التي كانت تدفع لهم جزءاً من حاصلاتها منذ ايام الفضل بن محمد ابن ابي الحسين ، وهكذا ارسل الاتابك ابو بكر السلغرى نوابه الى جزيرة اوال لمطالبة الامير العيوني محمد بن محمد بدفع ما يترتب عليه من التزامات مالية ، ويبدو ان الامير محمد بن محمد رفض الخضوع لمطالب الاتابك ابو بكر[3] وبذلك دخل في مواجهة عسكرية معه اذ تمكن في البداية من الحاق الهزيمة به[4] ، الا ان الامير محمد عليه ان يواجه اعداءه على جهتين الاولى جهة البحر وهم عسكر الاتابك ابو بكر والثانية في البر حيث اخذ بنو عامر يهددون سلطته بالقطيف بعد ان استولوا

---

(١) كما حدث في ايام الامير ابي القاسم مسعود بن محمد . ديوان ابن المقرب ، ص٦١٠ .

(٢) انظر عن النزاع بين اتابك فارس وصاحب هرموز ، القزويني ، زكريا بن محمد . آثار البلاد واخبار العباد (بيروت ١٩٦٩م) ص٢٤٣ ، الحميدان ، المرجع السابق ، ص٨٩ — ٩٠ .

(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥٣ . وقد اخطأ رنز عندما جعل سيطرة ابو بكر السلغرى على الاحساء والقطيف في عام ٦٩٨هـ ،

Rentz , Al- Katif in E.I.p.764

(٤) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٣ .

على الاحساء ، وقد اشار صاحب المخطوطة التيمورية الى ان الامير محمد بن محمد ترك القطيف الى جزيرة اوال في حوالي عام (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) [١] ، فيما يشير صاحب الحضرة ان الامير العيوني محمد بن محمد عندما كان في أوال كانت القطيف خاضعة لاقوى شيوخ العرب وهو ابو عاصم سرحان بن محمد بن عمرو بن سنان [٢] ، وهذا يعني ان الامير محمد عبر الى جزيرة اوال وتحصن بها ليكون البحر حاجزا بينه وبين بني عامر في القطيف اولا ، وليسهل عليه رصد اسطول الاتابك ابو بكر والتصدى له ثانيا .

وفي العام نفسه (اى ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) قام الاتابك بالاغارة على جزيرة أوال للمرة الثانية ولكنه اخفق في احتلالها [٣] ، وقد حاول الامير العيوني محمد بن محمد الالتجاء الى الخلافة في محاولة للحصول على دعمها ضد الاتابك ابو بكر فقام في عام (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م) بزيارة بغداد حيث تزامن وصوله ايضا مع وصول صاحب هرمز وقد استعدت بغداد لاستقبالهما [٤] ، ولكن يبدو ان مؤتمر بغداد لم يؤد الى حل النزاع بين الامير محمد العيوني وصاحب هرمز من جهة واتابك فارس من جهة اخرى ، كما يبدو ان الامير العيوني لم يحصل على الدعم من الخلافة مما جعله يواجه الموقف بمفرده ، اذ هاجم الاتابك ابو بكر السلغرى جزيرة اوال للمرة الثالثة في عام (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) [٥] حيث تمكن هذه المرة من دخولها وقتل الامير العيوني محمد بن محمد وبذلك اسدل الستار نهائيا على الامارة العيونية بعد حكم دام حوالي (١٦٩ عاما) .

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٤ .
(٢) الحميدان ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٣) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٤ .
(٤) ابن ابي حديد ، شرح نهج البلاغة ، (مصر ١٩٦٣م) ١٧/ ١٠٩ .
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٤ .

اسباب سقوط الامارة العيونية

ان المتصفح لتاريخ الامارة العيونية في البحرين يرى ان اهم عامل ساعد على استقرارها مدة اكثر من قرن ونصف هو قوتها الاقتصادية اذ انها تسيطر على واردات اغنى منطقة لاستخراج اللؤلؤ وهي جزيرة اوال ثم قيام زراعة لابأس بها في المنطقة مما جعلها تسد احتياجاتها الذاتية بنفسها ، كما ان موقعها المتوسط بين البحر من جهة والصحراء من جهة اخرى جعلها ملتقى لكل من رجال البادية والبحر مما ساعد على رواج بضائعها وازدهار اسواقها ، الا ان هناك عوامل عملت على ضعفها وانحلالها ثم سقوطها يمكن تلخيصها بما يأتي :

١ـ الانقسام المبكر بين افراد العائلة المالكة بعد وفاة ابي سنان محمد بن الفضل الحاكم الثالث للامارة العيونية ، اذ انقسم افراد العائلة الحاكمة الى قسمين استقر الاول منهم في القطيف بزعامة ال الفضل بن عبد الله بن علي والاخر في الاحساء بزعامة ال علي بن عبد الله بن علي وقد عمل هذا الانشقاق عمله في تفريق الصفوف واضعاف الحكم .

٢ـ التغلغل الواسع لبني عامر في الشؤون السياسية والاقتصادية للبحرين في ظل الامارة العيونية ، فقد لعبوا دورا بارزا في الخلاف بين الامراء العيونيين وتاييد بعضهم على الاخر مما زاد الانقسام والفرقة بينهم واعطى بني عامر فرصة للتغلغل داخل المجتمع البحريني وامتلاك العقارات والبساتين ومراكب الصيد والسفر وهي امتيازات ما كانوا ليحصلوا عليها لولا سماح الامراء العيونيين لهم بذلك ، وهذه كانت تتم على حساب الاسرة المالكة التي بدات تفقد اهميتها الاقتصادية شيئا فشيئا .

٣ـ ان تدخل سكان البادية من بني عامر وغيرهم من الاعراب في شؤون البحرين وامتلاكهم الاراضي والبساتين ادى الى تدهور انتاجها وخرابها بسبب فقدانهم الخبرة اللازمة لادارتها واستغلالها والى ذلك يشير شارح الديوان بقوله (ان اول هلاك للقطيف واوال خروجها من ايدى اهلها [(١)]) وهذا اثر بدوره على المصادر الاقتصادية للامارة بشكل عام .

---

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص ٦٦ ٢ .

٤ـ ان حالة التداعي والتمزق التي اصابت الامارة العيونية اثارت قلـــق اعيان ووجهاء البحرين على مصالحهم وعدم قدرة الحكم العيوني على توفير الامن مما حدا بهم الى التعاون مع بني عامر لاسقاط الحكم العيوني الذى غدا خطرا على مصالحهم (١).

٥ـ الضغوط الخارجية المتمثلة في اطماع حكام جزيرة قيس في البحرين ، اذ قاموا بشن سلسلة من الغارات على جزيرة اوال وسواحل البحرين حتى تمكنوا من فرض شروط غير متكافئة ومهينة على الامير العيوني الفضل بن محمد (حوالي ٦٠٦ـ ٦١٦هـ/ ١٢٠٩ـ ١٢١٩م) والتي اعطت جزءا كبيرا من واردات الامارة الى صاحب جزيرة قيس وهذا ما عجل في تدهورها اذ فقد الامير العيوني القدرة على جمع الثروة اللازمة لحشد الجيوش والمدافعين واكساب ود القبائل الطامعة ، وقد اشار الى ذلك شارح الديوان بقوله (فما بقي للسلطان يقدر على مال يجتذ به جنودا تمنعه وتحفظ بلاده ، وتدفع عنه بأس رعيته) (٢).

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ، ص٨٥.
(٢) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٢) ص ٢٧.

المبحث الثاني

عمان (منتصف القرن الخامس الهجرى حتى القرن السابع الهجرى)

اولا : الإمامة الاباضية ٠

ثانيا : نهاية الامامة الاباضية وظهور النبا ينة

ثالثا : سواحل عمان ومحاولات التدخل الاجنبي ٠

مر بنا فيما سبق ان العمانيين تمكنوا بقيادة الامام الاباضي راشد بن سعيد (٤٢٥–٤٤٥هـ/ ١٠٣٣–١٠٥٣م) من الحاق هزيمة كبيرة بالبويهيين في عمان عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) وتمت لهم السيطرة الكاملة على سواحل عمان كافة (١)، الا ان هذه الوحدة بين مناطق عمان الداخلية وساحلها لم تدم طويلا وذلك لعاملين، اولهما الانشقاق الكبير الذي حدث بين صفوف الاباضية في عمان اذ اصدر الامام راشد بن سعيد في عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) مرسوما هاجم فيه موقف انصار فرقة الرستاق بشان احداث عزل الامام الصلت بن مالك الخروصي (٢) (٢٣٧–٢٧٣هـ/ ٨٥١–٨٨٦م) والتي مر عليها اكثر من قرن ونصف من الزمان، مما دفعهم الى سحب تاييدهم له والتباطئ عن نصرته (٣). اما العامل الاخر فهو محاولة البويهيين استعادة عمان الى نفوذهم من جديد فارسلوا احد قوادهم هو شهريار بن تافيل على راس قوة عبرت الى عمان وتمكنت من السيطرة على المناطق الساحلية من جديد (٤)، ولم تشر المصادر الى تاريخ هذه الحملة او الى المعارك التي دارت بين القوات البويهية والاباضية في عمان، ولكن المصادر الاباضية اكتفت بالاشارة الى ان الامام راشد بن سعيد (٥) توفي في عام (٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م) ويحتمل انه قتل خلال حربه مع القائد البويهي شهريار .

كان من اهم نتائج مقتل الامام راشد بن سعيد ان عادت سواحل عمان الى السيطرة الاجنبية، كما تراجعت الاباضية الى معاقلها داخل عمان، وهناك احتدم الصراع بسبب مرسوم عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) الذي اصدره الامام راشد بن سعيد وادى الى شق صفوف الاباضية وانقسامها وبالتالي انهيارها .

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٥٦٥. ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ٥٤٥ .
(٢) السالمي، تحفة الاعيان، ١/ ٣١٢–٣١٣ .
(٣) السالمي، ن. م، ١/ ٣١٢–٣١٣. ولكنسون، عمان تاريخا وعلما، ترجمة محمد امين عبد الله (عمان ١٩٨٠) ص ٢٦ .
(٤) الكرماني، احمد بن حامد، بدايع الزمان في وقايع كرمان (تحقيق مهدي بياني طهران ١٣٢٦هـ) ص ٨–٩ .
(٥) الازكوي، تاريخ عمان، ص ٧٠. ابن رزيق، الفتح المبين، ص ٢٤٦. السالمي، تحفة الاعيان، ١/ ٣١٤. الحارثي، العقود الفضية، ص ٢٥٧ .

وهكذا فان الباحث في التاريخ العماني في هذه الحقبة يرى نوعين من السلطة قامت في عمان احدهما في المناطق الساحلية وتمثله القوى البويهية او السلجوقية باسم الخلافة ، والاخر اباضي تركز في معاقل الاباضية داخل عمان ووسط جبالها ، وهما على جانبي نقيض من حيث التركيب العقائدي والسياسي مما جعلهما في صراع دائم للسيطرة على الاقليم ، وهذا ما يدفعنا الى متابعة التطورات السياسية التي حدثت في الداخل والساحل كل على حده ، مع ايضاح طبيعة العلاقة بينهما .

اولا : الامامة الاباضية

كانت وفاة الامام راشد بن سعيد في عام (٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م) بداية انعطاف خطير في تاريخ الحركة الاباضية في عمان ، فقد اجتمع عدد من انصار فرقة نزوى واعلنوا بيعتهم لولده حفص بن راشد الذي سار على نهج والده في الانحياز لفرقة نزوى واستبعاد عناصر فرقة الرستاق مما حدا بالاخيرة الى التكتل والعمل ضده من اجل اسقاطه (١) ، وقد تصدر حركة المعارضة زعيم الفرقة انذاك ابو الحسن علي بن الحسن البسياني (٢) الذي اصدر فتوى اعلن فيها عدم صحة بيعة حفص بن راشد وابطل الصلاة معه وحرم دفع الزكاة لعماله (٣) ، وعلى الرغم من ان نتائج الصراع لم تتضح ، الا ان المصادر اجمعت انه توفي في الامامة ولم يعزل (٤) مع عدم الاشارة الى تاريخ ذلك ، الا ان السالمي وعساف اشارا الى ان وفاته كانت في عام (٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) (٥) وهذا يعني انه بقي في الامامة ثماني سنوات .

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٥ . السيابي ، عمان عبر التاريخ (ط٢ ، سلطنة عمان ١٩٨٦م) ص ٢/ ٤٦ـ٤٧ .
(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٥ .
Wilkinson, Bio-bibliographical, Arabian Studies, 3, p, 152.
(٣) السالمي ، ١/ ٣١٦ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٤٧ـ٤٩ .
(٤) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص ٧٥ . مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، سلطنة عمان ١٩٨٠م) ص ٩٤ .
(٥) السالمي وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٤٦ .

اشارت المصادر الى ان الاباضية انتخبت بعد حفص بن راشد الامام راشد ابن علي ولكنها لم تحدد وقتا لبيعته ورجحت ان يكون ذلك بعد حفص بن راشد (١) وهذا يعني ان بيعته كان في العقد السادس من القرن الخامس الهجري (٢) وقد نسب البعض راشد ابن علي على انه من اليحمد (٣) وبهذا فهو الامام الرابع الذي ينتخب من قبيلة اليحمد الازدية منذ بداية القرن الخامس الهجري (٤) ان احتكار اليحمد للامامة في هذه الحقبة كان احد الاسباب التي ادت الى حدوث تكتلات قبلية حادة وبالتالي الانشقاق الفعلي للحركة الاباضية في عمان .

بيد ان الامام راشد بن علي حاول في بداية حكمه التخفيف من حدة اثار المنشور الذي اعلنه الامام راشد بن سعيد في عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) والذي على اثره سحبت فرقة الرستاق تاييدها لائمة اليحمد وذلك في محاولة منه لتوحيد صفوف الاباضية في عمان لمواجهة الاخطار الخارجية المتمثلة بالغزو السلجوقي فعمل على اشراك احد زعماء فرقة الرستاق معه في الحكم وهو نجاد بن موسى بن نجاد (٤) الا ان الامام راشد بن علي لم يكن على درجة من القوة والحزم في الادارة فقد وصفه احد علماء ذلك العصر بانه (ضعيف المعرفة قليل العلم والبصيرة) (٥) ولذلك استغل نجاد بن موسى بن نجاد ضعف الامام واستبد بالامور وارتكب كثير من الاعمال التي تعتبرها الاباضية مخالفة للعدل والحق ، ولكن المصادر لم تشر الى طبيعة هذه الاعمال ، مما دفع تكتلا من علماء فرقة الرستاق الى الضغط

---

(١) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٧٢ . مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان ، ص٩٤ . ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص٢٤٦ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢١ .

(٢) الخروصي ، سليمان بن خلف ، دولة اليحمد في عمان ، حصاد ندوة الدراسات العمانية (عمان ١٩٨٠م) ١/ ٣٣٢ . ابو بشير السالمي ، نهضة الاعيان بحرية عمان (القاهرة بدون تاريخ) ص٦٦ . واليحمد هم احد بطون الازد بعمان . الهمداني ، احمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب (تحقيق محمد علي الاكوع ، بغداد ١٩٨٩م) ص٢٣٣ .

(٣) انظر عن ائمة اليحمد في هذه الحقبة ، الخروصي ، المرجع السابق ، ١/ ٣٣٢ .

(٤) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢٩ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٦٦ .

(٥) السالمي ، ن . م ، ١/ ٣٢٨ ، السيابي ، ن . م ، ٣/ ٦٧ .

على الامام راشد بن علي لابعاد نجاد بن موسى عن الحكم واعلان توبته من جميع الاعمال التي جرت في عهده ، وقد اضطر الامام راشد الى الخضوع لهذه المطالب فاقال نجاد بن موسى ثم اعلن توبته التي جاء فيها (انا استغفر الله وتائب من جميع ذنوبي كلها قليلها وكثيرها صغيرها وكبيرها ... وتائب الى الله من السيرة التي سرتها بغير العدل مخالفة للحق ... ومن ترك النكير على نجاد ابن موسى بعد علمي بالسيرة التي سارها مخالفة للحق ... ومن الجبايات التي امرت بها بغير حق ... ومن كل حرب حاربتها وسفكت الدماء فيها بامرى ... ومن كل تولية وال وليته ولم يكن لي ان اوليه شهد الله وكفى به شهيدا ومن حضر من المسلمين ... وكانت هذه الشهادة يوم الاثنين لاحد عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)(١) ، ولم تشر المصادر الاباضية الى نتائج اعلان الامام راشد لتوبته هذه ، ولكن يبدو من رسالة بعث بها احد علماء الاباضية انذاك الى الامام راشد بن علي ، ان الاراء لم تكن مجتمعة على صحة توبته اذ جاء في مقدمتها (اما توبتك من السيرة التي سرتها بغير العدل مخالفة للحق ... فلا ارى هذه التوبة تكفيك ولا تصح لك ولا يقبلها المسلمون)(٢) ، وهذا يدفع الى القول ان الهوة اخذت تتسع بين قطبي الاباضية فرقتي الرستاق ونزوى ، اذ ان محاولة الامام راشد بن علي لجمع الشمل وتناسي الاحداث الماضية يمكن اعتبارها الاخيرة من نوعها في تاريخ الاباضية في العصر الوسيط اذ لم تجر اى محاولة مثلها الا في النصف الاول من القرن التاسع الهجرى عندما عملت الحركة على لم شملها واعادة نظام الامامة من جديد في عمان بعد غياب دام عدة قرون .(٣)

يمكن اعتبار سبعينيات القرن الخامس الهجرى بداية النهاية لافول نجم الاباضية السياسي في عمان ولعدة قرون ، اذ ان فشل الامام راشد بن علي في لم الشمل

---

(١) انظر هذه التوبة في : السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢٩ـ٣٣٠ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٦٦ـ٧٠ .

(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٠ .

(٣) ن . م ، ١/ ٣٦٩ .

دفع اليحمد الى الانسحاب من الجوف (١) والتقوقع في مناطق نفوذهم في غدف (٢)، ويبدو ان حصر الامامة من قبل فرقة نزوى في اليحمد جعلها اقرب الى الوراثة مما دفع كتاب الاباضية الى وصفهم بالملوك (٣)، بينما تبنت فرقة الرستاق ائمة الخروص التي انحصرت في منطقة الجوف وعملوا على مقاومة اليحمد (٤)، وهكذا انقسمت الامامة بصورة فعلية بعد ان كان الصراع يدور نظريا في ظل امامة واحدة .

يشير الازكوي الى ان الامام راشد بن علي توفي عام (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) (٥)، فيما يذكر السالمي ان امامة راشد بن علي امتدت الى عام (٥١٣هـ/ ١١١٩م) (٦)، وان عام (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) شهد انتخاب امام جديد وهو عامر بن راشد بن الوليد الخروصي (٧)، ويبدو ان الازكوي لم يكن على علم بالمصادر التي اشارت الى تاريخ الاباضية في هذه الحقبة ، كما انه لايعلم كثيرا عن ائمة هذه الفترة ومنهم عامر ابن راشد بن الوليد ، لذا فانه لم يورد هم ضمن قائمة الائمة عنده (٨)، اما السالمي فقد جاب الارض العمانية واعتمد على مصادر مهمة ترجع الى تلك الحقبة مما يجعله اكثر دقة واعتمادا للحقيقة (٩)، ولهذا فاننا نرجح ان انتخاب عامر بن راشد بن الوليد الخروصي على امامة راشد بن علي نظرا لانقسام الاباضية انذاك ، اذ عمد

---

(١) الجوف: هي اشهر مناطق داخلية عمان يحدها من (المشرق نجد السحامة ومن المغرب نجد المخاريم ومن الجنوب بلد بسيا ومن الشمال الجبل الاخضر وفيها من البلدان الكثيرة ادمى وازكى ونزوى وفرق وبهلا) العبري ، ابراهيم بن سعيد ، ملحق جغرافي مع كتاب العقود الفضية .

(٢) Wilkinson, Bio-Bibliograhical, Arabianstadiy, 3, p. 139

وغدف هي احدى مناطق عمان الواقعة جنوب ساحل الباطنة وجنوب شرق منطقة الحجر ، Wilkinson, Water and tribal settlement in suntheast Arabia, London, 1972, p.9.

(٣) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٢ .

Wilkinson, The Immate tradition of Oman, p.210.

(٤) Willsinson, Bio-bibliographical, Op., Cit., p.13

(٥) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٧٢ . جاء في ابن رزيق ان وفاته كانت في ٤٠٦هـ ، الفتح المبين ، ص٢٤٦ . ويبدو ان ذلك كان من خطأ النسخ اذ سقط رقم سبعة بين الرقمين .

(٦) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢١ .

(٧) ن . م ، ١/ ٣٣٦ .

(٨) انظر الازكوي ، تاريخ عمان ، ص ٧٢ .

(٩) ولكنسون ، عمان تاريخا وعلما ، ص٣٦ .

بنو خروص الى انتخاب ائمة خاصين بهم في منطقة الجوف من عمان ، وهكذا اصبح لعمان الاباضية امامان على الرغم من ان المذهب الاباضي لايجيز تعدد الائمة ،[1]

كانت بيعة الامام عامر بن راشد الخروصي على الشراء[2] ، والشراء عند الاباضية له مدلول خاص فقد اشترطت في البيعة عليه شروطا قاسية وقوية لايقبلها الا القليل منهم ، فتكفي للبيعة وجود اربعين شخصا يبايعون الله على الموت ولا يحق لهم الهرب من ساحة المعركة او الاستسلام حتى يموتوا جميعهم الا ان يبلغوا ثلاثة رجال ، لذا فالامام من هذا النوع يتمتع بالثقة المطلقة لدى اتباعه كما ان البيعة عليه ليست واجبة[3] ، كما تعني ايضا ان البلد محتل من قبل سلطة غير اباضية تقاعست الاكثرية عن مواجهتها فحق للاقلية الثورة في وجه المحتل الجائر حتى النصر او الشهادة[4] ، وعلى هذا فان بيعة عامر بن راشد الخروصي كانت تحديا لسلطة اليحمد في عدف وكذلك للسلاجقة في الساحل ، ولم يشر السالمي الى اعمال هذا الامام او الحروب التي خاضها بسبب تقلده امامة الشراء واكتفى بالقول انه كان (رجلا عالما زاهدا ذا ذكاء وفطنة محسنا في الرعية... وهو اخر الشراة من بني الخروص قال فاستقام على الحق حتى توفاه الله)[5] دون ان يشير ايضا الى مدة امامته او تاريخ وفاته ٠

ثم تشير المصادر الاباضية الى امام خروصي اخر وهو محمد بن غسان بن عبد الله الخروصي من ائمة الطائفة الرستاقية وجعلته بعد عامر بن راشد بن الوليد دون الاشارة الى تاريخ توليته للامامة[6] ، ويذكر السالمي انه كان (امام دفاع فاراد وءان

---

(١) السالمي ، جوهر النظام في علم الاديان والاحكام (ط ا مصر ١٣٤٤هـ) ص٥٦٩ ٠

(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٦ ٠ السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٧٥ ٠
والشراء عند الاباضية جاء من الاية الكريمة (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) الاية (٢٠٧) من سورة البقرة ٠ ابن دريد جمهرة اللغة ، ط ٢ (حيدر اباد الدكن ١٣٤٥هـ) ٢/ ٣٥١ ٠

(٣) الشماخي ، عامر بن علي ، الايضاح (دار الفتح للطباعة والنشر ١٣٩٤هـ) ١/ ٦٣٣ ٠
الشماخي ، مقدمة التوحيد ، ص ٧١ ٠ السالمي ، جوهر النظام ، ص٥٧٢ ٠ معمر ، علي يحيى ، الاباضية في موكب التاريخ (ط ١ القاهرة ١٩٦٤م) ١/ ١٥ ، ٩١ ٠

(٤) معمر ، المرجع السابق ، ١/ ٩٤ ٠

(٥) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٦ ٠

(٦) ن ٠ م ، ١/ ٣٣٦ ٠ السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٧٧ ٠ العنوان عن تاريخ عمان ، (بدون تاريخ) ص ٢٥١ ٠

يكون شاريا فخاف ان لا يطيق حمل الشراة خوفا من خلفاء بغداد (١)، والدفاع عند الاباضية هو نوع من الامامة اقل درجة من الشراء اذ يمتاز ببعض المرونة فالامام هنا مخير في الاحكام ان شاء حكم وان شاء ترك ، كما يجوز له الاعتزال عن منصبه (٢) فالامام المدافع (تسعه التقية اذا خذلته الرعية) (٣)، اما ظروف تقلدها فهــو ان يكون البلد يسيطر عليه حاكم على غير مذهبهم عندها يبايع الناس اماما يقودهم في مقاتلة ذلك الحاكم ويبقى في الامامة الى حين زوال تلك الظروف عندئــذ ينظر في امامته ان شاؤا ابقوه وان شاؤا عزلوه (٤)، وقد كانت امامة محمد بن عبد الله ابن غسان تسع سنين حسبما ذكر السالمي دون ان يحدد تاريخها (٥)، ولعل امامته وامامة عامر بن راشد بن الوليد كانت في الحقبة بين عام (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م وعام ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) ، اذ ذكر السالمي ان حركة مسلحة قام بها علماء فرقة الرستاق على الامام راشد بن علي اليحمدي في عام (٤٩٦هـ/ ١١٠٢م) وكان زعماء هــذه الحركة نجاد بن موسى بن نجاد — الحليف السابق للامام راشد — وابا بكر احمد ابن عمر بن ابي جابر المنحي اللذين عملا على محاربة الامام راشد بن علي فــي منطقة الرستاق (٦)، ويبدو ان هذه الحركة كانت اثناء امامة شخص اخر غير من تقدم ذكرهم وهو خنبش بن محمد ، الذي عمل جهده في منع وقوع الصدام المسلــح المباشر بين الجانبين حتى وفاته عام (٥١٠هـ/ ١١١٦م) (٧)، اذ ذكرت المصــادر ان مصيبة جرت على الناس بموته (٨)، وهذه المأساة التي اشير اليها على ما يبدو كانت وقوع الحرب بين نجاد بن موسى زعيم فرقة الرستاق والامام اليحمدي راشـد

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٦.
(٢) ن٠م ، ١/ ٣٠٢.
(٣) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٧٠؛ ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٤٤.
(٤) الشماخي ، مقدمة التوحيد ، ص ٧٠.
(٥) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٦.
(٦) ن٠م ، ١/ ٣٢١.
(٧) ن٠م ، ١/ ٣٢٩.
(٨) ن٠م ، ١/ ٣٢٩؛ السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٩١.
Ross, Annals of Oman, p. 30.

ابن علي التي ادت في النهاية الى هزيمة نجاد بن موسى وقتله في عام (٥١٣هـ/ ١١١٩م)[١] وعلى اثرها تمكن الامام راشد بن علي من دخول نزوى ومناطق الجوف الاخرى مما سبب ما وصفته المصادر بالمصيبة التي حلت بالناس على ايدى قادة اليحمد ، وقد توفي الامام راشد بن علي هو الاخر بعد هذه الحادثة ، اذ كانت وفاته في شوال من عام (٥١٣هـ/ ١١١٩م)[٢] .

وتشير المصادر الاباضية الى ان الطائفة الرستاقية بايعت بعد موت الامام خنبش بن محمد ، ولده محمد بن خنبش وذلك يوم وفاة ابيه من عام (٥١٠هـ/ ١١١٦م) وقد استمرت امامته الى عام (٥٥٧هـ/ ١١٦١م)[٣] ، كما تذكر المصادر الاباضية عددا اخر من الائمة انتخب في هذه الحقبة ايضا منهم الامام عثمان بن موسى بن محمد بن عثمان الذى يسكن عقر نزوى وكانت وفاته عام (٥٣٦هـ/ ١١٤١م)[٤] ، واشارت الى امام اخر وهو الخليل بن عبد الله بن عمر الذى عقدت له الامامة بنزوى ولكنها لم تشر الى تاريخ ذلك[٥] ، وفي عام (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) بايعت فرقة الرستاق الامام موسى بن ابي جابر بن موسى بن نجاد ، وهو حفيد موسى بن نجاد الذى قتله الامام راشد بن علي عام (٥١٣هـ/ ١١١٩م) ، وقد استمرت امامته الى عام (٥٧٦هـ/ ١١٨٣م)[٦] ، وكما نرى فان بيعة هذا العدد من الائمة كان في عصر واحد[٧] ، وان المصادر الاباضية التزمت الصمت عما كان يحدث بينهم ، كما اعترفت بعجزها عن التعرف على هوية البعض الاخر ، فالسالمي يشير الى ان (اهل عمان افترقوا طائفتين .... وكانت كل طائفة تنصب اماما)[٨] وفي مكان اخر يذكر

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢١ .
(٢) ن ، م ، ١/ ٣٢١ .
(٣) الازكوى ، تاريخ عمان ، ص ٧٢ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٩ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٩٢ .
(٤) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٠ .
(٥) ن ، م ، ١/ ٣٣٧ .
(٦) ن ، م ، ١/ ٣٤٢ .
(٧) انظر عن هؤلاء الائمة : الازكوى ، تاريخ عمان ، ص٧٢ . مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان ، ص٦٤ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٠ وما بعدها . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٨٠ وما بعدها .

Ross , op, cit, p. 30.

(٨) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٦ .

(ان اهل عمان لا يعتنون بالتاريخ فلذلك غاب عنا اكثر اخبار الائمة)(١)، اما السيابي فيعزو اسبابا باضطراب تاريخ هذه الحقبة بقوله (ان الدهر الذي مر على العمانيين في ذلك العهد كله اضطراب وسبب ذلك الاضطراب موسى بن موسى(٢) ومن شايعهم من الغلاة فيهم ومن الدعاة ضدهم وكان ذلك داعية تفرق الكلمة بين المسلمين)(٣).

عندما جاء النصف الثاني من القرن السادس الهجري كانت احداث عمان الداخل تديرها قوتان رئيسيتان وثالثة نامية، وجميع هذه القوى الثلاثة لم تكن على وفاق فيما بينها، وتتمثل هذه القوى في تجمع اليحمد الذين حصروا الامامة في سلالتهم مما دفع كتاب الاباضية الى وصفهم بالملوك، والاخرى في انصار فرقة الرستاق تحت قيادة امامهم موسى بن ابي جابر بن موسى بن نجاد(٤)، اما القوة الثالثة فتتمثل ببني نبهان.

كانت اليحمد بقيادة ملكهم محمد بن مالك الذي وصفه السيابي بانه كان (ملكا عادلا حسن الاخلاق عاقلا ذا اناة وتؤدة وعقل راجح.. وكان الملك المذكور قائما بواجبات الشريعة ولا يلزم في الامامة نفس العقد اذا قام الامير بحقوق الله واجرى الشرع في مجاريه... ومحمد بن مالك لما قام بالعدل كان من الواجب تاييده، فان المعتمد على الاعمال لا على الالقاب فان لقب الامام او الخليفة او السلطان ونحو ذلك لا معول عليه في جانب الحق)(٥)، وقد حاولت الطائفة الرستاقية بزعامة امامهم موسى بن ابي المعالي القضاء على سلطة اليحمد وملكهم الذين تهنوا - كما اشرنا - جانب فرقة نزوى، ولعبت العصبية القبلية دورا بارزا في هذا النزاع خصوصا وان الامام موسى بن ابي المعالي كان ينوى الثأر من

---

(١) السالمي، تحفة الاعيان، ١/ ٣٥٣.

(٢) موسى بن موسى احد علماء الاباضية في نهاية القرن الثالث الهجري خرج على الامام الصلت بن مالك وعزله فاثار عزله مشكلة عويصة تركت اثارها على التاريخ العماني حتى العصور الحديثة.

Wilkinson, The Origins of The Omani State, Arabian Pen. p. 79.

(٣) السيابي، عمان عبر التاريخ، ٣/ ٧٧.

(٤) يعد سليمان الخروصي الامام موسى بن ابي المعالي من ائمة اليحمد، انظر، حصاد ندوة الدراسات العمانية ١/ ٢٣٢، وهذا مالم تذكره المصادر الاباضية التي اشارت اليه بانه من اشد اعدائها، انظر، السالمي، تحفة الاعيان، ١/ ٣٤٢.

(٥) السيابي، عمان عبر التاريخ، ٣/ ٨٤.

اليحمد الذين سبق وان قتلوا جده في بداية هذا القرن ، وقد جرت مراسلات بين الجانبين اورد لنا السالمي بعضها في تحفته ، ومن هذه الرسائل يمكن ان نستشف ان مفاوضات جرت بين الجانبين استمرت عدة سنوات ومثل الجانب المتصلب فيهما الامام موسى بن ابي المعالي ، فقد عرض الملك محمد بن مالك على الامام موسى التحكيم بين الجانبين حتى يتضح الحق في الخلاف الذي بيده ولنا ان اسسه كانت العصبية القبلية المستندة الى التطرف العقائدي لكل من فرقتي نزوى والرستاق ، وقد اقترح الملك محمد بن مالك على الامام ان يتكاتفوا جميعا على ما اسماه في رسالته ـ العجم اذ قال (وان تطرحوا ايديكم في يدي وتقبلوا ما اقوله لكم فانا الكفيل لما تحاذرونه من امر العجم) (١) ، ويبدو ان الملك محمد بن مالك كان ينوي توحيد قوى عمان المحلية للتخلص من النفوذ السلجوقي الذي شهد الضعف والانحلال في هذه الحقبة ، الا ان موقف الامام المتصلب احبط جميع الجهود التي بذلها الملك اليحمدي لتحاشي وقوع الحرب ، ويذكر السالمي ان الامام موسى بن ابي المعالي خرج في جيش كبير فيما خرج الملك في جملة اليحمد (٢) وقد اشترك مع الجانبين قسم من قبائل بني عامر الذين اخذوا يلعبون دورا هاما في احداث عمان في هذه الحقبة ، اذ ان قيام عبد الله بن علي في البحرين وتنكيله بهم دفع بعضهم الى التوغل في عمان (٣) فاخذوا يتدخلون في احداثها السياسية عن طريق مناصرة بعض الفئات على الاخرى على غرار ما راينا عند الحديث عن الامارة العيونية ، ويبدو ان بني عامر كانوا يريدون الحصول على الامتيازات السياسية والاقتصادية في المناطق ذات الاهمية الاقتصادية في كل من البحرين وعمان ، وعلى الرغم من انهم تمكنوا من تحقيق اهدافهم في البحرين الا ان وضعهم في عمان كان يختلف ، اذ انهم لا يمثلون اغلبية كبيرة ،

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٤ .
(٢) ن . م ، ١/ ٣٤٢ .

(٣) Wilkinson , The Imamate tradition of Oman, p.80.

كما ان قبائل عمان على الرغم من شيوع العصبية القبلية فيما بينها في هذه الحقبة الا ان المذهب الاباضي كانت له جذور راسخة فيها وللعلماء دور بارز في توجيهها . اما بنو عامر فهم من القبائل غير الاباضية في عمان اذ وصفهم الملك محمد بن مالك بقوله . (وان لبستم علي ضعاف المسلمين وطغام الظاهرة) (١) وهي اشارة الى بني عامر الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة من عمان . (٢) ولهذا فان بني عامر على الرغم من تدخلهم المباشر في احداث عمان في هذه الحقبة الا انهم لم يكونوا صانعي الاحداث كما كانوا في البحرين . وهكذا جرت معركة كبيرة وحاسمة بين كل من اليحمد بزعامة محمد بن مالك والامام الاباضي موسى بن ابي المعالي في قرية تعرف بالطو وذلك في عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) تمكن فيها الملك محمد بن مالك من الحاق هزيمة كبيرة بالامام الاباضي وقتله كما قتل عددا من العلماء المناصرين له . (٣)

ثانيا : نهاية الامامة الاباضية وظهور النباهنة

ان مقتل الامام موسى بن ابي المعالي عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) (٤) كان فاتحة عهد من الفترة المظلمة في تاريخ الحركة الاباضية في عمان . اذ اجمع الكتاب الاباضية على انه لم يتم انتخاب امام للاباضية فيها حتى بداية القرن التاسع الهجري . فالازكوي يشير الى ذلك بقوله (فهذه مايتا سنة لم اجد فيهما تاريخا لاحد من الائمة فالله اعلم انها كانت سنين فترة من عقد الامامة او غابت

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٥ . والظاهرة هي المنطقة الواقعة شمال غرب عمان باتجاه البحرين ، لوريمر ، المرجع السابق ، ٢/ ٥٤٨ .

(٢) Wilkinson, AL_Bahrain and Oman ,AL Watheekah ,No,7, ,1985,p.235.

(٣) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٢ . السيابي ، العنوان ، ص٢٥٢ .

(٤) يذكر كل من الازكوي وابن رزيق ان وفاته كانت في عام ٥٤٩هـ ، انظر تاريخ عمان ، ص٧٢ ؛ الفتح المبين ، ص٢٤٦ . والصحيح هو ان بيعته كانت في هذا العام وان وفاته كانت في عام ٥٧٩هـ ، انظر السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٢ .

معرفة اسمائهم) (١) ، اما السالمي فينحي باللائمة على اهل عمان لضياع الدولة بقوله (لما اراد الله تعالى انفاذ امره في اهل عمان فانهم لما افترقوا فرقتين وصاروا طائفتين نزع الله دولتهم من ايديهم) (٢) ، والسيابي ايضا يحذو حذوهم بقوله (لما افترق اهل عمان الى نزوانية ورستاقية ضللوا بعضهم بعضا وسفكوا دماء بعضهم بعضا واثاروا بينهم الضغائن واوغروا الاحقاد بنصب امامين في قطر واحد بل في بلد واحد وفي مذهب واحد بحوزة واحدة واستمروا بذلك عهدا سلط الله عليهم عدوا من انفسهم في الوطن والجنسية والمذهب) (٣) .

اما مصير المنطقة الداخلية من عمان بعد انهيار الامامة الاباضية فقد اكتنفه الغموض ، اذ اكتفت المصادر بالقول ان نفوذ اليحمد اخذ بالتقلص وذلك بسبب ظهور قوة جديدة تمكنت من السيطرة على داخل عمان وانهاء نفوذ اليحمد وهم بنو نبهان ، ويبدو ان اليحمد قد مزقتهم الصراعات القبلية والطائفية مع الامامة الاباضية من انصار فرقة الرستاق ، كما يبدو ان تاريخهم ارتبط بدماء الكثيرين خلال حروبهم الطويلة مع الامامة الاباضية واخرها الصدام الكبير الذى اودى بحياة الامامة نفسها عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) ، وهذا حسب تقديرنا العامل الاول الذى جعلهم يتراجعون كقوة كبرى على ساحة عمان الداخلية وافسح المجال للنباهنة كقوة جديدة ان تحل محلهم (٤) .

اما كيف انتقلت السيادة في داخل عمان من قبائل اليحمد الى بني نبهان فهو امر ما يزال يكتنفه الغموض ، فالكتاب الاباضية ـ وهم من الفقهاء الذين تصدوا للكتابة في تلك الحقبة ـ يرون ان التاريخ الحقيقي هو تاريخ الجماعة الاباضية

---

(١) الازكوى ، تاريخ عمان ، ص٧٢ .
(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٥٢ .
(٣) السيابي ، العنوان ، ص ٢٥٦ .
(٤) يشير الدكتور العقيلي دون الاشارة الى مصدره ان حكم النبهانية ابتدا من نهاية القرن الثالث الهجرى وهو امر لا تؤيده المصادر التي اجمعت ـ كما سنرى ـ على ان نفوذ بني نبهان ابتدا بالظهور منذ القرن السادس الهجرى ، انظر ، العقيلي ، المرجع السابق ، ص١٨٧ .

وهو جدير بالتسجيل اما غيرهم فهم (جبابرة)[1] وتاريخهم غير جدير بالحفظ والاهتمام اياً كان اولئك الحكام او المنطقة التي يتولونها ، فعمان في نظر الاباضية هي بقعة الارض التي تشغلها الامامة فقط وبالتالي فان اى حدث في اى منطقة من ارض عمان ليس فيها للاباضية نفوذ لاتجد له صدى عند علماء الاباضية وكتابها ،[2] ولهذا نرى ان الكتاب الاباضية عندما يصلون الى هذه الحقبة يشيرون اليها انها فترة تسلط (الجبابرة) على اهل عمان ، فالسالمي يذكر ان دولة بني نبهان كانت (مبنية على الاستبداد بالامر وقهر الناس بالجبرية فلم تجد لدولتهم تاريخا)[3] اما ما ذكره الشاعر ابوبكر احمد بن سعيد الستالي (٥٨٤ـ٦٧٦هـ/ ١١٨٨ـ١٢٧٧م) المتخصص في مديح الملوك النباهنة . فقد اشار الى عدد من اسماء ملوكهم الذين مدحهم .[4] ويمكن الاستفادة منه الا ان هذه الفائدة تبقى محدودة وذلك لخلو القصائد من تواريخ محددة ، كما ان تواريخ بعضها مضطربة وغير معقولة[5] ، ولكن لو قيض الله لديوان الستالي من يشرحه ويعلق على قصائده ، كما هو الحال في ديوان ابن المقرب العيوني لحفظ لنا تاريخ تلك الحقبة التي تكاد تكون مجهولة .

والنباهنة[6] هم قوم من العتيك من ازد عمان ، استمر حكمهم في عمان من منتصف القرن السادس الهجرى حتى القرن التاسع الهجرى ،[7] وبدا ان نفوذهم بدأ يظهر في المناطق الداخلية من عمان منذ النصف الاول من القرن السادس الهجرى فيذكر السيابي ان مركز حكمهم الاول كان في منطقة مقنيات[8] الواقعة غرب

---

(١) الجبابرة : هو اصطلاح تطلقه الاباضية على كل من خالف مذهبهم ؛ السالمي تحفة الاعيان ، ١/ ٢٠٧ (الهامش) .

(٢) ولكنسون ، عمان تاريخا وعلماء ، ص٣٣ـ٣٤ .

(٣) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٥٢ .

(٤) انظر ديوان الشاعر ابوبكر الستالي (تحقيق عز الدين التنوخي دمشق ١٩٦٤م) .

(٥) انظر مثلا ما جاء في ص٣٧ ، قصيدة يمدح ابا عبد الله محمد بن عمر ويعزيه بوالدته سنة ١٠[illegible] ، وكذلك ص ٢٥٩ : وقال يرثي السلطان [illegible] محمد بن نبهان سنة ٤٧٤هـ وايضا ص ٢٨٦ : وقال يمدح السلطان ابا الحسن ذهل بن عمر ويهنئه بقدومه من الحج سنة ٥٥٦هـ ، فهذه التواريخ كلها كانت قبل ولادة الشاعر نفسه .

(٦) السيابي ، اسعاف الاعيان ، ص١٧٦ ؛ السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٥٢ .

(٧) مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان ، ص٦٧ . السالمي وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص١٤٩ .

(٨) مقنيات : احدى مدن داخلية عمان تقع بين جبلين خصبة كثيرة المياه وكانت بها اثار من بناء النباهنة ، ابوبشير السالمي ، نهضة الاعيان ، ص ٤٥ .

داخلية عمان وكان بها اميرهم المدعو فلاح بن المحسن (١) الذى كان حيا في عام (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م) (٢) ، ويبدو انه كان يتمتع بنفوذ اقتصادى كبير في المنطقة ولعله كان رئيس قبيلة واقطاعيا اذ أُشير الى انه اول من ادخل زراعة المانغا في عمان (٣) ، وتشير المصادر الاباضية الى ان احد ائمتهم المدعو الخليل بن عبد الله بن عمر كان اماما في نزوى وقاتل النباهنة وخضعت له منطقة الرستاق وعدد من مدن داخل عمان (٤) ، ولكنها لم تشر الى تاريخ امامته ، وقد ذكر السيابي ان بيعته كانت (في اول وقت بدأت فيه روح الدولة النبهانية في عمان تجس جسها وترمز اسمها وتعلن عهدها) (٥) ، وخلال حرب الامام الخليل مع الدولة النبهانية تمكن من الحاق هزيمة بها الا ان بني نبهان استعانوا بقبائل بني عامر بن صعصعة من الجبور (٦) وبني هلال (٧) واستمر القتال بينهم سجالا حتى وفاته ، وقد كان الامام الخليل بن عبد الله اخر ائمة عمان من الطائفة النزوانية (٨) ، كما كان الامام موسى بن ابي المعالي اخر ائمتها من الطائفة الرستاقية ، وعليه فانه بوفاة هذين الامامين يكون قد خلا الجو السياسي لاكبر قوة في الجوف وهي القوة النبهانية لتبسط سيطرتها الكاملة على المنطقة بعد ان تمكنت من القضاء على القوى المناوئة لها كافة ، ويبدو ان ذلك حدث بعد عام (٥٧٩هـ/ ١١٨٣م) وهو العام الذى قتل فيه الامام الاباضي موسى بن ابي المعالي ، وبذلك يمكن القول ان داخلية عمان في نهاية القرن السادس الهجرى شهدت مرحلة جديدة من تاريخها اذ عمل

---

(١) السيابي ، العنوان ، ص ٧٤ .
(٢) زامباور ، معجم الانساب ، ١/ ١٩٤ .
(٣) السيابي ، العنوان ، ص ٧٤ . وندل فيليبس ، تاريخ عمان ، ص ٢٥ .
(٤) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٧ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٨٠ — ٨١ . السالمي وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٤٧ .
(٥) السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٨٠ .
(٦) يشير السيابي ان كلا من بني هلال والجبور هم من عامر بن صعصعة كانوا يسكنون اطراف الاحساء ويغيرون على عمان ، اسعاف الاعيان ، ص ٥٦ .
(٧) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٧ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٨٠ .
(٨) السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٨٠ .

بنو نبهان على ارساء قواعد حكمهم على اسس قبلية تختلف عن تلك التي كانت على عهد الائمة ، كما لم يتخذوا المذهب الاباضي اساسا لحكمهم ، ولهذا وصفهم كتاب الاباضية بأنهم (جبابرة) وان عهدهم كان بداية فترة مظلمة في تاريخ الحركة في عمان (١) ، ولكن ذلك لا يعني ان حكم بني نبهان لم يكن له دور في عمان فالدراسات الاثرية تشير الى ان هناك عددا من الاثار التي يرجع تاريخها الى حقبة حكم الدولة النبهانية تدل على ان تلك الحقبة كانت مرحلة ازدهار وتألق (٢) ، كما ان المدن التي كانت عواصم لهم كمقنيات وبهلا (٣) ونزوى كانت مدنا مشهورة في انتاج العديد من المحاصيل الزراعية انذاك (٤) .

وقبل ان نختتم الكلام عن الاباضية في هذه الحقبة نود ان نشير الى اهم ميزاتها ، اذ تميزت الاباضية في هذه الحقبة بظهور عدد من العلماء الذين تركوا اثارا واضحة على العقيدة والفكر الاباضي حتى العصر الحديث ، مما يدعو الى القول ان هذه الحقبة شهدت قمة النشاط الفكري للحركة الاباضية ، الا ان معظم هذا النشاط ظهر على ايدي علماء فرقة الرستاق وتركز موضوعه حول محورين ، الاول عملية خلع الامام الصلت بن مالك في نهاية القرن الثالث الهجري نظرا لان ذلك الحادث كان يمثل النظرية التي تقوم عليها عقيدتهم بالنسبة للعلاقات الدستورية التي تربط بين الامام والعلماء وعامة الناس (٥) ، اما المحور الثاني فكان الفقه الاباضي اذ شهدت هذه الحقبة ظهور اعظم طلبة العلم الذين وضعوا الاصول الاولى للمذهب الاباضي ، فقد تحدث

---

(١) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٧٢ . مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان ، ص٩٥ . ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص٣٤٦ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٥٢ . السالمي وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٤٩ .

(٢) دونالد وتكومب ، دراسة لاثار عمان مجلة الدراسات العمانية (عمان ١٩٧٨ م) ص٥٤ .

(٣) بهلا : هي احد مناطق عمان الداخلية الواقعة غرب نزوى والمشتهرة بزراعة القمح والشعير والسكر والقطن والنخيل ، لوريمر ، المرجع السابق ، ١/ ٢٨٧ .

(٤) السيابي ، العنوان ، ص٦٧ ، ٧٤ .
Skeet, Muscat and Oman, (London 1,74) p. 103.

(٥) ولكنسون ، عمان تاريخا وعلماء ، ص ٦٦ .

هؤلاء عن الفقه والفكر الاباضي ونظريته السياسية التي اصبحت القاعدة القانونية والفقهية للمذهب الاباضي فيما بعد (١) ، وقد شارك اغلب هؤلاء العلماء في الصراعات السياسية التي دارت في هذه الحقبة بين فرقتي نزوى والرستاق ، ولكن مما يؤسف له ان اغلب كتاباتهم التي وصلت الينا هي عبارة عن قواعد عامة للفكر والفقه الاباضي اذ لم يكن يقصد منها التسجيل التاريخي مما جعل اهميتها للتاريخ السياسي محدودة .

ومن ابرز كتاب هذه الحقبة ابو الحسن علي بن الحسن البسياني (او البسيوى) من اهل قرية بسيا تابعة لمدينة بهلا ، وله عدد من الاثار منها سيرته الموسومة (الحجة على من ابطل السؤال بالحدث الواقع بعمان) (٢) واغلب موضوعها يدور حول المشادة التي حصلت في عمان في نهاية القرن الثالث الهجرى بعد خلع الامام الصلت ، وله كتاب في الفقه يدعى (مختصر البسيوى) (٣) ، ورساله في الفقه والعقيدة عنوانها (اصل ما اختلفت فيه الامة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) (٤) ، وكان البسياني حيا اثناء امامة حفص بن راشد في منتصف القرن الخامس الهجرى كما اشترك في الصراع الذى كان يدور بين فرقتي نزوى والرستاق اذ انه من انصار فرقة الرستاق وقد قاد المعارضة ضد بيعة حفص بن راشد وافتى بعدم جوازها وشرعيتها (٥) ، ويبدو ان وفاته كانت قبل اشتداد الصراع بين الامام راشد بن علي (منتصف القرن الخامس الهجرى — ٥١٢هـ/١١١٩م) والفرقة الرستاقية اذ لم يرد اسمه في تلك المشادة التي دارت بينهما .

ومن علماء هذه الحقبة وكتابها ايضا سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري صاحب كتاب (الانساب) الذى تحدث فيه عن تاريخ عمان منذ الفترة الجاهلية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، ويبدو انه لم يكن له دور سياسي على الرغم من

---

(١) Wilkinson, The Imamate tradition of Oman, p.10.

(٢) وهي ضمن كتاب جامع السير العمانية الموجودة في مكتبة الامام غالب بن علي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

(٣) مختصر البسيوى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا الله (سلطنة عمان ١٣٩٧هـ) .

(٤) Wilkinson, The Omani manuscript collection at Muscat, Arabian studies, London, 1978, Vol.4, p.194

(٥) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/٣٢٥-٣١٦ .

ان وفاته كانت بعد ابي الحسن البسياني اذ انه ذكره في كتاب الانساب في معرض حديثه عن بني سليمة .(١)

ويعتبر القاضي نجاد بن موسى بن نجاد احد زعماء فرقة الرستاق من اشهر علماء هذه الحقبة الذين شاركوا بدور فعال في احداثها السياسية ، اذ رأيناه في معرض الكلام عن امامة راشد بن علي يتزعم حركة المعارضة ضده ، وانه قاد حركة مسلحة اودت بحياته عام (٥١٣هـ/١١١٩م)(٢) ، وتعتبر الاباضية القاضي نجاد بن موسى احد العلماء الذين اخذ العلم عنهم في المذهب الاباضي(٣) ، وقد اشار ابو بكر الكندي الى ان للقاضي نجاد بن موسى كتابا يعرف (الاكلة وحقائق الادلة)(٤) ويدل المقتطفات التي اخذها الكندي منه ان موضوع الكتاب يدور حول مسائل في العقيدة والفقه الاباضي .

وخلال النصف الاول من القرن السادس الهجري ظهر لنا ثلاثة من اشهر العلماء الذين يرجعون الى بني كندة في عمان(٥) ، وهؤلاء الثلاثة هم محمد بن ابراهيم الكندي صاحب كتاب بيان الشرع الذي يتكون من (٧٢) مجلدا وهو اكبر موسوعة في الفقه الاباضي وهو ما يزال مخطوطا(٦) ، والثاني هو محمد بن موسى الكندي صاحب كتاب الكفاية الذي يتكون من (٥١) مجلدا في الفقه الاباضي ايضا وهو من الكتب التي لم يعثر عليها احد الآن(٧) ، والثالث ابو بكر احمد بن عبد الله الكندي الذي الف كتاب (المصنف) من (٤١) جزءا في الفقه الاباضي ، وكتاب

---

(١) العوتبي ، الانساب ، ٢/ ٢٠٨ . انظر عن العوتبي : السيابي ، اصدق المناهج ، ص٥٤ .
Wilkinson, Sources, p.93

(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٢١ .

(٣) المقصي الرستاقي ، ابو بكر احمد بن عبد الله ، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ، تحقيق سالم بن حمد الحارثي ، (سلطنة عمان ١٩٧٨م) ١/ ٦٢٤ .

(٤) الكندي ، ابو بكر احمد ، الجوهر المقتصر ، تحقيق سيدة اسماعيل كاشف (سلطنة عمان ١٩٨٣م) ص٣٨ .

(٥) بني كندة ، وهي من القبائل اليمانية في عمان كانت تسكن مدينة نزوى ، السيابي ، اسعاف الاعيان ، ص١٣٥-١٣٦ .

(٦) انظر عن كتاب بيان الشرع :
Smith, The Omani; Manuscript Colleetion at Muscat, part, 1, Arabian stadies, London, 1928, VOl.4.pp.166-167.

(٧) Wilkinson, Bio-bibliographial cp.cit, p.157.

(الجوهر المقتصر) الذى يتحدث فيه عن العقيدة والفقه الاباضي (١) ، ومن الوجهة السياسية يعد صاحب كتاب المصنف ابو بكر احمد بن عبد الله الكندى ابرز هولاء الثلاثة ، اذ اشترك في الصراعات السياسية القائمة انذاك وكان يمثل وجهة نظر فرقة الرستاق وهو من اشد انصار الامام محمد بن ابي غسان وقد كتب كتابا يعرف (بسيرة البررة) دافع فيه عن امامته (٢) ، وقد كانت وفاة ابي بكر الكندى عام (٥٥٧هـ/ ١١٦١م) (٣) ، اضافة الى ما مر ذكره من العلماء فقد كان هناك عدد اخر ظهر في هذه الحقبة (٤) الا ان دورهم السياسي كان اقل ممن مر ذكرهم .

ثالثا : سواحل عمان ومحاولات التدخل الاجنبي

شهد منتصف القرن الخامس الهجرى تطورات جديدة في المشرق الاسلامي فقد ظهر السلاجقة كقوة كبيرة استطاعت ان تكتسح اقاليم المشرق ودخول بغداد عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م) والقضاء على النفوذ البويهي فيها ، وكان السلاجقة قد تمكنوا من السيطرة على بلاد فارس وكرمان قبل هذا التاريخ (٥) ، واخذوا يتطلعون الى منطقة الخليج العربي التي شهدت هي الاخرى وخصوصا البحرين وعمان فراغا سياسيا كبيرا ، فقد مر بنا عند الحديث عن البحرين في هذه الحقبة كيف ان افول نجم القرامطة فسح المجال امام العديد من القوى لمحاولة السيطرة على البلاد ثم تمكن العيونيون اخيرا من اخضاع منافسيهم والاستيلاء عليها بالتعاون مع الخلافة .

وفي عمان وعلى الرغم من ان هذا الوقت شهد ظهور دولة موحدة بزعامة الامام

---

(١) طبع هذا الكتاب في عام ١٩٨٣م بتحقيق الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف .
(٢) اورد السالمي في تحفته الجزء الاكبر من هذه السيرة ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٨ .
(٣) انظر ترجمته في مقدمة كتاب المصنف الجزء الاول .
(٤) انظر عن العلماء الاباضية في هذه الحقبة : الشقصي الرستاقي ، منهج الطالبين ، ١/ ٦٢٤ وما بعدها . الازكوى ، كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا جامعة بغداد ، برقم (٢٠٠٥) ورقة ٣٤٤ وما بعدها . السيابي ، اصدق المناهج ، ص٥٣ وما بعدها . ولكنسون ، عمان تاريخا وعلماء ، ص٦٩ وما بعدها .
(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٥١٠ .

الاباضي راشد بن سعيد (٤٢٥ـ٤٤٥هـ/ ١٠٣٣ـ١٠٥٣م) الا ان هذه الوحدة ـ كما مر بنا ـ لم تستمر طويلا ، اذ عاد الانقسام والتناحر بين اقطاب الاباضية في عمان فرقتي نزوى والرستاق مما فسح المجال امام البويهيين للتدخل من جديد واعادة نفوذهم على ساحل عمان ، فيشير الكرماني الى ان السلاجقة عندما عبروا البحر الى عمان وجدوا هناك قوة بويهية بقيادة احد امراء الديلم يدعى شهريار بن طافيل (تافيل)(١) ، ولما كان البويهيون قد طردوا نهائيا من عمان في عام (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) من قبل الامام الاباضي راشد بن سعيد(٢) ، لذا يحتمل ان شهريار جاء الى عمان بعد هذا التاريخ لاعادة النفوذ البويهي فيها وان الانقسام الذي حدث بين العمانيين اثر منشور الامام راشد بن سعيد عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) ربما كان من العوامل المساعدة لشهريار في استعادة نفوذه على بعض المناطق الساحلية ، ويحتمل ايضا ان الامام راشد بن سعيد قتل في معركة مع شهريار ، فقد اشارت المصادر الاباضية الى ان الامام راشد توفي في عام (٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م)(٣) دون الاشارة الى سبب ذلك ، وعلى اية حال فان شهريار لم يستمر طويلا كحاكم بويهي في عمان ، اذ ان سيطرة السلاجقة القاوردية على كرمان جعلت انظارهم تتجه الى عمان خاصة ومنطقة الخليج العربي عامة ، فقد مر بنا كيف ان السلاجقة اخذوا يتطلعون لمد نفوذهم الى البحرين منذ خمسينات القرن الخامس الهجري وتمكنوا من تحقيق اهدافهم هناك بالتعاون مع العيونيين .

وفي عمان اخذ قاورد بك السلجوقي يراقب الاحداث فيها عن كثب خاصة وانه كان رجلا طموحا وقد وصفت له عمان بانها ارض الخيرات والخزائن وبامكانه الحصول على الكثير من الاموال فيها(٤) ، كما ان السيطرة عليها تعني التحكم بالطريق

---

(١) الكرماني ، المرجع السابق ، ص٨ـ٩ .
(٢) يسميه ابن الاثير ، ابن راشد الحالي ، ٩/ ٥٦٥ .
(٣) الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٧١ . ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص٢٤٦ . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٤ . الحارثي ، العقود الفضية ، ص٢٥٧ .
(٤) الكرماني ، المرجع السابق ، ص٨ـ٩ .

الرئيسي للخليج العربي مما يمكنه بالتالي من فرض كلمته على قوى المنطقة كافـــة ، وقد هون عليه امر غزوها لعدم وجود حامية عسكرية كبيرة تدافع عنها (١) ، اضافة الى ذلك فان انتهاء نفوذ البويهيين السياسي في بغداد جعل قاورد بك يفكـــر جديا بالاستحواذ على املاكهم في عمان ، ولما لم يكن لدى السلاجقة اسطـول او قوة بحرية تمكنهم من العبور فقد استعانوا بامير هرمز المدعو ابن عيسى جاشـو لتزويدهم بالسفن اللازمة التي تنقلهم الى الجانب الاخر ، وقد لبى هذا الاميـر طلبهم وتمكن السلاجقة من العبور الى عمان بقيادة قاورد بك ، ويبدو ان الهجوم السلجوقي كان مفاجئا اذ لم يتمكن القائد البويهي شهريار من المقاومة او انـــه ادرك عدم جدواها بعد سقوطهم في بغداد ، وهكذا وقع في قبضة الجيـــــش السلجوقـــي ثم عرض على قاورد السلجوقي خدماته بان يكون حاكما سلجوقيا فـــي عمان مقابل التنازل عن الكنوز والاموال التي استولى عليها من العمانيين اثنـــاء حكمه ، فوافق قاورد على هذا العرض ، وبذلك اصبح شهريار اول حاكم سلجوقي لعمان (٢) .

اما عن تاريخ الغزو السلجوقي الاول لعمان فيرجح الاستاذ (باثورست) انـــه كان في عام (٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣ م) (٣) دون ان يشير الى مصدره ، ولكن ابن رزيق يشير الـى ان الامام حفص بن راشد عندما تولى الامامة في عمان (قام عليه الاعداء من زعماء السلطنة العباسية) (٤) وهذه اشارة ربما قصد بها السلاجقة الذين كانوا يقومون بهذه الاعمال باسم الخلافة ، ويفهم من السيرة التي كتبت في ايامه عن معارضيـــه الشيخ ابي الحسن البسياني والشيخ احمد بن عمر المنحي زعماء فرقة الرستـــاق انذاك (٥) ، ان الامام حفص بن راشد جمع عددا من اموال الزكاة واستعان بها فـــي (غزو عدو المسلمين) (٦) وهو اصطلاح تطلقه الاباضية على كل من خالف عقيدتهـــا (٧) ،

---

(١) الكرباني ، المرجع السابق ، ص ٨ــ ٩ .

(٢) ن ٠ م ، ص ٩ .

(٣) Bathurst, Maritime trade and Imamats government, in Arabian pen., (London, 1972), p.91

(٤) السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٥٦ (عن ابن رزيق)

(٥) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٦) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٧ . السيابي ، عمان عبر التاريخ ، ٣/ ٥١ .

(٧) الكندي ، الجوهر المقتصر ، ص ١٢٤ .

لذا فاننا نرجح ان الغزو السلجوقي كان خلال امامة حفص بن راشد وانه حدث صدام مسلح بينه وبين الجيش السلجوقي الغازي بقيادة قاورد ولكنه لم يتمكن من الصمود امامها مما اضطره الى الهرب ، وقد اشار الى ذلك احد المعاصرين له في رسالة وجهها الى الشيخ ابي الحسن البسياني وهو معاصر للاحداث حيث ذكر ان حفص بن راشد جمع الزكاة وحرض على الجهاد في سبيل الله الا انه لم يتمكن من الصمود (فوقع الخوف فهرب) (١) ، واذا صح ما تحراه السالمي وعساف من ان وفاة حفص بن راشد كانت في عام (٤٥٣هـ/ ١٠٦١ م) (٢) فان الغزو السلجوقي لعمان ربما حدث في هذا التاريخ كما ان وفاته ربما كانت بسبب صدام حدث مع السلاجقة اذ ان المصادر الاباضية نادرا ما تشير الى مثل هذه الاحداث نظرا لانها فترة تغلب (الجبابرة) على اهل عمان (٣) .

وهكذا وقعت المناطق الساحلية من عمان في قبضة السلاجقة الذين تولوا الاشراف عليها باسم الخلافة العباسية ، وخلال حكم قاورد الذي استمر الى عام (٤٦٦هـ/ ١٠٧٣ م) عانت عمان الامرين اذ لم يكن هم قاورد غير جمع الاموال ونهب الثروات وقد بقيت تحت اشرافه وفيها اقامته المفضلة (٤) حتى جاء خبر وفاة اخيه السلطان الب ارسلان فدفعه طموحه الى تسلم زعامة البيت السلجوقي فعبر من عمان الى كرمان بسرعة وعلى عجل مما الحق به خسائر كبيرة اذ غرق عدد من السفن في عملية العبور وادى ذلك الى هلاك عدد كبير من جنوده (٥) ، ولم تسرد

---

(١) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣١٦ .
(٢) السالمي وعساف ، عمان تاريخ يتكلم ، ص ١٦٥ .
(٣) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٢٦٣ .
(٤) مايلز ، الخليج العربي بلدانه وقبائله ، ص ١٣٦ .

(٥) تشير المصادر الى ان قاورد السلجوقي اخو السلطان الب ارسلان طمع في الملك بعد وفاة اخيه الذي اوصى لابنه ملكشاه ولكن قاورد ثار على ملكشاه وجهز جيشا من كرمان واتجه لمحاربته مدعيا بانه اكبر امراء السلاجقة وانه احق من ملكشاه في الزعامة وقد ادى ذلك الى وقوع الحروب وهزيمة قاورد وقتله عام ٤٦٦هـ . انظر التفصيلات: الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص ١٢٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ١١١ ، ابن الوردي ، زين الدين عمر ، تاريخ ، (ط ٢ النجف ١٩٦٦م) ٢/ ١٦٨ ، الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، نكت الهميان في نكت العميان (مصر ١٩١١م) ص ١٨٢ .

تفصيلات عن طبيعة الحكم السلجوقي لعمان او الولاة الذين مثلوا السلاجقة والخلافة فيها ، ومن اشارات الكرماني المتفرقة يمكن القول ان سلاجقة كرمان قنعوا بما يرسل اليهم من اموال سنوية من عمان تاركين حكمها بيد الطبقة التجارية الغنية والمتنفذة من اهلها في المنطقة الساحلية ، وان تدخلهم يكون عندما يطرأ ما يعكر صفو هذه العلاقة ، فقد اشار الى ان الخوارج في عمان ثاروا ايام حكم تورانشاه بن قاورد وهو الحاكم الرابع في السلالة القاوردية الذي حكم في الحقبة من عام (٤٧٧ـ٤٩٠هـ/ ١٠٨٤ـ١٠٩٧م) وعملوا على قطع الاموال التي ترسل الى كرمان ، فارسل تورانشاه قوة كبيرة من كرمان عبرت الى عمان بقيادة وزيره ناصر الدين بن العلاء (١) حيث تمكن من القضاء على هذه الثورة (٢)، واذا تتبعنا الاحداث في عمان الداخل هذه الحقبة نرى ان العمانيين انتخبوا عام (٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) الامام عامر بن راشد بن الوليد (٣) وقد بايعوه — كما مر بنا — على الشراء الذي يعني وجوب القتال مع الامام على كل من يستطيع حمل السلاح ، كما ان هذه الحقبة ايضا كانت ضمن امامة راشد بن علي (حوالي ٤٥٣ـ٥١٣هـ/ ١٠٦١ـ١١١٦م) وقد جاء في احدى السير التي كتبها الامام راشد بن علي نفسه انه هاجم عددا من المناطق التي كان يحكمها اهل القبلة (٤) وعمل على تخريبها واثار الذعر بين سكانها (٥)، لذا فاننا نرجح ان هذه الثورة التي اشار اليها الكرماني كانت عبارة عن هجوم قام اما راشد بن علي او عامر بن راشد بن الوليد على الوجود السلجوقي في ساحلية عمان وعملوا على قطع ارسال الاموال الى كرمان مما حدا بتورانشاه الى ارسال حملة بقيادة وزيره للقضاء عليها .

---

(١) وهو واحد من اشهر وزراء سلاطين سلاجقة كرمان حيث تولى الوزارة لعدد من من امرائهم حتى وفاته عام ٤٩٠هـ عباس اقبال ، الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة احمد كمال الدين حلمي ، (الكويت ١٩٨٤م) ص١٣٥ـ١٣٧ .

(٢) الكرماني ، المرجع السابق ، ص١٧ـ١٨ .

(٣) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٣٦ .

(٤) اهل القبلة : وهو لقب تطلقه الاباضية على مخالفيهم من المذاهب الاسلامية كافة ، السالمي ، ن٠م ، ١/ ٨٢ .

(٥) ن٠م ، ١/ ٣٢٩ .

والواقع ان المتتبع لاحداث عمان الداخلية في هذه الحقبة يمكن ان يستنتج ان العمانيين كانوا في ثورة دائمية ضد الوجود السلجوقي ، فما دام هناك امام دفاع فهذا يعني ان حالة الاستنفار قائمة في البلاد ومن واجب هذا الامام جمع الاتباع لمقاومة المحتل وطرده ، ولكن مما يؤسف له ان اغلب الحركات التي تقودها الاباضية في عمان لم تشر اليها المصادر المختلفة او انها تشير الى بعضهـا بأصابع الاتهام باعتبار ان الاباضية هي حركة معادية للخلافة وان حركاتهـا كانت تستهدف السلطـة العباسيـة ، فابن المجاور يشير مثلا الى عدم رغبته في الكلام عن الاباضية لانه كما يقول (لو فتحنا في هذا الباب لطال الكلام وكثر والتقصير في مثل هذا اصلح واجود)(١) ، كما ان المصادر الاباضية نفسها لم تعـر اهتماما كبيرا للاحداث التاريخية قدر اهتمامها بالمسائل الفكرية والعقائديـة لان اهل عمان كما يشير السالمي لايعتنون بالتاريخ (٢) .

ويشير الكرماني الى ان النفوذ السلجوقي في عمان استمر حتى اخر عهد ارسلان شاه الاول (٤٩٥ـ٥٤٦هـ/ ١١٠١ـ١١٤٢م) (٣) ولكنه لم يعط اى سبب لنهايتـه ، ويرى (باثورست) (٤) ان ذلك كان متزامنا مع انتخاب الامام محمد بن خنبش ، ولكـن حتى لو صح ذلك فان محمد بن خنبش لم يكن اول امام اباضي ابان السيطـرة السلجوقية فقد سبق بعدة ائمة كان لهم نفوذ في المناطق الداخلية وللسلاجقـة نفوذ في المناطق الساحلية ، والذى يبدو ان النصف الاول من القرن الســادس الهجرى شهد نشاطا سياسيا جديدا في منطقة الخليج العربي ، فقد ظهـر على المسرح السياسي فعاليات حاكم جزيرة قيس الذى هاجم البحرين في هـذه الحقبة (٥) ، كما هاجم ميناء عدن (٦) ، وكذلك سواحل جنـوب ايـران

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٨١ .
(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/٣٥٢ .
(٣) الكرماني ، المرجع السابق ، ص٩ .
(٤) Bathurst , Op,cit,p.91.
يورد السالمي تاريخين لانتخاب الامام محمد بن خنبش اولهما عام ٥١٠هـ بعد وفاة والثاني في عام ٥٥٦هـ ، تحفة الاعيان ، ١/٣٤٩ـ٣٥٠ .
(٥) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٢) ص٢٥١ـ٢٥٢ .
(٦) انظر عن هجوم صاحب جزيرة قيس على عدن : ابراهيم ، عدن ، ص١١٧ وما بعدها ، محمد امين صالح ، بنو معن ثم ال زريع في عدن ، المؤرخ العربي ، العدد (١٢) سنة ١٩٨٠م ، ص٣٢٦ وما بعدها .

والهند (١) ، ولا شك فان ظهور جزيرة قيس بموقعها المهم في الخليج العربي وتحكمها في التجارة في هذه الحقبة وقربها من سواحل كرمان ، كان من العوامل المهمة في تقويض النفوذ السلجوقي في عمان ، وقد اشار ابن الاثير الى هذه القوة الجديدة التي كانت تملك نصف عمان وسيراف وجنابة وجزيرة (بني نفيس) (٢) وقد قام اميرها المدعو ابو سعد محمد بن مضر بن محمود بمهاجمة البصرة باسطول كبير عام (٤٦٥هـ/ ١٠١١م) وذلك بسبب تعرض امير البصرة انذاك لمصالحه التجارية في الخليج العربي (٣) ، فاذا كان هذا الامير هو نفسه صاحب جزيرة قيس - وهو الراجح عندنا - فهذا يعني ان عمان في هذه الحقبة لم تكن خالصة للسلاجقة ، او ربما كان هذا الحاكم يعترف لهم بشيء من النفوذ الاسمي باعتبارهم يشرفون على المنطقة باسم الخلافة (٤) ، اضافة الى ما مر فان حكام بني قاورد انفسهم اصابهم الضعف والاختلاف بعد موت السلطان ارسلان شاه الاول عام (٥٣٦هـ/ ١١٤٢م) ، فيشير الكرماني الى ان عهد السلطان مغيث الدين محمد الذى خلف ارسلان شاه في حكم كرمان شهد انشقاقا في صفوف العائلة الحاكمة ، اذ تمرد عليه اخوه سلجوق شاه وجرت بينهما حروب طاحنة اسفرت عن هزيمة سلجوق شاه وعبوره الى عمان ، ولكن يبدو ان مجيئه الى عمان لم يكن حاكما سلجوقيا عليها ولكنه جاء لاجئا طالبا العون والمساعدة ضد اخيه في كرمان ، ويضيف ايضا ان سلجوق شاه بقي يتنقل بين عمان والاحساء ويراقب الاحداث في كرمان عن كثب ، ويبدو من خلال حديث الكرماني انه كون ما يشبه تحالفا مع العيونيين الا ان ذلك التحالف لم تعرف نتيجته اذ اكتفى بالقول ان السلطان الكرماني مغيث الدين محمد بقي طيلة حكمه خائفا من اخيه سلجوق شاه وحلفائه اهل الاحساء وعمان (٥) ، ولكنه لم يشر الى مصير

---

(١) الاد ريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤١ - ٤٢ .
(٢) يبدو انه اراد بها جزيرة قيس .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠/ ٤٠ - ٤١ .
(٤) مايلز ، الخليج العربي ، ص ١٣٧ .
(٥) الكرماني ، بدايع الزمان ، ص ٢٥ - ٢٦ .

سلجوق شاه او الجهة التي ساندته في عمان ، وبيد وان العمانيين قد استغلوا هذا الانشقاق الذى حصل بين افراد البيت القاوردى فساندوا سلجوق شاه للتخلص من طغيان حكومة كرمان ، ولم يرد ما يشير الى ان حاكم كرمان مغيث الدين محمد حاول استعادة عمان حتى وفاته عام (٥٥١هـ/١١٥٦م) (١) ، لذا يمكن القول ان عمان قد تخلصت من النفوذ السلجوقي في منتصف القرن السادس الهجرى ، وان القبائل العمانية قد استعادت الى حد ما سيطرتها ونفوذها على البلاد ، ويحتمل ان ملوك اليحمد وخصوصا الملك محمد بن مالك اليحمدى قد ساهموا بدور فعال في التخلص من النفوذ السلجوقي في عمان ، يفهم ذلك من مراسلاته مع الامام موسى ابن ابي المعالي (٥٤٩–٥٧٩هـ/١١٥٤–١١٨٣م) وتعهده له فيها بحمايته من العجم (٢) .

ان ضعف النفوذ السلجوقي ثم انحساره من سواحل عمان ادى الى نمو نفوذ حكام المدن التجارية ، وهؤلاء الحكام يستندون في حكمهم الى قوتهم الاقتصادية باعتبارهم كبار التجار وقوتهم العسكرية باعتبارهم رؤساء القبائل ، وعلى هذا الاساس نمت كل من قلهات في جنوب شرق عمان ثم هرمز وكذلك جزيرة قيس ومدينة تيز مكران ، وقد ساعد على نمو هذه المدن عوامل عديدة سنتكلم عنها عند الحديث عن الاحوال الاقتصادية للمنطقة ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان هذه الامارات كانت تابعة للخلافة وتقيم الخطبة العباسية فيها (٣) ، الا ان علاقاتها — كما سنرى — كانت مبنية على اسس اقتصادية محضة .

---

(١) الكرماني ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

(٢) السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٣٤٤ .

(٣) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص ٢٩٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٢٩٨ .
ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ٩/ ٢٦٢ .

تمهيـــــد

بالنظر الى موقع الخليج العربي في قلب العالم القديم فقد اصبح حلقـــة وصل بين قارات العالم الثلاث القديمة اسيا وافريقيا واوربا ، فعن طرقه الجنوبـي تصل بضائع الهند والصين وشرق افريقيا ثم تتجه شمالا عبر وادى الرافدين الـى سواحل البحر المتوسط ، مكونا حلقة وصل مهمة بين كل من الشرق والغرب ، ومما عزز من مكانته هذه كون سواحله وجزره غنية بموارد الثروة الاقتصادية (١) (٢) التي كانـت الرافد المهم على استمرارية الحركة التجارية ونشاطها وخصوصا عند توفر الظروف السياسية الملائمة لها .

ولقد حرصت الدولة العربية الاسلامية منذ انطلاقتها على اعطاء هذه المنطقة عنايتها الخاصة من خلال اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بها وحرصه على دخولها الى الاسلام (٣) ، وبعد وفاته (صلى اله عليه وسلم) وقيام حركة الردة اسرع ابو بكر الصديق (رض) بارسال المع قواده من الصحابة الى هناك للقضاء علـى الردة فيها (٤) واعادة الهدوء اليها ، وقد اعطت هذه السياسة ثمارها منذ وقـت مبكر من عهد عمر بن الخطاب(رض) ، اذ ان استقرار الاوضاع على سواحل الخليج العربي ساعد على استئناف نشاط اول مركزين تجاريين عليه في ظل الاسلام وهما ميناء دارين وميناء الابلة ، فقد اشار البلاذرى الى ان عددا من الصحابة ممـن تقلد بعض المناصب الادارية هناك اشتغلوا في التجارة في هذه المراكز وجمعـوا اموالا كبيرة ، فأرسل الى عمر (رض) بقصيدة تلفت نظره الى ذلك خوفا مـــن

---

(١) غنيمة ، تجارة العراق قديما وحديثا (بغداد ١٩٢٢م) ص٢٩ .

(٢) ابن الوردى ، خريدة العجائب وفريدة الغرائب (مطبعة مصطفى بابا الحلبي) ص ص١١٥ . انظر ايضا المبحث الرابع من الرسالة .

(٣) انظر ص (٣٢) من الرسالة .

(٤) ارسل ابو بكر الصديق عكرمة بن ابي جهل الى عمان وخالد بن الوليد الى اليمامة والبحرين لاخماد حركة الردة هناك ، انظر : البلاذرى ، فتوح ، ص٨٣ ، ٩٣ .

استغلال الناس جاء في بعض ابياتها :

ابلغ امير المؤمنين رسالة فانت امين الله في النهي و الامر

وانت امين الله فينا ومن يكن امينا لرب العرش يسلم له الصدر

فلاتدعن اهل الرساتيق والقرى يسيغون مال الله في الادم والوفر

نؤوب اذا ابوا ونغزو اذا غزو فانى لهم وفر ولسنا اولي وفر

اذا التاجر الداري جاء بفارة من المسك راحت في مفارقهم تجري (١)

وكان من جراء استئناف النشاط التجاري في هذه المراكز ، وضع نظام العشور على التجارة في عهد عمر بن الخطاب (رض) (٢) ، اذ جعل الصحابي ابابكرة عاملا له على عشور الابلة (٣) ، وقدامة بن مضعون الجمحي على البحرين (٤) ، وعلى الرغم من ان بعض اثار مساوىء النظام الفارسي القديم حول تجارة الخليج العربي والتحكم فيه كانت لاتزال قائمة (٥) ، فان ما ورد من اموال على بيت مال المسلمين في خلافة عمر (رض) يعكس ثراء المنطقة ونشاطها التجاري ، فقد بلغت واردات بيت المال خلال فترة ولاية ابي هريرة فقط على البحرين بخمسمائة الف درهم (٦) .

---

(١) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٣٧٣ .

(٢) جعل الخليفة عمر (رض) ضريبة العشر على التجار الواردين الى البلاد الاسلامية ، فيؤخذ من المسلم ربع العشر ومن اهل الذمة نصف العشر والعشر كاملا على التجار المشركين . انظر : ابو يوسف ، الخراج (القاهرة ١٣٤٦هـ) ص١٤٤ .

(٣) البلاذري ، المرجع السابق ، ص٣٧٣ .

(٤) ن . م ، ص٨٨ .

(٥) انظر عن النظام الفارسي القديم في الخليج العربي ، العسكري ، المرجع السابق ، ص٢٨ـ٤٠ .

(٦) البلاذري ، المرجع السابق ، ص٤٣٥ . الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٢٢٦ .

وفي الحقبة الاموية فتحت افاق جديدة للازدهار الاقتصادي للخليج العربي ،
فبعد ان استكمل تحرير جميع سواحل الخليج العربي في الحقبة الراشدة بدأت
الانظار تتجه الى الانسياح نحو بلاد الهند وذلك لتامين طرق المواصلات اليهـا ،
ويشير البلاذري الى ان طلائع الجيش العربي الاسلامي وصلت الى الديبل (١) منذ ايام
عمر بن الخطاب (رض) (٢) ، ولكن الفتح المنظم للمنطقة كان في الحقبة الامويـة (٣) ،
وهذا ما فتح الباب على مصراعيه امام الخليج العربي لاستعادة روابطه المباشـرة
مع الهند والصين بعد ان جمعته سيادة دولة واحدة ، ونلاحظ نشاط التجـار
المسلمين منذ وقت مبكر في المنطقة ترافقهم جهود الدولة الحثيثة لحمايتهـم
وتامين طرق مواصلاتهم ،فقد بنت الدولة اسطولا في الخليج العربي اوكلت اليـه
مهمة توفير الامن ومحاربة القراصنة (٤) .

ان اهتمام الدولة بنشر الامن وتشجيع التجارة في المنطقة وانسياح الجيـوش
العربية الاسلامية الى هناك ادى الى انتشار العرب على طول السواحل مـن
الخليج العربي الى الهند وتكوين جاليات عربية في معظم المراكز التجاريـة
عملت على تاسيس امارات عربية كانت التجارة عصب حياتها الاقتصادي الاول (٦) ،كما
ان تامين المواصلات بين الخليج العربي والهند ادى الى اندفاع التجار الـى
الشرق والوصول الى الصين ،فقد تحدثت المصادر عن قوافل السفن التي تنقل
التجار والمسافرين بين الهند والصين والخليـج العربـي

---

(١) الديبل : ذكرها ياقوت بانها (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .. وهي فرضة واليها مياه لهور وملتان وتصب في البحر الملح)، معجم البلدان ٢/ ٦٣٨ .
(٢) البلاذري ، المرجع السابق ، ٤٩٦ .
(٣) انظر عن فتوح بلاد السند والهند ، البلاذري ، المرجع السابق ، ٤١٧ وما بعدها .
(٤) العلي ، صالح احمد ، التنظيمات الاجتماعية في البصرة (ط٢ بيروت) ص٢٣٤ .
(٥) البلاذري ، المرجع السابق ، ص٣٧٣ .
(٦) المسعودي ، مروج الذهب (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط٤ مصر ١٩٦٤م) ١/ ١٦٧ـ ١٦٨ . الادريسي ، وصف الهند ، ص٢٩ وما بعدها . السامر الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى (ط٢ بغداد ١٩٨٦م) ص١٢ . ضيمة ، تجارة العراق ، ص٤٨ .

طيلة العهد الاموي (١) ·

ولم يقتصر تطور النشاط التجاري للعرب في العصر الاموي على الشرق باتجاه الهند والصين ، بل ازداد نشاطهم التجاري مع شرق افريقيا ايضا ، فقد جاب التجار العرب سواحل شرق افريقيا وعملوا على تاسيس مراكز تجارية على طول ساحل افريقيا الشرقي التي ما لبثت ان تحولت الى مدن عربية اسلامية زاهرة تسكنها وتتولى ادارتها جالية عربية كبيرة (٢) نزحت اليها من عمان وسواحل الخليج العربي (٣) ، وقد عملوا على الاشتغال بالتجارة اذ نقلوا منتجات الخليج العربي والعراق من المنسوجات القطنية والتمور الى هناك مبادلين بها سلع الساحل الافريقي من العاج والجلود والعنبر والرقيق (٤) ، ويكفي للتدليل على سعة التجارة مع الشرق الافريقي في العصر الاموي ان اربعة الاف زنجي ساهموا في جيش يحيى بن محمد الذي ارسله الخليفة ابو العباس عام (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) لقمع حركة في الموصل (٥) ، فلا يستبعد ان يكون هؤلاء الزنوج قد نقلوا من شرق افريقيا قبل هذا التاريخ واستخدموا في الجيش ، كما ان اعدادا كبيرة من الزنوج استخدموا في الزراعة في منطقة السواد منذ القرن الاول الهجري (٦) ·

ان نشاط تجارة الخليج العربي في العصر الاموي ترجع الى عدة عوامل منها :

١ـ مع استئناف حركة الفتوحات زاد الطلب على الاسلحة (٧) فكانت السيوف تجلب من الهند واليمن (٨)(٩) وكذلك الرماح الخطية (١٠) التي تصنع على ساحل البحرين من الخيزران

---

(١) حوراني ، المرجع السابق ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ · العسكري ، المرجع السابق ، ص٥٩ ـ ٦٠ ·
(٢) قاسم ، جمال زكريا ، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا (القاهرة ١٩٦٨م) ص١٣ ·
(٣) قاسم ، ن·م ، ص١٥ · الهنائي ، العمانيون وقلعة بمباسا (سلطنة عمان ١٩٨٠م) ص٩ ·
(٤) العسكري ، المرجع السابق ، ١٧٨ ، ١٨٠ ·
(٥) ابن الاثير ، الكامل ، ٥/ ٤٤٤ ·
(٦) السامر ، ثورة الزنج (بيروت ١٩٧١م) ص٢٢ ·
(٧) العلي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠ ·
(٨) الادريسي ، وصف الهند ، ص٢ ·
(٦) العلي ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ·
(١٠) الرماح الخطية نسبة الى الخط وهو ساحل البحرين ، الحميري ، الروض المعطار ، ص ٢٢٠ ·

المستورد من الهند (١).

٢ـ ازدياد الطلب على المواد الغذائية وخصوصا القمح لسد احتياجات الناس الذين لم يشملهم العطاء (٢).

٣ـ قوة الدولة وسعة نفوذها اذ غدت مياه المحيط الهندي من ساحل افريقيا حتى ساحل الهند تحت قبضة الدولة الاسلامية ومحط رعايتها ، وهذا واضح من اهتمام الولاة في العصر الاموي بتوفير الامن في هذه السواحل (٣).

٤ـ ان الحكومة في هذا العصر لم تحتكر التجارة او تتدخل في شوءونها مما ساعد على نشاطها واتساعها تبعا لحاجة الناس وارتفاع مستوى المعيشة (٤).

وعندما جاء العباسيون الى الحكم احتل الخليج العربي اهمية خاصة في حساباتهم السياسية والاقتصادية منذ ايامهم الاولى ، فالخليفة الاول ابو العباس ـ كما مر بنا في الباب الاول ـ حرص على القضاء على حركات الخوارج المناوئة للسلطة في عمان وجزر الخليج العربي واستعادة الامن الى ربوعه (٥) ، ثم جاء اختيار موقع مدينة بغداد ، وكان لوقوعها على مفترقات طرق التجارة العامل الاول في هذا الاختيار ، فيروى عن الخليفة ابي جعفر المنصور قوله ان بغداد (مشرعة الدنيا كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والابلة والاحواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فاليها ترقى واليها ترسى.) (٦) اضافة الى انها ملتقى الطرق القادمة من الموصل وخراسان والشام.

كما عمل العباسيون على توحيد منطقة الخليج العربي في وحدة ادارية واحدة (٧) وذلك لاهميتها الاقتصادية اذ تبوأت المركز الاول في

---

(١) البكري ، معجم ما استعجم ، ٥/ ٥٠٣ـ ٥٠٤ . القزويني ، اثار البلاد ، ص ٩١ .
(٢) الخيرو ، تجارة الخليج ، ص ٦٦ .
(٣) انظر البلاذري المرجع السابق ، ص ٤١٦ وما بعدها .
(٤) ابن تيمية ، الحسبة في الاسلام (القاهرة ، ١٣١٨هـ) ص ١٥ .
(٥) الطبري ، المرجع السابق ، ٦/ ١١٤ـ ١١٥ . شاكر مصطفى ، دولة بني العباس ، (الكويت ١٩٧٣م) ٢/ ٢٢٨ـ ٢٣٠ .
(٦) اليعقوبي ، البلدان (طهران ١٩٦٥م) ص ٢٣٨ .
(٧) العاني ، عمان ، ص ٩٠ . العسرى ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

عملية الاستيراد والتصدير في الدولة العباسية ولهذا كانت غالبا ما تقلد ادارة المنطقة الى امراء من البيت العباسي (١) .

وقد شجع العباسيون مبدأ حرية التجارة وفتحوا الباب واسعا امام جميع رعاياهم للمساهمة في بناء الحضارة العربية الاسلامية فاندفع ابناء الخليج العربي (٢) من عرب وغير عرب في ميدان الكسب والتجارة مستفيدين من خبرتهم الطويلة في هذا الميدان فكانت النتيجة الاولى ظهور المراكز التجارية الكبرى على شواطئ الخليج العربي مما ادى الى ظهور طبقة كبيرة من التجار اخذت تعمل في ميدان التجارة المختلفة كعمليات التصدير والاستيراد والتصنيع والخزن (٣) ، وهذه النشاطات فسحت المجال لفرص عمل جديدة في هذه المراكز واصبحت المنطقة بفضل التجارة ونشاطها مصدر جذب للسكان ، وهكذا ازدهرت كل من البصرة وصحار وسيراف ، فاصبحت البصرة باب العراق الكبير (٤) ، وصحار (دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن) (٥) ، وسيراف (دهليز الصين دون عمان وخزانة فارس وخراسان) (٦) ، وبهذا دخل الخليج العربي مرحلة (العصر الذهبي) من حيث الازدهار الاقتصادي (٧) .

---

(١) الدوري ، المرجع السابق ، ص٦٥ـ٦٦ .
(٢) حوراني ، المرجع السابق ، ص١٩٧ . العسكري ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .
(٣) العسكري ، ن . م ، ص ١١٦ .
(٤) الجاحظ ، التبصر بالتجارة (بيروت ١٩٦٦م) ص٥ .
(٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص٩٢ .
(٦) ن . م ، ص ٤٢٦ .
(٧) عبد واني ، المرجع السابق ، ٩/٢ .

المبحث الاول

التغييرات الاقتصادية في الخليج العربي

لعب الموقع الجغرافي لشبه جزيرة العرب دورا كبيرا في بناء اقتصاديات سكانها ، اذ تحدها المياه من ثلاث جهات بخط ساحلي يدور من شمال الخليج العربي حتى خليج السويس ويضم كلا من البحرين وعمان وحضرموت واليمن والحجاز ، وكانت هذه المراكز تمثل حلقة اتصال بين الهند والحبشة وشرق افريقيا وبين اوربا وبلدان البحر المتوسط ، ولهذا اصبحت بلاد العرب تمثل الجسر الذى تمر عبره التجارة الشرقية ، ولعب سكانها دورا بارزا في عملية التبادل التجاري بين مراكز الانتاج والاستهلاك ، واصبحت تمر بسواحل شبه الجزيرة العربية وخلال اراضيها شبكة من الطرق البرية والبحرية التي تتجه شمالا الى بلاد وادي الرافدين وسواحل البحر المتوسط ، وتتمثل الطرق البحرية بكل من الخليج العربي والبحر الاحمر اللذين يمثلان المحورين الاساسيين للملاحة العبورية حول الجزيرة العربية .

وقد تأثرت حركة الملاحة والتجارة عبر الجزيرة العربية بالمتغيرات السياسية والتطورات التاريخية التي مرت بها المنطقة منذ القديم[1] ، وخصوصا عندما يسيطر على طرفيها الشمالي الشرقي والشمالي الغربي دولتان متنافستان ، اذ تحاول كل منهما الاستحواذ على طرق التجارة العالمية القادمة من شرق افريقيا واسيا عبر الجزيرة العربية وتسخيرها لمصلحتها الخاصة وضرب الطرف الاخر[2] ، وقد وصل الصراع قمته في عهد كل من الامبراطوريتين الرومانية والساسانية ، اذ تطلعت هاتان القوتان الى السيطرة على المراكز المهمة في الخليج العربي والجزيرة

---

(١) مصطفى عباس الموسوى ، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، (بغداد ١٩٨٢م) ص٢٣٤ .

(٢) انظر عن المنافسة الدولية حول الاستحواذ على طرق التجارة في المنطقة قبل الاسلام : الدكتور منذر البكر ، العرب والتجارة والملاحة منذ اقدم العصور الى نهاية العصر الروماني ، مجلة المربد ، عدد (٤) السنة (٣) ١٩٧٠م ، ص٦٦-١٠٤ . زيادة ، نقولا ، تطور الطرق التجارية البحرية بين البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، السنة الاولى عدد (٤) ص٦٦-٩٤ .

العربية بسبب اهميتها التجارية والملاحية والاستفادة من ثرواتها والتحكم في طرق التجارة الشرقية لبناء اقتصادها وضرب اقتصاد الطرف الاخر ، وقد نشب نتيجة لذلك صراع مرير بين الفرس والروم اذ تعرضت منطقة الخليج والجزيرة العربية الى محاولات غزو وسلب من القوتين لاجبار العرب على الخضوع لنفوذها (١) .

وعلى الرغم من ان الميزان التجاري ظل يتارجح بين الفرس والروم تبعا لظروف وقوة كل منهما الا ان عصب التجارة الحقيقي بقي بيد العرب فلم يكن التاجر الروماني سوى وسيط تأتيه السلع التي يحملها اليه العرب (٢) ، كما لم يتمكن الفرس من الاستغناء عن عرب الخليج العربي وخبراتهم الطويلة في التجارة والملاحة فاضطروا الى الاستعانة بهم والتراجع عن سياسة العنف والقوة التي رسمها سابور ذو الاكتاف (٣) ، مما ادى الى نمو سلطانهم في المنطقة وكونوا دولة قوية في منطقة الحيرة التي كان لها الدور الفاعل في تجارة الخليج العربي حتى ظهور الاسلام (٤) .

لم يكن العرب بمعزل عن الاحداث السياسية الكبرى التي تمر بها منطقتهم وما يمكن ان تلعبه تلك الاحداث في التاثير على تجارتهم واحوالهم الاقتصادية ،

---

(١) حاول الفرس وخصوصا في عهد ملكهم اردشير (٢٢٤ــ٢٤٠م) وسابور ذو الاكتاف (٣١٠ــ٣٧٦م) السيطرة على مناطق مهمة من الخليج والجزيرة العربية والاستحواذ على طرق التجارة وجذبها باتجاه الخليج العربي عبر وادي الرافدين ، وبالمقابل قاوم الروم هذه المحاولات وعملوا على ارسال حملة بالتعاون مع الاحباش في عهد جستنيان الاول (٥١٨ــ٥٢٧م) للسيطرة على اليمن وجذب تجارة الشرق عبر طريق البحر الاحمر ، ولكن هذه المحاولات لم تحقق اغراضها كاملة اذ لم يتمكن كل من الفرس والروم من الانفراد بتجارة الشرق بغير الاعتماد على العرب ، انظر التفصيلات جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط١ بيروت ١٩٦٩م) ٢/ ٦٣٣ وما بعدها . ارثر كرستنسن ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٥٧م) ص٧٤ وما بعدها . سعاد ماهر ، البحرية في مصر الاسلامية (القاهرة ١٩٦٧م) ص٥٥ وما بعدها . زيادة ، الجغرافية والرحلات ، ص٣١٥ وما بعدها . حوراني ، المرجع السابق ، ص١٠٣ .

(٢) البكر ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣) العسكرى ، المرجع السابق ، ص٣٩ .

(٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ٢/ ١٠٣ .

فعملوا على استعمال البدائل ، فعندما يضطرب حبل الامن في كل من الخليج العربي او البحر الاحمر بسبب الصراع بين القوى الكبرى انذاك يعمل العرب على استخدام الطرق البرية المحمية بصحراء بلاد العرب البعيدة عن اطماع كل من الفرس والروم (١) ، وهكذا نشأت شبكة من الطرق البرية داخل الجزيرة العربية لنقل البضائع من الجنوب الى الشمال وبالعكس وهذه الطرق هي :

١ـ طريق الرمل (٢) او طريق الشرق (٣) وهو الذي يبدأ من عمان وجنوب شرق الجزيرة العربية مارا باليمامة والاحساء ثم وادي الرافدين فموانيء البحر المتوسط (٤) ويبدو ان هذا الطريق لم يحظ باهمية الطريق البري الاخر المار غرب الجزيرة العربية بسبب خطورته وقلة المحطات التجارية فيه اضافة الى ارتفاع درجات الحرارة (٥) ، الا ان هذا الطريق لم ينقطع تماما اذ ان لدينا ـ كما سنرى ـ ما يشير الى استمرار العمل فيه حتى القرن السادس الهجري .

٢ـ طريق الغرب (٦) او ما يسمى طريق البخور (٧) ، ويبدأ من منطقة الجوف جنوب الجزيرة العربية اذ تتجمع فيه منتجات اليمن وما يصل اليها من حضرموت وكذلك ما يصل من طريق البحر من الحبشة والهند ، ويتحرك شمالا الى نجران وعند ذلك يتفرع الطريق الى فرعين احدهما يتجه نحو الشمال الشرقي مارا بوادي الدواسر عند منطقة الفأو (٨) ثم الافلاج ثم منطقة الخرج الوفيرة المياه ثم الى اليمامه وهجر فوادي

---

(١) العسكري ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .
(٢) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٦٦ . ابن القاسم ، غاية الاماني ، ص٢٩٢ .
(٣) البكر ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .
(٤) ابن المجاور ، ن . م ، ص٢١٧ . ابن القاسم ، ن . م ، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .
(٥) عاشور ، عمان حصن الامامة ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، ١ / ٢٧٤ .
(٦) البكر ، المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٧) زيادة ، الجغرافية والرحلات ، ص٢١٥ .
(٨) وهي قرية تقع على الحافة الشمالية للربع الخالي على طريق التجارة الذي يربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها الشرقي وكانت عاصمة دولة كندة التي ظهرت قبل الاسلام ، الانصاري ، عبد الرحمن ، قرية الفأو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام (الرياض ١٤٠٤هـ) ص١٦ ومابعدها .

الرافدين (١) ، وهذا الطريق الذى يدعوه ابن المجاور بالرضراض والذى كانت تسلكه القوافل التجارية قبل الاسلام ، وكان عمله في الحقبة الاسلامية يتوقف (٢) على الظروف السياسية والامنية للمنطقة الانه — كما سنرى — لم ينقطع ايضا اذ استمرت بضائع اليمن تصل الى البحرين ومنها الى العراق طيلة هذه الحقبة ، اما طريق البخور الرئيسية فانها تواصل سيرها شمالا اذ تمر بمكة المكرمة ثم منطقة الحاجر وعند ذلك يتفرع الطريق الى فرعين احدهما يتجه نحو تيماء ثم الى دومة الجندل فالعراق ، والاخر يواصل سيره شمالا الى البتراء التي تقع على مفترق ثلاث طرق تتجه نحو مصر وغزة ودمشق (٣) .

٢ـ طريق اليمن حضرموت فعمان ، وهو الطريق الذى كان مسلوكا قبل الاسلام اذ عن طريقه دخل قسم من قبائل الازد الى عمان واستوطنت فيها ثم انتشرت الى الساحل الشرقي للخليج العربي (٤) ، واستمر هذا الطريق الذى يربط عمان بموانئ حضرموت واليمن طيلة الفترة الاسلامية ، وقد شهدت منطقة ظفار في القرن السادس الهجرى ازدهارا ملحوظا بسبب ازدهار تجارة المنطقة انذاك (٥) .

ان اول ما يلاحظ على شبكة الطرق البرية هو انتشارها على طول سواحل شبه الجزيرة العربية اذ انها دائما تبدأ او تمر بمراكز ساحلية او قريبة من الساحل وذات صفة تجارية ، وقد عملت هذه الطرق على ربط سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية والغربية بعضها مع بعض بحيث مكنت العرب من استخدام هذه الطرق في حالة وجود اى خطر يهدد الطريق البحرى سواء في الخليج العربي او البحر الاحمر ، وقد عمل العرب على نشر مراكز التجارة الثابتة منها والموسمية على طول

---

(١) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٧٩ . ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ص١٤٠ .
رضا الهاشمي ، تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر (بغداد ١٩٨٤م) ص١٢٠ .

(٢) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢١٤ .

(٣) الحربي ، ابراهيم بن اسحق ، المناسك وطرق الحج ، تحقيق حمد الجاسر (الرياض ١٩٦٩) ص٦٢٢ وما بعدها .

(٤) Wilkinson, The origins of The Omani State, p.92-93.

(٥) Guast, Zufar in the middle ages, Istamic culture, 1 1935, p.407.

هذه الطرق بحيث يمكن من خلالها تجديد نشاط هذه الطرق سنويا وذلــك بتحويل هذه المراكز الى اسواق يتم فيها استقبال ما يأتي عن طريق البحر مـن بضائع ونقلها باتجاه الشمال او الشرق على مدار السنة ، وبذلك نرى ان تجارة العرب لم تتاثر كثيرا بمحاولة كل من الفرس والروم السيطرة على هذا الطريق او ذاك اذ سرعان ما يحول العرب مسيرهم عبر حصنهم المنيع (الصحراء) ويضطرون الفرس والروم على المجيء الى اسواقهم لتبادل السلع معهم (١) (٢).

فعندما اضطرب حبل الامن بسبب الحروب الفارسية البيزنطية في الحقبة السابقة للاسلام نشطت تجارة العرب عبر هذه الطرق واخذ تجار قريش على عاتقهم تنظيم قوافل التجارة ونقل البضائع الى كل من فارس والروم واصبح الميزان التجارى لصالحهم عشية ظهور الاسلام (٣) ، ولهذا فان ما يقال عن تارجح كفة الميزان التجارى بيـن طريقي البحر الاحمر والخليج العربي في الحقبة السابقة للاسلام لم يكن لـه (٤) تاثير كبير على حركة التجارة العربية بل ادى الى ازدهارها على ايدى تجـار قريش وبقيت كل من البحرين وعمان واليمن مراكز مهمة للتجارة العربية تقصدها القوافل التجارية عبر الطرق الانفة الذكر .

وعندما جاء الاسلام ازال عن المنطقة نفوذ الدولتين المتنافستين الروم والفرس واصبح لهذه المنطقة الحساسة في عالم التجارة سيد واحد وسلطة مركزية وغدا كل من البحر الاحمر والخليج العربي ومنافذهما على شرق افريقيا والهند جنوبا والبحر المتوسط شمالا منافذ حرة مفتوحة امام التجارة ولم يعد للدولة خلالها اى ضغط اكراه على سلوك هذا الطريق او ذاك اذ غدت تمثل التاجر والمستهلك في الوقت

---

(١) انظر عن اسواق العرب : ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٨ . اليعقوبي ، التاريخ ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ . المرزوقي ، ابو علي احمد بن محمد ، الازمنة والامكنة (حيدر اباد الدكن ١٣٣٢هـ) ٢/ ١٦١ ـ ١٧٠ . صالح العلي ، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط٦ بغداد ١٩٦٠م) ص ٩٦ ـ ٩٧ .

(٢) المرزوقي ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ .

(٣) العسكرى ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٤) سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص ٦٠ ـ ٦١ . لاندن ، المرجع السابق ، ص ٢١ . صالح بفو محسن ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

نفسه ، ولكن يلاحظ ان الخليج العربي شهد منذ صدر الاسلام تطورا ملحوظا (١) في اهميته التجارية وذلك لقصر طريقه وقلة كلفته واصبح منذ هذه الحقبة يمون كلا من العراق وموانئ البحر المتوسط بسلع الهند وشرق افريقيا (٢) .

شهدت البحرين في اوائل العصر الاسلامي اولى بوادر الازدهار الاقتصادي في منطقة الخليج العربي (٣) ، فنشطت تجارتها (٤) ، وزاد دخلها (٥) ، الا ان اهميتها اخذت تضعف امام تطور كل من البصرة (٦) وعمان (٧) ، اذ غدا الخليج العربي يمثل في عز ازدهارها الدنيا كلها كما يقول الاصمعي (الدنيا ثلاث عمان والابلة وسيراف) (٨) .

اما طريق البحر الاحمر فعلى الرغم من انه شهد فتورا في العصر الاسلامي الاول بسبب نشاط تجارة الخليج العربي ـ وعوامل سنذكرها لاحقا ـ الا ان السفن المصرية واليمنية استمرت (٩) هي الاخرى في نقل سلع الهند وشرق افريقيا الى مصر ، كما استمر القمح المصري ينقل الى الحجاز منذ ايام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ولمدة طويلة ، الا ان هناك عوامل خارجية اثرت على طريق البحر الاحمر وجعلت دوره اقل وخصوصا في عصور الاسلام الاولى ، وتتمثل تلك العوامل في خطر الروم ونشاطهم المستمر في البحر المتوسط وتهديدهم لمراكز التجارة فيه مما كان له اثر على مشاريع الدولة العباسية في النهوض به ، وزاد بدوره في التيار التجاري الرئيسي عبر الخليج العربي (١٠) .

---

(١) العسكري ، المرجع السابق ، ص٧٠ .
(٢) الخيرو ، المرجع السابق ، ص٦٥ .
(٣) النجم ، البحرين في صدر الاسلام ، ص٨٧ .
(٤) البلاذري ، المرجع السابق ، ص٣٧٣ .
(٥) ن . م ، ص٤٢٥ .
(٦) العلي ، التنظيمات ، ص٢٥٨ .
(٧) الحبيب الجنحاني ، دور عمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الاسلامي الاول ، المؤرخ العربي ، العدد (٢٢) سنة ١٩٨٢م ، ص١٣ .
(٨) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد ، مختصر كتاب البلدان ، (ليدن ١٨٨٥م) ص ٢٠٥ .
(٩) حسن صالح شهاب ، اضواء على تاريخ اليمن البحري (بيروت ١٩٨١م) ص١٨٦ .
(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ٢/ ٥٥٦ .

فقد حاول الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ـ ٨٠٩م) وصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط بقناة تسهيلا لنقل التجارة ، الا ان تراجع عن تنفيذ ذلك المشروع خوفا من تسلل الروم عبره الى الاماكن المقدسة في مكة وتهديدهم طرق الحاج (١) ، وهذا يدل على ان الخلافة العباسية على الرغم من ايلائها اهمية خاصة للخليج العربي الا انها حاولت التنسيق بينه وبين البحر الاحمر والإفادة من وضعهما الجغرافي في تنشيط التجارة العالمية (٢) ، اذ ان كليهما ياتي بموارد في بيت المال الواحد ، والى هذا يشير ابن خرداذبة عندما يتحدث عن التجار الراذانية بانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا وقد يفضل بعضهم الانتقال من البحر المغربي (اى البحر المتوسط) الى القلزم (البحر الاحمر) ثم يمضون الى السند والهند والصين ثم يعودون ببضائع تلك البلاد ، او انهم يسلكون طريقا اخر وهو النزول في انطاكية على الساحل الشمالي لبلاد الشام ثم ينتقلون الى الفرات وعبره ينحدرون الى بغداد فالابلة وعمان (اى عبر طريق الخليج العربي) والسند والهند والصين (٣) ، ومن هذا النص يتبين حرص الدولة العباسية على بقاء التجارة والملاحة حرة في ممراتها المائية .

ان مبدأ حرية التجارة الذى انتهجته الدولة العباسية جعل طريق الخليج العربي اكثر رواجا وتألقا من توأمه طريق البحر الاحمر ساعد في ذلك عدة عوامل منها :

١ـ اختيار العباسيين لبغداد عاصمة لهم جعلت الخليج العربي محط انظار التجار واصحاب السفن والقوافل التجارية باعتبارها ملتقى طرق التجارة العالمية انذاك وسوقا مهما للبضائع (٤) .

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ٢/ ٢٦٣ .
(٢) العسكرى ، المرجع السابق ، ص٧٢ .
(٣) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣ . متز ، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى (ترجمة عبد الهادى ابو ريدة ، ط٤ بيروت ١٩٦٧م) ٢/ ٣٧١ـ ٣٧٢ .
(٤) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

٢ـ ان طريق الخليج العربي يمر بأجمعه داخل اراضي الخلافة العباسية وتحت حمايتها حتى سواحل الهند مما جعل سلوكه اكثر امنا من طريق البحر الاحمر الذى تمثل نهاياته سواحل البحر المتوسط المفتوحه امام غارات الروم ٠

٣ـ التطور الزراعي والصناعي الذى شهدته منطقة الخليج العربي في العصر العباسي الأول اصبح الرافد الاول لنشاط المنطقة التجارى فكانت البصرة بوابة العراق على الخليج (١) والبحرين (٢) وعمان (٣) منافذ هامة لمنتجات شرق الجزيرة العربية، كما اصبحت كل من سيراف وقيس وهرمز دورا في تجميع وتصدير منتجات فارس والاحواز وكرمان (٤) ٠

٤ـ ساعدت رفاهية البلاط العباسي على زيادة الطلب على السلع والبضائع الكمالية مما دفع التجار الى المغامرة وركوب الاخطار للحصول على الارباح الكبيرة التي تدرها عليهم تجارة هذه السلع (٥) ٠

الا ان تجارة الخليج العربي تعرضت منذ منتصف القرن الثالث الهجرى الى هزات عنيفة اثرت على توزيعه السكاني والاقتصادى ، فقد تعرضت منطقة البصرة وجنوب العراق الى حروب طاحنة بسبب حركة الزنج التي استمرت ما بين عامي (٢٥٥ـ ٢٧٠هـ/ ٨٦٦ـ ٨٨٣م) ، وقد ادت هذه الحروب الى تخريب المدينة وقتل اعداد كبيرة من الاهالي وتخريب الاراضي الزراعية مما دفع الكثير من اهلها الى تركها الى المدن والمناطق الاكثر امنا (٦) ٠

ثم جاء بعد ذلك القرامطة الذين ما انفكوا يهاجمون المدينة ويثيرون الذعر بين صفوف السكان طيلة القرن الرابع الهجرى (٧) ، كما ان نجاح

---

(١) انظر عن اهمية البصرة في الميدان الصناعي والزراعي ، العلي ، التنظيمات ، ص٨٨ وما بعدها وص ٣٠٠ وما بعدها ٠
(٢) العسكرى ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ـ ١٠٤ ٠
(٣) الحبيب الجناحي ، المرجع السابق ، ص٢٢ ٠
(٤) لي سترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٩٣ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ ٠
(٥) العسرى ، تجارة العراق في العصر العباسي (الكويت ١٩٨٢م) ص٣٧٨ ٠
(٦) انظر عن حركة الزنج واثارها ، الطبرى ، المرجع السابق ، ٨/ ٢ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، ٧/ ٢٠٥ وما بعدها ، السامر ، ثورة الزنج ، ص١٧٧ وما بعدها ٠
(٧) انظر عن هجمات القرامطة على البصرة : الدكتور عبد الجبار ناجي ، دوافع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة في القرن الرابع الهجرى ، مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، عدد (٨) السنة (٦) ١٩٧٣م ، ص ٥٥ وما بعدها ٠

القرامطة في تكوين دولة لهم في البحرين منذ نهاية القرن الثالث الهجري سبب متاعب كثيرة للحركة التجارية في الخليج العربي ومراكزه التجارية الكبرى انذاك ، فلم يكتف القرامطة بالسيطرة على البحرين وثرواتها بل عملوا على مهاجمة عمان وتخريب مدنها وخصوصا المدينة التجارية المهمة صحار (١) ، ولم تقف تعدياتهم عند هذا الحد بل عملوا على وضع نقاط (دواوين) كمركية لاخذ المكوس على ابواب كل من البصرة وسيراف (٢) ، وقد وصف ابن حوقل ما يفرضه القرامطة من ضرائب على السلع المارة بطريق البحر بانها كانت عالية (٣) .

والمعروف ان قوة الدولة وقدرتها على ضبط الامن والنظام يعد من العوامل الاساسية في تنشيط الفعاليات الاقتصادية ، وتأتي التجارة في مقدمة هذه الفعاليات اذ مع الاستقرار السياسي تنتعش التجارة وبعكسه تضمحل وتضعف ، وقد تعرضت السواحل الشمالية من الخليج العربي في بداية القرن الرابع الهجري الى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار بسبب ظهور الحركات المشار اليها اولا وضعف السلطة المركزية ثانيا (٤) ، مما كان له اثر سيئ على المراكز التجارية الكبرى فيه وخصوصا البصرة ، اذ اشارت المصادر الى ان عوامل الضعف والانحلال بدأت تدب اليها من بداية هذا القرن (٥) ، وتراجعت عن مركز الصدارة في تجارة الخليج العربي الى مدينة سيراف التي تقع على ساحله الشرقي والتي كانت في اول امرها ميناء مساعدا للبصرة ، اذ ترسو فيها السفن الكبيرة التي لم تستطع ان تصل الى البصرة بسبب ضحالة المياه هناك في مدخل دجلة وتتولى السفن الاصغر حجما نقل البضائع الى السفن الكبيرة في محطة الانتظار بسيراف ثم تواصل سيرها من

---

(١) عن هجمات القرامطة على عمان انظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٤١ ، ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٣٤ ، مسكويه ، تجارب الامم ، ٢/ ٢١٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٥٦٥ - ٥٦٨ ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ص ١٦٢ .

(٢) Naji. Basra, p.249.

(٣) ابن حوقل ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٤) اشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط (ترجمة عبد الهادي عبله ، دمشق ، ١٩٨٥م) ص ١٨٢ ، ناجي ، بغداد والخليج العربي ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٥) انظر : ناجي ، دراسات في تاريخ المدينة العربية الاسلامية (جامعة البصرة ١٩٨٦م) ص ١٤٤ .

هناك الى موانئ العالم المختلفة سواء الى الهند والصين او شرق افريقيا بعد ان تتزود بالماء والطعام من عمان (١).

وهكذا فان اضطراب الاحوال في البصرة في القرن الرابع الهجري زاد من عظمة سيراف وشهرتها بحيث اصبح اكبر ميناء على الساحل الشرقي للخليج العربي واغنى مدنه بسبب ما يصل اليها من التجارة (٢)، كما انعكس ذلك على عمرانها ورفاه اهلها وغناهم فجمعوا اموالا طائلة قدرت بالملايين (٣). ويبدو ان تجارة الخليج العربي في النصف الاول من القرن الرابع الهجري قد حافظت على توازنها وتألقها وذلك لعاملين :

١ـ الاهتمام الكبير الذي اولته الخلافة والبويهيون لميناء سيراف (٤) خصوصا بعد الاضرار التي احدثها القرامطة في جنوب العراق، فقد شهد مقاطعة فارس ظهير ميناء سيراف استقرارا نسبيا بسبب احكام سلاطين بني بويه الاوائل السيطرة على الاقليم (٥) مما ساعد على رواج الصناعة والتجارة فيه (٦).

٢ـ ظهور امارة عربية في عمان وهي امارة بني وجيه التي اخذت على عاتقها تشجيع التجارة ونشر الامن في ربوع الخليج العربي عن طريق بناء اسطول قوي لها فيه حتى منتصف القرن الرابع الهجري (٧).

ان ما ذكرناه آنفا يبدو واضحا في كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين في هذه الحقبة، فالمسعودي يؤكد على نشاط اهل عمان وسيراف ودورهم في التجارة

---

(١) السيرافي، اخبار الصين والهند (باريس ١٩٤٨م) ص٧ـ٩.
(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٣١.
(٣) Stern, Ramisht of Siraf, in, J.R.A.S. London, 1967, part, 1.pp. 10-14.

(٤) القوصي، المرجع السابق، ص ٥٩.
(٥) سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في المشرق (القاهرة ١٩٦٧م) ص٨٧.
(٦) ن. م، ص١٣٥ـ١٣٦، ١٥٢ـ١٥٣. لي سترنج، المرجع السابق، ص٣٣٠.
(٧) التنوخي، نشوار المحاضرة، ١/ ٣٤٧، ٨/ ٢٥٠ـ٢٥٥. انظر التفصيلات عن امارة بني وجيه، جاسم ياسين محمد، المرجع السابق، ص١٤١ـ١٦٠.

والملاحة الدولية انذاك ، والاصطخرى الذى عاش في النصف الاول من القـــرن (١) الرابع الهجرى يشيد بازدهار مدينة سيراف وبهائها ورونقها وغناها ويضيف ان كل ما اصابها من غنى هو بسبب تجارتها ليس الا اذ انها لا زرع بها ولا ضرع ومناخها شديد الحرارة في الصيف (٢) ، وكذلك ابن حوقل الذى عاش في منتصــف القرن الرابع الهجرى يضع صحار في مقدمة المراكز التجارية في العالم الاسلامي انذاك بسبب مكانتها التجارية اذ يقول (وبها من التجارة والتجار مالا يحصــى كثرة وهي اكبر مدينة بعمان واكثرها مالا) ويضيف انه لا يضاهيها اية مدينة على ساحل الخليج العربــــي فــي ايامـــــه (٣) ، وعليه فقد احتلت مدينــــة صحار المرتبة الاولى من حيث الاهمية التجارية في الخليج العربي وتأتي بعدها (٤) مدينة سيراف ، فيما احتلت المدينتان مركز الصدارة في تجارة الخليج العربي انذاك .

الا انه منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى صرنا نلحظ تغييرا تجديدة بدات تلوح في الافق على الحالة الاقتصادية في الخليج العربي عامة والحركـــة التجارية بصفة خاصة باعتبارها الشريان الرئيسي لاقتصاد المنطقة ، والمقدسي هو الذى رسم لنا صورة ذلك التغيير اذ اخذت اعراضه تظهر على مدينة سيراف ، فبعد ان يصف لنا ما كانت عليه المدينة من رخاء ونشاط تجارى يقول (ثم انها خفت لما ولى الديلم وانجلوا الى ساحل البحر وعمروا قصبة عمان ثم جاءت زلزلة سنة ٣٦٦ أو ٣٦٧ ، فقلقلتها وحركتها سبعة ايام حتى هرب الناس الى البحر وتهدم اكثر تلك الدور وتفطرت وصارت اية لمن تاملها وعبرة لمن اتعظ بها وسالتهم ما الذى صنعتم حتى رفع الله حلمه عنكم قالوا كثر فينا الزنا وفشا فينا الربا قلت هل اعتبرتم بما ارى قالوا لا) (٥)

---

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ١/ ١٠٨ ، ١١١ — ١١٢ ، ١١٥ — ١١٦ .
(٢) الاصطخرى ، الاقاليم ، ص ١٨ .
(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٤٤ — ٤٥ .
(٤) ولياسون ، صحار ، ص ٢٠ .
(٥) المقدسي ، المرجع السابق ، ص ٤٢٦ .

وبهذا فالمقدسي يجعل السبب الاول لانحلال سيراف وتدهورها الــــــى اهمال السلطــــة البويهيــــة لهـــا ثم الى الزلزال الذى دمرهـــا واضطر اهلها الى تركها اذ لم تجر محاولة لاصلاحها بسبب اهمال السلطة لها ٠

وعلى هذا فان سيراف سبقت صحار في افولها وانحدارها ، اما صحار فلـــم تسلم هي الاخرى على الرغم من انها شهدت اوج عظمتها في منتصف القرن الرابع الهجرى ، فقد ذكر المقدسي بانها (قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلـــد اجل منه)(١) ، كما ذكر ابن المجاور ان صحار ايام عظمتها (كانت اثني عشر الـــف قرية مع اثني عشر الف قصر مع اثني عشر الف نهر وكان يسكن كل ناخوذة قصـــر ويشرب اهله من نهر ٠٠٠ قال كان بعد بناءها مائة واثنتين وتسعين قبان لوزن البضائع للطالب والمطلوب)(٢) وعلى الرغم من صفة المبالغة هنا الا انها تعكس اتساع المدينة .

الا ان هذا الازدهار لم يكن ليستمر في ظل الوضع السياسي المضطرب للمنطقة ، فقد ابدى البويهيون منذ عهد عضد الدولة اهتماما ملحوظا بسواحـل الخليج العربي الجنوبية(٣) ، اذ وجه عضد الدولة عدة حملات عسكرية الى سواحـل كرمان ومكران وعمان ، ويذكر ابن الاثير ان حملات عضد الدولة استهدفت المراكز ذات السمة التجارية مثل صحار وجرفان ودما على ساحل عمان ، كما اخضع هرمز ومكران والتيز على الساحل الشرقي لخليج عمان(٤) ، الا ان الحملات البويهيـــة العسكرية هذه لم يكن الهدف منها النهوض بالمنطقة وجلب الرخاء لها بقـــدر ما كانت تهدف الى جمع الثروة(٥) ، لذلك عملوا على ارتكاب فضائع كبيرة بحـــق السكان والممتلكات من القتل والحرق والتدمير(٦) ، كما ارتكب الجيش البويهـــي

---

(١) المقدسي ، المرجع السابق ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ٠

(٢) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ ٠

(٣) عن اسباب اهتمام البويهيين بالمنطقة انظر : جاسم ياسين ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ـ ١٦٥ ٠

(٤) انظر عن حملات عضد الدولة على كرمان وعمان ، مسكويه ، المرجع السابق ، ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٥٨٥ ـ ٥٨٧ ، ٦١٣ ـ ٦١٤ ، ٦٤٦ ـ ٦٤٨ ٠

(٥) متز ، الحضارة الاسلامية ، ١/ ٢٤٢ ٠

(٦) Miles , The Countries and tribes ,p.116.

جريمة كبيرة بحق الاسطول التجارى العماني الذى كان له ولة بني وجيه الفضل في بنائه ، اذ اشار المؤرخون الى ان الغزاة احرقوا عام (٣٥٥هـ/ ٩٦٥م) ٨٩ مركبا على الساحل العماني (١) .

وعلى هذا فان صحار المدينة التجارية المهمة في الخليج العربي بدات هي الاخرى تركب سلم الانحدار التدريجي مع الانحدار السياسي للمنطقة في ظل التسلط البويهي منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، الا ان سقوطها لم يكن مفاجئا كما هو حال غريمتها سيراف ، وينحي ابن المجاور باللائمة على تدرا بصحار الى الغزو الاجنبي (٢) ، فيما يعزو شيخ الربوة خرابها الى القرامطة (٣) ، والواقع فان ساحل عمان ومدينة صحار خاصة شهدت خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى صراعا مريرا وحروبا طاحنة بين ثلاث قوى هم البويهيون والقرامطة واهل عمان ، وبه وان ظروف الحرب هذه ، التي استمرت طيلة حقبة النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى تقريبا (٤) قد اوجدت حالة من عدم الاستقرار في المنطقة وبالتالي عجلت في احداث تغييرات اقتصادية جديدة فيها .

وعندما جاء القرن الخامس الهجرى كانت بصمات ذلك التغيير اكثر وضوحا على مناطق الخليج العربي من الحقبة السابقة ، فالبصرة قد تقلصت كثيرا عما كانت عليه وخصوصا الجهات الغربية المواجهة للصحراء ، فيشير ناصر خسرو عند زيارته لها عام (٤٤٣هـ/ ١٠٥١م) ان الجنوب الغربي منها (صحراء ليس بها عمران ولا ماء ولا شجر مطلقا ، وكان معظم البصرة خرابا ونحن هناك والجهات العامرة متباعدة جدا من واحد لاخرى فرسخ من الخراب) (٥) ، كما وصفها ناسخ كتاب ابن حوقل عند زيارته لها عام (٥٣٧هـ/ ١١٤٢م) بانها قد (خربت ولم يبق من اثارها الا الاقل وطمت محالها فلم يبق منها الا محال معلومة ... وباقي بيوتها

---

(١) مسكويه ، المرجع السابق ، ٢/ ٢١٨ ، ابن الهمذاني ، محمد بن عبد الملك ، تكملة تاريخ الطبرى ، (حققه يوسف الهرت ط ٢ بيروت ١٩٦١م) ١/ ١٩٠ . ابن الاثير ، الكامل ، ٨/ ٥٦٨ . يجعل مسكويه عدد المراكب التي احرقت من العمانيين (٧٩) فيما يجعلها ابن الهمداني (٦٧) ويجعلها ابن الاثير (٨٦) .
(٢) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٨٥ .
(٣) شيخ الربوة ، نخبة الدهر (لايبزك ١٩٢٣م) ص ٢١٨ .
(٤) جاسم ياسين ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ وما بعدها .
(٥) ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

اما خرابا وغير مسكونة وجامعها باق في وسط الخراب كانه سفينة في وسط بحر لجي وسورها القديم قد خرب وما بقي من العمارة مسافة بعيدة)(١) ، ويعزى ناسخ كتاب ابن حوقل عوامل انحلال المدينة الى الوضع السياسي المضطرب انذاك وظلم الولاة وتجرؤ اعراب البادية عليها(٢) .

كما اضطربت احوال فارس في هذه الحقبة ايضا مما كان له الاثر السيء على تجارة الخليج العربي الواقعة على ساحله الشرقي ، فقد شهد النصف الاول من القرن الخامس الهجري صراعا مريرا بين الامراء البويهيين المتنافسين على الحكم فيها ، فيذكر لنا ناصر خسرو انه عندما كان في مدينة مهروبان(٣) ورام دخول فارس لم يستطع ذلك (لان الطرق ليست امنة لما بين ابناء ابي كاليجار من حروب فقد كان كل منهم على راس جيش وكان الملك مضطربا)(٤) .

كما لم يكن وضع البحرين ليساعد على نشاط المنطقة التجاري والاقتصادي انذاك ، اذ ان ضعف القرامطة فسح المجال لقوى الاعراب من بني الاصفر وغيرهم ان تظهر على مسرح احداثها واخذوا يغيرون على المراكز الحضرية وطرق التجارة والحجيج(٥) مما كان له اسوأ الاثر على نشاط المنطقة التجاري بصورة خاصة والاقتصادي عامة .

اما عمان فلم تكن بعيدة عن احداث المنطقة ، فبعد وفاة ابي القاسم بن مكرم(٦) (٤٢٨هـ/١٠٣٦م) شهدت هي الاخرى صراعا بين ابناء ابي القاسم الطامعين في حكم عمان ثم توسع الصراع بعد ذلك ليشمل الامراء البويهيين اذ رغب كل منهم في ضم عمان الى دائرة نفوذه(٧) ، وقد نشطت الحركة الاباضية ايضا وعملت هي الاخرى

---

(١) ناسخ مجهول لكتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص٩٣ .
(٢) ن . م . ناجي ، دراسات في تاريخ المدينة العربية الاسلامية ، ص ١٤٥ .
(٣) مهروبان ، ذكرها ياقوت بانها بليدة صغيرة على ساحل البحر بين عبادان وسيراف . معجم البلدان ، ٤/٦٦٦ .
(٤) ناصر خسرو ، المرجع السابق ، ص١٥٢ . انظر عن الوضع في فارس هذه الحقبة ، دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية لاحمد الشنتناوي واخرون ، ٤/ ٣٥٤ـ٣٥٧ .
(٥) انظر عن نشاط بني الاصفر واعراب البادية الصفحة ص ٤ وما بعدها من البحث .
(٦) حكم ابو القاسم بن مكرم عمان للفترة من سنة (٤٠٣ـ٤٢٨هـ) وقد شهدت عمان في ظل حكمه نوعا من الاستقرار ، انظر ، جاسم ياسين ، المرجع السابق ، ص١٩١ـ١٩٢ .
(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٤٦٢ـ٤٦٩ ، ٥٠٢ ، ٥٦٥ ، ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر (بيروت ١٩٥٦م) ٢/ ١٦٢ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١/ ٤٨٠ .

على طرد البويهيين من عمان[1] ، وكانت المناطق الساحلية وخصوصا صحار هي مركز نشاط هذه القوى جميعا[2] ، مما كان له اسوأ الاثر على حالة المدينة والحركة التجارية فيها ، فقد اشار المؤرخون الى حالات من سوء معاملة التجار ومصادرة اموالهم من قبل المتصارعين على السلطة انذاك[3] .

لقد رافقت الظروف العامة التي مرت بها منطقة الخليج العربي ظهور تطورات دولية جديدة تركت اثارها على الحياة الاقتصادية فيه منها :

١ـ في العراق توالت الازمات السياسية على السلطة المركزية في بغداد اذ اصبح الخليفة والجهاز المركزي للدولة واقتصاد البلاد خاضعا لسيطرة الاجانب من الديلم والاتراك ، وقد ساعدت هذه الاوضاع على تزايد الحركات الانفصالية وتعاظمها مستغلة شعارات تحقيق العدالة وتحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشرائح الفقيرة مما سبب قلقا اقتصاديا وعرقل عملية توسيع العلاقات الاقتصادية ونشاط الحركة التجارية[4] ، ودفع السكان وخاصة ذوي المصالح من التجار والصناع بالتوجه الى الاماكن الاكثر امنا .

٢ـ شهد النصف الثاني من القرن الرابع الهجري توسع الفاطميين باتجاه مصر ، الذين عملوا على مد نفوذهم الى كل من بلاد الشام والجزيرة العربية[5] ، ودخلوا في منافسة شديدة مع العباسيين في الاستحواذ على زعامة العالم الاسلامي ، فارسلوا دعاتهم الى مناطق مهمة من الجزيرة العربية والهند[6] ، ان اهم ما يلفت النظر في اتجاه توسع الفاطميين هو انهم حاولوا التركيز على المناطق ذات الاهمية الكبيرة في طرق التجارة العالمية ، وهكذا كانت اليمن وعمان والبحرين والسند وساحل

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/٥٦٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/١٠٤٥ .
(٢) جاسم ياسين ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/٤٦٩ . ابو الفدا ، المختصر ، ٢/ ٦٢ـ ٦٣ . ابن الوردي ، تاريخ ، ١/٤٨٠ . ابن خلدون ، تاريخ ، ٤/ ١٠٣٢ ـ ١٠٣٣ .
(٤) ناجي ، بغداد والخليج العربي ، المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .
(٥) عن التوسع الفاطمي في مصر وبلاد الشام واليمن انظر : حسن ، الدولة الفاطمية ، (مصر ١٩٦٤م) ص١٢ وما بعدها ، ١٥١ وما بعدها ، ٢٣٩ وما بعدها .
(٦) انظر عن الدعوة الفاطمية ودعاتها في الجزيرة العربية والهند ، الهمداني ، الصليحيون ، ص ٢٢١ . ماجد ، المرجع السابق ، ص ٤٠٦ وما بعدها .

الهند من اكثر المناطق استهدافا لدعاتهم ، وكانت التجارة واحدة من اهم (١) الاساليب التي انتهجوها في التقرب الى السكان وبث الدعوة بين صفوفهم، (٢) وكان من اهم نتائج السياسة الفاطمية هذه هو ازدهار طريق التجارة الذى يربط الهند وجنوب الجزيرة العربية بمصر عبر طريق البحر الاحمر ، وقد عملت الحكومة المصرية على تشجيع التجارة فيه عن طريق توفير الحماية اللازمة وذلك بتسيير اسطول حربي في البحر الاحمر لمكافحة القرصنة ، (٣) ان هذا الاجراء المصرى كان يعتبر بالتاكيد من العوامل المشجعة للتجار بأرتياد هذا الطريق اذ انهم يفضلون المسالك الاكثر امنا .

٢ _ منذ نهاية القرن الرابع الهجرى فصاعدا اخذ الاوربيون يستعيدون نشاطهم في البحر الابيض المتوسط ، وقد عملوا على انتزاع العديد من الجزر التي كانت في ايدى المسلمين ، وهذا فسح المجال امام السفن الاوربية وخصوصا الايطالية بالقدوم الى الموانئ المصرية ، (٤) وقد عملت المدن الايطالية التجارية على توثيق صلتها بالدولة الفاطمية وسعت في الحصول على الامتيازات الخاصة لرعاياها من التجار بما يكفل مصلحة الجانبين ، (٥) وهكذا اصبحت الموانئ المصرية وخصوصا الاسكندرية تحفل بنشاط تجارى واسع اذ يؤمها التجار من مختلف الامم وعلى اختلاف جنسياتهم ، فقد اشار بنيامين التطيلي الذى زار المدينة في منتصف القرن السادس الهجرى الى ان الاسكندرية يؤمها التجار (٦) من مختلف الممالك النصرانية لشراء بضائع الهند من التوابل والعطور وغيرها ، وعلى هذا فان التطورات التي حصلت في البحر المتوسط بسبب توسع تجارة المدن الايطالية كانت من العوامل المساعدة على رواج طريق البحر الاحمر الى الهند وبالتالي ازدهار المراكز التجارية الواقعة على هذا الطريق .

---

(١) Naji , Basra , p. 244.

(٢) حسن الباشا ، الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار العربية (مصر ١٩٦٥م) ٢/ ٥٠٧ _ ٥١١ . ماجد ، المرجع السابق ، ص ٤١١ .

(٣) جوايتاين ، التاريخ الاسلامي ، ص ٢٨٥ . صبحي لبيب ، التجارة الكارمية وتجارة العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد (٤) سنة ١٩٥٢م، ص ٧ .

(٤) سرور ، تاريخ الحضارة ، ص ١٥٤ . اشتور ، المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٥) ن.م ، ص ١٥٥ وما بعدها . اشتور ، نفس المصدر والصفحة .

(٦) رحلة بنيامين ، ص ١٧٨ .

٤ – ومن العوامل الدولية التي اثرت على تجارة الخليج العربي هي وقوع المدن الساحلية في بلاد الشام في قبضة الصليبيين منذ نهاية القرن الخامس الهجري (١) ، وهذا بدوره ادى الى قطع الطريق التجاري الذي يربط العراق بسواحل بلاد الشام عبر وادي نهر الفرات والذي كان من الطرق المزدهرة في الحقبة العباسية الاولى (٢) ، مما دفع التجار الى ارتياد طرق اخرى لايصال بضائعهم الى سواحل البحر المتوسط .

٥ – تطور الملاحة البحرية بين كل من الصين وجنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا خلال عهد اسرة سونغ (٥٤ ٣–٦٧٨هـ/ ٩٦٥–١٢٧٩م) ، اذ شجع الصينيون تجارتهم البحرية الى هذه المناطق وذلك للحصول على التوابل واللبان والبخور (٣) ، مما زاد من اهمية المراكز التجارية في جنوب الجزيرة العربية .

٦ – ظهور جزيرة قيس على مسرح الاحداث في الخليج العربي – كما سنرى – ومحاولتها اخضاع المراكز التجارية الاخرى لها بالقوة ، كانت احدى العوامل التي ادت الى اضطراب حبل الامن في الخليج العربي ونفرة بعض التجار من سلوك طريقه .

٧ – ان استعراضنا للظروف المحلية والدولية التي اثرت على تجارة الخليج العربي لاتعني انهيار التجارة فيه وخروجه من مسرح التجارة الدولية كما يرى عدد من المؤرخين (٤) ولكن هذه الظروف – كما سنرى – ادت الى افول او تراجع المراكز التجارية الاولى وظهور مراكز جديدة ساهمت هي الاخرى في التجارة الدولية حتى العصور الحديثة .

---

(١) عن الحملات الصليبية على بلاد الشام انظر : حسن ، تاريخ الاسلام ، ٤/ ٢٤٧–٢٤٧ .

(٢) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص١٥٣ .

(٣) ذانتي هو ، المرجع السابق ، ٦/ ١–٣٢ .

(٤) اشتور ، المرجع السابق ، ص٢٤٥ ، لاندن ، المرجع السابق ، ص٢١ ، جدواني ، المرجع السابق ، ٢/ ١٣ ، حسنين ، وثائق الجنيزة ، المرجع السابق ، ص١٣٥ .

المبحث الثاني
المراكز التجارية الجديدة في الخليج العربي

عند استعراضنا للمراكز الجديدة في الخليج العربي لانعني بذلك ان هذه المراكز لم تكن موجودة من قبل او انها استحدثت في هذه الحقبة ، ولكن المقصود هو ان هذه المراكز شهدت في الحقبة السابقة فتورا واضطرابا في نشاطها الاقتصادى وحجم سكانها بسبب الظروف غير الملائمة التي مرت بها او بسبب تاثير مراكز اخرى على نشاطها وفعالياتها مما جعلها تتخلف عن مركز الصدارة في تجارة الخليج العربي ، الا انها بدات منذ القرن الخامس الهجرى تستعيد نشاطها وقوتها الاقتصادية وتتوسع على حساب جاراتها من المراكز الاخرى بسبب الظروف المحلية والدولية المارة الذكر .

مر بنا فيما تقدم ان المراكز التجارية في المنطقة قد تاثرت بعاملين اساسيين هما : الظروف السياسية العامة التي مرت بها ، ثم التحولات الاقتصادية الدولية التي شهدتها منطقة البحر المتوسط والمحيط الهندى ، وقد تمخض عن ذلك :

١ـ اختلال التوازن الامني في المنطقة بسبب ضعف السلطة المركزية ، وهذا دفع الى ظهور قوى محلية اخذت تعمل على استقطاب اربا ب المصالح والتجار وقد اخذت على عاتقها حماية مصالحها وذلك بالاعتماد على قوتها العسكرية والاقتصادية الذاتية ولم تلبث هذه القوى ان تحولت فيما بعد الى الحاكم التاجر المصدر والمستورد في الوقت نفسه ، وعلى هذا الاساس نمت كل من جزيرة قيس وهرمز وقلهات والى درجة كبيرة البحرين .

٢ـ اعادة التوزيع السكاني في المنطقة ، فنشطت الى جانب البصرة مدينة الابلة والبحرين ، والى جانب سيراف قيس وهرمز ، ومع تدهور صحار نمت كل من قلهات وظفار ، واصبحت المناطق الجديدة مكتظة بالسكان فيما غدت المراكز القديمة مجرد قرى يسكنها الصيادون ومن ليس له القدرة على الرحيل .

اولا : الابلـــــة

يرجع تاريخ مدينة الابلة الى حقبة قبل الاسلام ، فقد كان يطلق عليها ارض الهنـــــــد (١) ، وذلك لكونها ميناء للبضائع القادمة من الهند والصيـــن (٢) ، ويذكر ان المسلمين عندما فتحوها وجدوا فيها سفينة صينية (٣) ، الا ان حالتها تقلبت خلال الحقب الاسلامية بين الرخاء والانكماش وذلك تبعا للظروف العامة التـــي مرت بها المنطقة ، فبعد تمصير البصرة في الحقبة الاسلامية الاولى واتخاذ هـــا قاعدة ادارية وعسكرية قلت اهمية الابلة ، فتقلص حجمها وقل عدد سكانها الذيـــن توجهوا الى البصرة واصبحت (قرية) بدلا من (مدينة) مما يدل على تبـــدل احوالها الادارية والاقتصادية والاجتماعية (٤) .

الا ان اضطرابا احوال البصرة منذ بداية القرن الرابع الهجري (٥) ادى الى ان تسترجع الابلة دورها ثانية فالمقدسي يصفها بانها (ارفق من البصرة وارحب) (٦) ، فنشطت تجارتها وزاد عدد سكانها وتوسعت رقعتها ، وهكذا اضحت الابلة عند زيارة ناصر خسرو لها في منتصف القرن الخامس الهجري (مدينة عامرة وقد رأيت قصورها واسواقها ومساجدها واربطتها وهي من الجمال بحيث لا يمكن حدهـــا او وصفها ، والمدينة الاصلية تقع على الجانب الشمالي للنهر وعلى جانبه الجنوبي يوجد من الشوارع والمساجد والاربطة والاسواق والابنية الكبيرة مالا يوجد احســن منه في العالم) (٧) .

وقد استمرت الابلة في تألقها وازدهارها فيما تراجعت البصرة في القرن السادس الهجري ، فالجغرافي الادريسي ينقل لنا ما جاء على السنة التجار من ان البصرة كانت في عام (٥٣٦هـ/١١٤١م) (اكثرها خلاء وما بقي منها الا عمارة مادار

---

(١) المسعودي ، مروج الذهب ٢/٣٢٦ .
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ .
(٣) كراتشوفسكي ، تاريخ الادب العربي ، ١/٤٥ .
(٤) ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، ص١٤٧ .
(٥) انظر ص ١٣٤ من البحث .
(٦) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص١١٨ .
(٧) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٥٠ .

بالمسجد الجامع الذى فيها) فيما يذكر عن الابلة انها (مدينة ٠٠ حسنة الديار واسعة العمارة متصلة البساتين عامرة بالناس واهلها مياسير عندهم خصب في العيش ورفاهة ودعة)[1]، وهذا يؤكد ان الابلة قد ورثت نشاط البصرة التجارى واستقطبت سكانها بسبب الظروف السياسية المضطربة التي مرت بها المنطقة، كما ان وقوعها بين شبكة الانهر المتفرعة من شط العرب جعلها في منأى عن هجمات اهل البادية عليها[2] فاتخذها الولاة والعمال والمتنفذين مقرا لسكناهم، وبذلك غدت الابلة (كورة بالبصرة طيبة جدا نظرة الاشجار متجاوبة الاطيار متدفقة الانهار مؤنقة الرياض والازهار)[3]، الا ان اجتياح المغول للعراق واضطراب تجارة الخليج العربي بسبب الخلافات بين صاحب هرمز وقيس، اثر على نشاط تجارة الابلة من جديد وعمل على تدهورها، فعند زيارة ابن بطوطة لها في بداية القرن الثامن الهجرى وجدها مجرد قرية اذ يقول عنها (وكانت الابلة مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وفارس فخربت وهي الان قرية بها اثار قصور دالة على عظمتها)[4].

وهكذا مرت الابلة بمراحل مختلفة فهي قبل الاسلام كانت ميناء ومدينة تجارية مهمة تحولت في الحقبة الاسلامية الاولى الى مجرد قرية ثم نمت على حساب مدينة البصرة الى مدينة ثم الى كورة وهو تعبير جغرافي اوسع من المدينة ثم تراجعت ايام ابن بطوطة الى قرية صغيرة، ويبدو ان التدهور الذى اصاب كلا من البصرة ثم الابلة قد زاد من نشاط البحرين كمركز تجارى مهم على الساحل الشمالي للخليج العربي ٠

---

(١) الادريسي، العراق من نزهة المشتاق، ص٢٦ـ٣٠٠
(٢) ن٠م، ص ٢٦ـ٣٠ ٠
(٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٥٧٠
(٤) ناجي، المرجع السابق، ص١٥٠ ٠
(٥) القزويني، اثار البلاد، ص ٢٨٦٠
(٦) الصيني، العلاقات بين العرب والصين (ط١ القاهرة ١٩٥٠م) ص١٢٦ ٠
(٧) رحلة ابن بطوطة، ص١١٧ ٠
(٨) ناجي، المرجع السابق، ص٦٦ ٠

ثانيا : البحريـــن

البحرين هو اسم جامع لمنطقة واسعة تمتد من البصرة الى عمان ، ومن موانئها (١) في منتصف القرن الخامس الهجرى القطيف والزارة والعقير واوال ، وساحلها هذا (٢) يعد من اهم المراسي بين عمان والبصرة اذ كان السفر منها الى الهند على مدار السنة (٣) ، كما كانت محطة للقوافل البرية القادمة من اليمن الى العراق (٤) ، الا انهـــا تأثرت هي الاخرى بالظروف التي سادت في منطقة الخليج العربي فاثرت علـــى نشاطها التجارى .

ان اهم حدث تعرضت له بلاد البحرين هو وقوعها تحت السيطرة القرمطيـــة لمدة تقارب القرن والنصف مما كان له اثر سيء على الحركة التجارية فيها ، اذ ان موقف القرامطة العدائي من الخلافة العباسية ثم اعمالهم المشينة ضد الحجاج والمراكز الدينية قد اضر بسمعتهم كثيرا في العالم الاسلامي وجعل التجار ينفرون مـــن المجيء الى البحرين واستخدام موانئها (٥) ، ويبدو ان ذلك دفع القرامطة الـــى القيام بعمل مضاد ، فاستغلوا ضعف الخلافة وعملوا على وضع نقاط تفتيش حـــول مراكز التجارة الكبرى في الخليج العربي كعمان وسيراف والبصرة وعلى طرق الحاج المؤدية الى مكة ايضا حيث ارغموا التجار على دفع ضرائب لهم مقابل السماح لهم بالمرور (٦) .

وبعد انتهاء حكم القرامطة في البحرين في منتصف القرن الخامس الهجـــرى وقيام امارة العيونيين فيها اخذت تستعيد مكانتها في عالم تجارة الخليج العربي وتاخذ حصتها فيها ، وقد كانت جزيرة أوال اول من استفاد من هذا التغييـــر

---

(١) البكرى ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك (تحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، الكويت ١٩٧٧ م) ص٣٨ . ياقوت ، معجم البلدان ، ١/ ٥٠٦ . القزويني ، اثار البلاد ص٧٧ . الحميرى ، الروض المعطار ، ص٨٢ .

(٢) البكرى ، جزيرة العرب ، ص٣٨ .

(٣) ابن الساعي ، اخبار الخلفاء ، ص١٤١ . القلقشندى ، قلائد الجمان ، ص١٢١ .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص٢٥٦ . ناصر خسرو ، سفرنامة ، ص١٤١ . ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢١٦ .

(٥) تحفة المستفيد ملحق رقم (٣) ص٢٥٧ .

(٦) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٣٢ .

وذلك بسبب موقعها الممتاز في الخليج العربي ، فيذكر شارح ديوان ابن المقرب ان اوال تحولت بسرعة الى سوق كبيرة اخذ يقصدها اعداد كبيرة من المسافرين والتجار (١)، وقد شجع الامراء العيونيون التجارة الى بلاد هم فقدموا التسهيلات للتجار ووفروا لهم الحماية والامن ، وقد اشار ابن المقرب الى ذلك بقوله (٢) :

منا الذى اصبح المجتاز من حلب   الى العراق الى نجد الى ادما

وكان من رعاية الامراء العيونيين للتجار ان سفينة قاصدة البحرين في تجارة لها انكسرت قرب الساحل في امارة الفضل بن عبد الله العيوني (ت حوالي ٥٣٤هـ/١١٣٩م) فارسل الامير الفضل من انقذ التجار واستخرج قسما من الاموال من البحر ثم عوضهم عن كل ما فقدوه في سفينتهم وكان من جملتهم تاجر بلغت قيمة بضاعته مائة الف توجه بها الى البصرة ثم باعها بارباح مضاعفة (٣) ، وكان من جراء هذه السياسة ان نشطت تجارة البحرين وكثرت دخلها وتحصل لدى الامراء العيونيين الاموال الكثيرة (٤) كما اصبحت جزيرة اوال المتوسطة لمغاصات اللؤلؤ (٥) ، يقصدها اعداد كبيرة من التجار وصحبتهم اعداد كبيرة من عمال الغوص اذ وفر لهم الامراء العيونيون كل ما يحتاجونه من الامن والرعاية ، وقد وصفهم الادريسي عند حديثه عن اللؤلؤ في جزيرة اوال بأن الامراء هناك كانوا يشرفون على عملية غربلة اللؤلؤ واستخراج الجيد من الردئ ويحضرون ايضا عملية البيع والشراء وكان (العدل لايفارقهم في البيع والشراء حتى لايضام احد ولا يشكو ظلما) (٥) .

وفي هذا العهد ايضا نشطت التجارة البرية بين اليمن والعراق عبر البحرين ، فيشير ابن المجاور عن هشام بن مسعود النجراني في دار الامارة بنجران ان هذا (الطريق ينفذ الى الكوفة او قال الى البصرة وكان اهل اليمن

(١) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٥٧ .
(٢) ديوان ابن المقرب ، ص٥٤٨ .
(٣) ن . م ، ص٥٤٠ـ٥٤١ ، هامش (٩٩) .
(٤) ن . م ، ص ٥٤١ ، هامش (١٠١) .
(٥) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٣٠٠ .
(٦) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص٥٤ـ٥٥ .

يسافرون اليه بالحمير وعليهم الاديم الى احدى هاتين المدينتين في العام مرتين قلت: وعلى اى الامكنة كان مسلكهم قال على اليمامة والحسا والبصرة قلت ومتى كان عهدكم بعمرانه قال سنة عشرين وخمسمائة)(١)، وقد كان لقوة الامراء العيونيين في هذه الحقبة وسيطرتهم على نشاط البدو وقطاع الطرق اثر في سيادة الامن فيها(٢).

ان نشاط تجارة البحرين وازدهارها الاقتصادى في ظل الامارة العيونية، دفع بعض الطامعين من حكام جزيرة قيس للسيطرة عليها او الحصول على نصيب منها، فشنوا عليها سلسلة من الغارات ابتداء من بداية القرن السادس الهجري حتى تمكنوا في عهد الامير العيوني الفضل بن محمد (حوالي ٦٠٦ـ٦١٦هـ/ ١٢٠٩ـ١٢١٩م) من فرض شروطهم عليه واجباره على توقيع معاهدة حصلوا بموجبها على امتيازات واسعة في بلاد البحرين وفرض ضرائب غير متوازنة على واردات البلاد(٣).

ومع وان نشاط البحرين التجارى لم يتأثر كثيرا بالانقسام الداخلي الذى اصاب الامارة العيونية وضعف حكامها، فقد استمر التجار يزاولون نقل سلعهم الى العراق وبالعكس كما استمرت رحلاتهم الى الهند، فالشاعر ابن المقرب العيوني كان يتردد الى العراق في تجارة له اذ اشتغل بتجارة الحديد من بغداد الى البحرين(٤)، كما يروى لنا شفاعته للعديد من التجار بسبب ترددهم على ولاة العراق انذاك، فقد تنكر احد الوكلاء في البصرة لاموال عدد من التجار البحارنة بعد ان اودعوها اياه، فتوسطوا الى ابن المقرب ليرفع الامر الى اميرها شمس الدين باتكين (ت٦٤٠هـ/١٢٤٢م) الذى كانت علاقته بالشاعر وثيقة اذ امتدحه في اكثر من قصيدة من ديوانه، وقد انصفهم الامير باتكين من الرجل الوكيل واسترجع حقوقهم، وكما كان التجار يترددون الى البحرين لشراء اللالئ من

---

(١) ابن المجاور، المرجع السابق، ص٢١٦ـ٢١٧.
(٢) الاحسائي، تحفة المستفيد، ص١٠٢.
(٣) انظر عن هجمات حكام جزيرة قيس على البحرين وعن المعاهدة بينهما، تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص٢٥١ـ٢٥٣.
(٤) ديوان ابن المقرب، ص ٢٢٤ والهامش (١).

منا صاتها المشهورة والخيول العربية من بواديها . فيروى الحسيني ان الامير زنكي بن تكلا صاحب فارس (٥٥٨ـ ٥٧١هـ/ ١١٦٢ـ ١١٧٥م) عندما ارسل هدايا الى السلطان السلجوقي ارسلان شاه بن طغرل (٥٥٦ـ٥٧٠هـ/ ١١٦١ـ ١١٧٤م) اشتراها من اسواق القطيف في البحرين (١) مما يدل على شهرتها وسعة اسواقها . ومما يذكر ايضا ان موفق الدين الاربلي العالم المشهور باللغة العربية وعروضها كان قد ولد في البحرين وتعلم علوم اللغة فيها وذلك لان والده كان يقيم فيها ويشتغل بتجارة اللؤلؤ والجواهر بين البحرين والعراق (٢) .

وفي ظل ازدهار تجارة البحرين توسعت مدينة القطيف وزاد عدد سكانها (٣) ، واتخذها الامراء العيونيون مقرا لحكمهم (٤) . وقد اورد عدد من الجغرافيين العرب اوصافا للقطيف في هذه الحقبة دالة على توسعها وازدهارها . فقد ذكر الادريسي بانها مدينة كبيرة مجاورة للبحر (٥) . وعدها بنيامين التطيلي في القرن السادس الهجري بانها من مدن البحرين المشهورة بالغوص وذكر ارتباطها بالهند (٦) . اما ياقوت فقال انها (مدينة بالبحرين هي اليوم قصبتها واعظم مدنها) (٧) . كما وصفها ابن بطوطة بانها (مدينة كبيرة حسنة ذات نخل كثير) (٨) واضاف ابو الفدا ان للقطيف (خور من البحر يدخل فيه المراكب الكبار الموسقة في حالة المد والجزر) (٩) . ومما مر يتبين ان القطيف اصبحت منذ القرن السادس الهجري وفي ظل الاسرة العيونية من اهم مدن البحرين وميناء كبيرا وسوقا واسعة يأتيه التجار من مختلف المناطق وخصوصا

---

(١) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص٢٦٩ .
(٢) ابن ابي عذيبة ، انساب العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوطة في المتحف العراقي برقم ٢٦٩٥) ورقة ٢٢٢ـ٢٢٦ .
(٣) يشير شارح ديوان ابن المقرب عند حديثه عن حرب الامير محمد بن ابي الحسين مع اهل القطيف ان عدد سكانها كان كبير ، تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ص٢٦٨ .
(٤) ن . م ، ص ٢٧٠ وما بعدها .
(٥) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص٥٥ .
(٦) رحلة بنيامين ، ص ١٦٤ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ١٤٣ .
(٨) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٧ .
(٩) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص٦٦ .

من فارس والعراق ، كما كانت صلتهم بمصر كبيرة ايضا ، فيذكر الحمداني ان عرب البحرين (منهم قوم يصلون الى باب السلطان وصول التجار يجلبون الخيل والانعام وكرام المهارى واللؤلؤ وامتعة من امتعة العراق والهند ويرجعون بانواع الخيام والانعام والقماش والسكر وغير ذلك ويكتب لهم بالمسامحة فيرد ون ويصدرون وبلادهم بلاد زرع وضرع وبر وبحر ولهم متاجر مربحة وواصلهم الى الهند لا ينقطع)(١)، وهذا يعني ان تجار البحرين عملوا كوسطاء في كثير من السلع بين فارس والعراق والهند ومصر فيصدرون الخيول واللؤلؤ وامتعة الهند الى مصر ويستوردون من هناك السكر والثياب المصرية المشهورة انذاك بجودتها (٢) .

ويعود ان ازدهار تجارة البحرين وتوسعها وخصوصا منذ نهاية القرن السادس الهجري فصاعدا يعود الى عدة عوامل :

١ـ الخصومات التي حدثت بين كل من صاحب قيس وهرمز وما ادت اليه من نزاع بينهما والاعتداءات على السفن التجارية العائدة لكل منهما (٣) دفع التجار الى تفضيل ارتياد السواحل العربية وتسبب في ازدهار تجارة البحرين وموانئها (٤) .

٢ـ ضعف مدينة البصرة واضطراب الامن فيها اعاد للبحرين نشاطه التجاري السابق (٥) اذ تمتعت البحرين في هذه الحقبة بقوة الحكم فيها ايام اميرها محمد ابن ابي الحسين (حوالي ٥٨٥ـ ٦٠٣هـ/ ١١٨٦ـ ١٢٠٦م) كما ان الحقبة التي اعقبت محمد بن ابي الحسين على الرغم من شهودها نوعا من عدم الاستقرار بسبب ضعف الامراء العيونيين الا ان الامراء المتنفذين من بني عامر الذين امتلكوا

---

(١) ابن الساعي ، اخبار الخلفاء ، ص ١٤١ (عن الحمداني) . انظر ايضا القلقشندي قلائد الجمان ، ص ١٢١ .

(٢) بلغ من شهرة الثياب المصرية في البحرين ان الشاعر ابن المقرب ارسل بقصيدة عتاب الى الامير مقدم بن ماجد لانه اهدى اليه ثيابا من غير معمول مصر فذكر له فيها انه لا يلبس الا ثياب مصر . ديوان ابن المقرب ، ص ٥٦ .

(٣) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٨٠ .

(٥) كانت البحرين تمثل مركزا هاما من مراكز التجارة العالمية ويعتقد ان مدينة جرها ذات الشهرة التجارية ايام اليونان والرومان تقع في البحرين اذ انها ملتقى طرق القوافل البرية القادمة من جنوب الجزيرة العربية والبحرية القادمة من الهند ويعتقد ايضا ان على انقاضها قامت مدينة القطيف . جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت ١٩٦٨م) ١/ ١٢ .

ناصية القوة في البحرين بعد مقتل محمد بن ابي الحسين قد اخذوا على عاتقهم توفير الامن وحماية قوافل التجار والحجاج حرصا على مصالحهم (١) ، وهذا ما جعل موانئ البحرين مفتوحة حتى في اشد مراحل ضعف الامارة العيونية .

٢ـ نجاح صلاح الدين الايوبي في تحديد النفوذ الصليبي (٢) وطردهم من البحر الاحمر ثم الغائه الضرائب التي كانت تفرض على الحاج والتجارة في عيذاب وطريق مكة (٣) ، كان من العوامل المشجعة للتجار على سلوك طريق البحرين الى مصر وذلك لقصر طريقه وسهولته ثم لتحاشي ما يفرض من ضرائب ثقيلة في عدن (٤) ، وهذا ما فتح الباب للتجارة بين البحرين ومصر اذ اصبح التجار البحارنة يصدرون لها ما يأتيهم من الهند وما يستخرجونه من لؤلؤ في سواحلهم ثم يعودون ببضائع مصر الى بلادهم (٥) .

٣ـ ظهور المغول في المشرق الاسلامي واجتياحهم لمدنه الواحدة تلو الاخرى وما اشاعوه من خراب في تلك المدن دفع الكثير من ارباب المصالح واصحاب رؤوس الاموال بالتوجه الى الاماكن الاكثر امنا (٦) ، وهكذا كانت موانئ شرق الجزيرة العربية وجنوبها مراكز جذب مهمة للسكان اذ نرى ازدهار وتوسع كل من البحرين وهرمز وقلهات وظفار وعدن .

٤ـ بعد منتصف القرن السابع الهجرى لم يعد في بغداد بلاط ولا خلافة التي تعد الموجه الاول لتجارة البلاد بحاجاتها من اسباب الترف والاسلحة وهذا ما اثر بدوره على نشاط مدينتي البصرة والابلة التجارى .

٦ـ العداء الكبير بين كل من دولتي المغول في العراق والمماليك في مصر (٧) زاد من ارتباط البحرين بالاخيرة باعتبارها محور المقاومة الاسلامية ضد المغول ، كما

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ، ص٨٢ .
(٢) صبحي لبيب ، المرجع السابق ، ص٦ .
(٣) الانصارى ، عبد القادر ، درر الفوائد المنظمة في اخبار طريق الحاج ومكة المعظمة ، (القاهرة ١٣٨٤م) ص٢٦٤ .
(٤) انظر عن الضرائب التي تؤخذ من التجار في عدن وشدتها عليهم ، ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص١٤٠ وما بعدها .
(٥) ابن الساعي ، اخبار الخلفاء ، ص١٤١ . القلقشندى ، قلائد الجمان ، ص١٢١ .
(٦) انظر عن هجمات المغول على بلدان المشرق الاسلامي ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٣٥٨ وما بعدها ، جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين (بغداد ١٩٦٨م) ص٧ وما بعدها .
(٧) خصباك ، المرجع السابق ، ص١٣٢ .

شجع المماليك هذه العلاقة وذلك للوقوف بوجه مخططات المغول الرامية الى ضرب مصر عن طريق تشجيع تجارة الهند عبر الخليج العربي (١)، وقد نجحت سياسة المماليك في جذب امراء البحرين الى جانبهم منذ وقت مبكر فالحمداني يشير الى زيارة وفد من حكام البحرين الى مصر في دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ٦٧٦هـ/ ١٢٥٦ـ١٢٧٧م) (٢) وهذا ما ادى الى تقوية العلاقات التجارية بينهما .

ثالثا : جزيرة قيس

تقع هذه الجزيرة على مقربة من الساحل الايراني اذ يفصل بينهما مضيق صالح للملاحة عرضه تسعة اميال ، ومساحة الجزيرة حوالي (٣٧) ميل مربع (٣)، ويعتقد ان الجزيرة التي وصلها احد قواد الاسكندر هي نفسها جزيرة قيس (٤).

وعند الفتح الاسلامي للمنطقة لم تشر المصادر الى اسمها صراحة ، ولكن البلاذري يشير الى ان العلاء بن الحضرمي عامل عمر بن الخطاب (رض) على البحرين وجه عرفجة بن هرثمة البارقي الازدي ففتح جزيرة في البحر مما يلي فارس ثم امر عمر (رض) العلاء ان يعزز من قوات المسلمين في هذه الجزيرة فامده بعتبة بن فرقد السلمي (٥)، وقد تم فتح هذه الجزيرة قبل فتح جزيرة (ابركاوان) التي فتحت في ولاية عثمان بن ابي العاص الذي خلف العلاء على البحرين وعمان في خلافة عمر بن الخطاب (رض) (٦)، ويبدو ان هذه الجزيرة هي نفسها جزيرة قيس اذ يشير البلاذري في رواية اخرى الى ان عثمان بن ابي العاص وجه اخاه الحكم سنة خمس عشرة للهجرة فاقتحم البحر بقواته الى تانه (٧) الواقعة بالقرب من مرفأ هزو (٨) المقابل لجزيرة قيس (٩)، مستفيدا من وجود المسلمين في الجزيرة ، ثم اتخذت

---

(١) الحميدان ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .
(٢) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص١٠١ .
(٣) ويلسون ، الخليج العربي ، ص١٧٦ .

(٤) ن . م ، ص ١٧٦ .
(٥) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٤ . انظر ايضا ، قدامة ، الخراج ، ص ٣٨٦ .
(٦) البلاذري ، المصدر نفسه .
(٧) ن . م ، ص ٤١٦ .
(٨) هزو : وصفها ياقوت انها قلعة على ساحل البحر مقابلة لجزيرة قيس ، معجم البلدان ٤/ ٩٧٤ .
(٩) ليسترنج ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

هذه المنطقة كقاعدة للجيوش العربية الاسلامية التي انساحت في بلاد فارس وكرمان.(١)

تكاد المصادر تصمت عن دور الجزيرة في الخليج العربي في الحقبة الاسلامية الاولى ، ولعل ذلك راجع الى نشاط كل من البصرة وسيراف وصحار ، ولكن يبدو ان هذه الجزيرة بقيت مرتبطة اداريا بالبصرة وعمان والبحرين على الرغم من قربها من سواحله الشرقية ، فيذكر الطبرى ان سليمان بن علي كان واليا على البصرة والبحرين وعمان وتوابعهما حتى وفاته سنة (١٤٠هـ/ ٧٥٧م)(٢) ، كما يشير الخطيب البغدادي الى ان الرشيد قلد احد قادته اضافة الى هذه المناطق ولاية الغوص(٣) ، وقد كانت سواحل جزيرة قيس من المراكز المشهورة بالغوص على اللؤلؤ(٤) ، ويذكر السمعاني ان اسماعيل بن مسلم الكيشي(٥) المتوفى في منتصف القرن الثاني الهجرى كان متوليا القضاء في جزيرة قيس(٦) ، فيما يشير ابن الاثير الى ان القاضي ابا بكر الباقلاني(٧) تولى قضاء عمان والسواحل(٨) في عام (٤٠١هـ/١٠١٠م)(٩) ، ويتوج ياقوت ما تقدم بقوله ان جزيرة قيس تعد من اعمال عمان.(١٠)

من هنا يتبين ان جزيرة قيس ارتبطت طوال الحقب الاسلامية بعمان والسواحل(١١) العربية المواجهة لها ، وذلك راجع كما يبدو الى الروابط التاريخية والاجتماعية المتينة التي جعلتها عربية في توجهاتها .

---

(١) البلاذرى ، المرجع السابق ، ص٣٧٤ ـ ٣٧٥ .
(٢) الطبرى ، المرجع السابق ، ٢/ ١٤٤ .
(٣) الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد (القاهرة ١٩٣١م) ١/ ٦٦ .
(٤) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ، ص ٦٢ .
(٥) اسماعيل بن مسلم الكيشي ابو محمد البصرى كان من رواة الحديث الثقاة ، انظر عنه: الشيرازى ، ابو اسحق علي بن ابراهيم ، طبقات الفقهاء (ط ابيروت ١٩٨٠م) ص ٩٠ . الرازى ، ابو محمد عبد الرحمن ، الجرح والتعديل (ط ا حيدراباد الدكن ١٩٥٢م) ١/ ١٦٦ . الذهبي ، ميزان الاعتدال (ط امصر ١٩٦٣م) ١/ ٢٥٠ .
(٦) السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم ، الانساب (بيروت ١٦٨٨م) ٥/ ١٢٣ .
(٧) ابو بكر الباقلاني هو محمد بن الطيب بصرى متكلم له تصانيف كثيرة في علم الكلام توفي سنة ٤٠٣هـ انظر عنه: ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٤/ ٢٦٦ ـ ٢٧١ . الذهبي ، تاريخ الإسلام الكبير (مخطوطة في المكتبة المركزية جامعة البصرة برقم ٣٣١) ورقة ١٣٤ .
(٨) تعني كلمة السواحل هنا الجزر والمناطق الساحلية المحيطة بعمان كافة .
(٩) ابن الاثير ، الكامل ، ٩/ ٢٢٣ .
(١٠) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ٢٣٣ .
(١١) كذلك كانت مرتبطة بعمان والسواحل العربية حتى في الفترة السابقة للاسلام كما سنرى في الصفحات القادمة .

ان اول مرجع جغرافي اشار الى جزيرة قيس هو ابن خرداذبة في نهاية القرن الثالث الهجري اذ ذكر انها (اربعة فراسخ في مثلها وفيها نخل وزرع وماشية ولها غوص اللؤلؤ الجيد)(١) ، وعلى الرغم من ان الجغرافي العربي المقدسي المتوفى سنة (٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) لم يشر اليها صراحة عند حديثه عن السواحل الشرقية للخليج العربي الا انه اشار بصورة غير مباشرة الى بداية ازدهار المنطقة وخصوصا بعد ما اصاب سيراف من دمار اثر زلزال عام (٣٦٦ أو ٣٦٧هـ/ ٩٧٦، ٩٧٧م)(٢) ، اذ اشار الى ان مرفأ سورو القريب من جزيرة قيس بدأ يعمر الان (لان حمولات عمان اليها ونفر كرمان ترفع منها)(٣) ، وهكذا يبدو ان الزلزال الذي اصاب سيراف ودمرها دفع كلا من الدولة البويهية والسكان الى عدم الاهتمام بها فتفرق اهلها في سواحل البحر لمزاولة اعمالهم التجارية فازدهرت بذلك مدن ساحلية كانت اقل نشاطا كجزيرة قيس وظفار وجدة(٥) .

من هذا يبدو ان نشاط جزيرة قيس التجاري كان في نهاية القرن الرابع الهجري وان خطوط المواصلات التجارية بدأت تمر بها حتى غدت في النصف الاول من القرن الخامس الهجري من المراكز الرئيسية في الخليج العربي التي تستقبل كلا من البضائع والمسافرين(٦) .

اما عن سكان الجزيرة وبيتها الحاكم فقد اضطربت الروايات في ذلك ولكنها تجمع على انهم من عرب اليمن ، فياقوت يذكر ان جزيرة قيس تسميها الفرس كيش وهي نسبة الى عربي اسمه قيس بن عميرة ويصف ملكها في ايامه بانه (فارسي شكله ولبسه مثل الديلم ويقتني الخيول العراب)(٧) ، وابن المجاور يورد عددا من

---

(١) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص٦٢ ، والفرسخ يساوي (٦كم) ، هنتس ، المكاييل والاوزان ، ترجمة كامل العسلي ، عمان ١٩٧٠ ، ص٩٤ .
(٢) المقدسي ، المرجع السابق ، ص٤٢٦ .
(٣) ن . م ، ص ٤٢٧ .
(٤) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٤٣ .
(٥) ن . م ، ص٤٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٧ .
(٦) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٤ .
(٧) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ٢١٩ .

الروايات تجمع بين الطرافة والاسطورة ، فمرة يروى ان سكان هذه الجزيرة ترجع في اصولها الى قيس بن زهير بن جذيمة صاحب الداحس والغبراء وان قيسا هذا فرّ الى الجزيرة من عمان وسكنها وانه ابو القوم هناك ، كما يسوق روايات اخرى تنسبهم الى قيس بن الملوح او الى امرئ القيس ولكنه يرجح نسبتهم الى قيس بن زهير (١). ويذكر الدكتور القوصي ان اصل البيت الحاكم في جزيرة قيس يرجع الى عرب بني قيس من جنوب الجزيرة العربية ثم يشير الى قول القلقشندى بان بني قيس هم بطن من آل عامر بن صعصعة من العدنانية القاطنين في البحرين (٢) والخلط هنا واضح اذ لم يشر القلقشندى الى ان بني قيس هم من عرب الجنوب بل نسبهم الى العدنانية عرب الشمال ، كما ان نزولهم البحرين لا يعني نسبة جزيرة قيس اليهم او نزولهم بها . وقد حاول البعض ان ينسبهم الى بني عبد القيس (٣) دون الاشارة الى مصدره وهو امر تعوزه الادلة .

وبهذا وان جزيرة قيس كانت تسكنها القبائل العربية منذ حقبة طويلة قبل الاسلام ، فقد اشار الاصمعي الى ان مرفأ هرموز المقابل لجزيرة قيس كان مُلكا لبني نصر من الازد (٤) وانهم ملوك هذه المنطقة بلا منازع ، وكانوا يعشرون فيها المراكب المارة بالخليج العربي ، وانهم الملوك الذين قصدهم الله تعالى بقوله (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) (٥) ويضيف الاصمعي ان ملك المنطقة كان لا يزال في ايديهم حتى ايامه في بداية القرن الثالث الهجرى (٦) ثم يأتي الاصطخرى (من القرن الرابع الهجرى) ليكمل لنا ما حكى الاصمعي عن ملوك هذه المنطقة بقوله (وهم قوم من ازد اليمن الى يومنا هذا ، منعة وقوة وباس وعدد لا

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٨٩ .
(٢) القوصي ، سيراف ، ص ٦٠ ، ٦٦ .
(٣) عمان وتاريخها البحرى (مجلة تصدرها وزارة الاعلام ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩م) ص ٤٠ .
(٤) انظر عن بني نصر من الازد وبطونهم ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٢٨٣ .
(٥) سورة الكهف ، آية (٧٩) .
(٦) الاصمعي ، عبد الملك بن قريب ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد ١٩٥٩م) ص٦٨ ، الزمخشرى ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت بدون تاريخ) ٢/٤٠ .

يستطيع السلطان ان يقهرهم) (١) ، واخيرا يأتي الصابي ليتمم لنا الصورة بقولـه (ان اصحاب هذه المنطقة هم قوم من العرب ولهم نسب يسوقونه الى الجلندى الى ان انتهى ملكها الى رجل يقال له رضوان بن جعفر (٢) فارسل له عضد الدولة من قضى عليه (٣)) .

يتضح لنا ان جزيرة قيس وساحلها المقابل لها في الخليج العربي كانت تحتله مملكة عربية عريقة في اصولها ترجع الى حقبة قبل الاسلام (٤) وان هذه المملكة بلغت اوج عظمتها في القرن الرابع الهجري وهذا ما جعل الثعالبي يعد ملكها واحدا من اكبر تسعة ملوك حكموا العالم الاسلامي انذاك (٥) ، مما دفع البويهيين الى محاولة السيطرة عليها (٦) .

وبعد وان اعتداء عضد الدولة على هذه الامارة العربية ثم اضطرابات امر فارس فيما بعد (٧) وتنازع الامراء البويهيين على الملك فيما بينهم ، دفع الامراء العرب في المنطقة الى نقل مركز نشاطهم السياسي والاقتصادي من منطقة الساحل الى الجزيرة المقابلة وهي جزيرة قيس ، وقد اشار ابن حزم الى ذلك عند حديثه عن بطون الازد بقوله ان الجلندى (عقب يملكون جزيرة واسعة بقرب عمان الى اليوم) (٨) ،

وقد استفادوا كثيرا من الظروف المواتية لهم في تلك الحقبة ، فسيراف لم تعد كانا امينا لرسو السفن بعد ما اذهلهم زلزال عام (٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) ، ثم ان البصرة

---

(١) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٨٥ .

(٢) رضوان بن جعفر احد زعماء الاباضية في عمان وساحل الخليج العربي الشرقي في الحقبة من (٣٤٢ - ٣٦٢هـ) انظر التفصيلات ، جاسم ياسين ، المرجع السابق ، ص٩٢ وما بعدها .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ٩٧٤ (عن الصابي) .

(٤) مما يجدر ذكره ان هذه الجزيرة لا تزال الى الآن تسكنها قبائل عربية منها آل علي وآل وبان وهم يعملون بالزراعة والصيد ، محمد شريف الشيباني ، تاريخ القبائل العربية (ط١ بيروت ١٩٦٨م) ١/ ١٣٢ .

(٥) الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك ، لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابياري (مصر ١٩٦٠م) ص٨٤ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ٩٧٤ (عن الصابي) .

(٧) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص١٥٢ .

(٨) ابن حزم ، المرجع السابق ، ص٣٨٤ .

قد شهدت انتكاسة وضعفا من الناحية التجارية خلال فترة التسلط الاجنبي عليها (١)
كما ان سقوط بني وجيه كقوة سياسية واقتصادية كبرى في الخليج العربي امام
البويهيين في عمان منذ منتصف القرن الرابع الهجرى وافول نجم القرامطة في
البحرين منذ نهاية القرن الرابع الهجرى ، اضافة الى ما اشرنا اليه قبل قليل
من اضطراب ملك البويهيين بعد عضد الدولة ، دفع الامراء العرب من الازد في
المنطقة الى تجديد نشاطهم السابق معتمدين على قوتهم العسكرية التي اكتسبوها
من خبرتهم الطويلة في المنطقة (٢) ومستفيدين من موقع الجزيرة المهم المهيمن على
طريق تجارة الخليج العربي ، من تكوين دولة لهم قدر لها ان تلعب دورا كبيرا
في الميدان الاقتصادى للخليج العربي منذ القرن الخامس الهجرى ٠

وخلال القرن الخامس الهجرى نمت الجزيرة نموا سريعا ، ويوضح ابن البلخي
الخبير بشؤون فارس والذى كتب رسالته في بداية القرن السادس الهجرى ذلك (٣)
بقوله ان اجداد الامير قايش (Ikaysh) عملوا على توسيع سلطتهم الى
خارج جزيرة قيس فاخضعوا المناطق والجزر المجاورة لهم الى نفوذهم واصبحت
الضرائب التي كانت تاخذها سيراف واكتسبت منها ثراءها الواسع تعود الى جزيرة
قيس وحكامها (٤) ٠

وقد حاولت الادارة السلجوقية الحاكمة في فارس انذاك التصدى لحكام جزيرة
قيس ووضع حد لتوسعاتهم فوجهت الى الجزيرة عدة حملات للسيطرة عليها الا انها
فشلت في ذلك (٥) ، ثم نجح حكام جزيرة قيس بعد ذلك في القيام بهجوم على
سيراف واخضاعها لنفوذهم (٦) ، وقد تم ذلك قبل عام (٤٩٥هـ/١١٠١م) (٧) وصاحب

---

(١) العمق التاريخي ، المرجع السابق ، ص١١ ٠
(٢) القزويني ، اثار البلاد ، ص١٦٤ ٠
(٣) كراتشوفسكي ، المرجع السابق ، ص ١/ ٣٢٤ ٠(عن البلخي) ٠
(٤) ويلسون ، المرجع السابق ، ص١٧٧ ٠
(٥) Bosworth, op, cit, pp.86-87.
(٦) ويلسون ، ن ٠ م٠ ، ص١٧٨ ٠
(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠ /٣٤٠ ٠

ذلك ايضا استيلاؤهم على اجزاء واسعة من عمان والساحل الشرقي للخليج العربي حتى جنابة (١)، وفي عام (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) عمل حاكم جزيرة قيس ويدعى ابو سعد محمد بن مضر بن محمود على مهاجمة مدينة البصرة، وقد وصفه ابن الاثير بانه يملك اضافة الى جزيرة بني نفيس (اى جزيرة قيس) نصف عمان وسيراف وجنابة، وكان ذلك بسبب تعرض والي البصرة انذاك الى املاك ابي سعد في الخليج العربي فوجه اليه ابو سعد حملتين كبيرتين لتأديبه وقد بلغ حجم القوة العسكرية في الحملة الثانية ما يزيد على مائة سفينة حربية تحمل نحوا من عشرة الاف مقاتل ولم ينسحب من البصرة الا بعد وساطة الخلافة (٢)، ومن هنا يتبين لنا مدى سرعة نمو قوة الجزيرة وسعة نفوذها اذ غدا حكام جزيرة قيس في بداية القرن السادس الهجرى سادة مياه الخليج العربي بلا منازع .

ويذكر ابن المجاور عن احد رواته قوله (انما تكون لجزيرة قيس من يوم بنيت مائة وعشرون سنة وكان هذا الحديث سنة اربع وعشرين وستمائة) (٣)، وهذا يعني ان بناء الجزيرة كان في بداية القرن السادس الهجرى، ولكن مما مر تبين لنا ان الجزيرة اصبحت في هذه الحقبة (اى بداية القرن السادس الهجرى) امارة كبيرة تضم مناطق واسعة من الخليج العربي وان نموها الحقيقي بدأ منذ نهاية القرن الرابع الهجرى، لذا فانه من المحتمل ان يكون البناء الذى قصده ابن المجاور هو بناء مدينة قيس داخل الجزيرة نفسها، اذ لا تزال خرائب هذه المدينة شاخصة قرب منتصف الساحل الشمالي من الجزيرة وهي تمتد الى مسافة نصف ميل على الشاطئ ويوجد فيها بقايا جامع عتيق له اعمدة مثمنة مقطوعة من الصخر

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ١٠/ ٤٠، وجنابة ذكرها ياقوت بانها بليدة صغيرة من سواحل فارس وهي فرضة ترسى اليها مراكب من يريد فارس، معجم البلدان، ٢/ ١٢٢ .

(٢) ابن الاثير، ن م، ١٠/ ٤٠، .

(٣) ابن المجاور، المرجع السابق، ص ٢٨٧ .

ومطروحة هناك ، وقد وصف ابن المجاور هذه المدينة ايام عظمتها بان دورهـا (١) (ذات علو ورفعة يجعل احدهم في البناء سبعة طبقات وكل دار منها شبه حصن مانع) (٢) ، وقد زار الجزيرة في هذه الحقبة الرحالة بنيامين التطيلي ووصفها بانها (مركز تجاري مهم يقصدها التجار للبيع والشراء ومقايضة ضروب السلع كالحرير والكتان والقطن والقنب والحنطة والشعير والذخن والرز وسائر انواع الحبوب والبقول ويأتيها تجار الهند بالعطور والفواكه ، واغلب سكان الجزيرة دلالون بين هذا الحشد الغفير من التجار) (٣) .

واورد لنا ابن المجاور تفصيلات شيقة عن الجزيرة وموارد ها وحالتها الاجتماعية فذكر انها ذات نخل وزرع واذا حفر الانسان بيده ، ينبع الماء حلوا عذبا فراتا ، وقد بنيت فيها الملوك كهاريز واحواض ماء تملأ من العيون ، ومأكول اهل الجزيرة السمك مع التمر اذ يعملون منه الهرائس ، وبلغ من شدة اهتمام اهلها بها ان نقلوا اليها اشجارا من البصرة زرعت بها ، وتحدث ايضا عن بعض عاداتها الاجتماعية فذكر ان لبس اهلها من اعمال الهندية مما يدل على ان لهم تجارات مع بلدان المغرب العربي ، وذكر انهم قوم يحزون الغرباء ولهم بهم عناية عظيمة ، وان غالب سفر اهلها البحر وشراءهم البرسهار واضاف انهم لا يتعاملون الا بالذهب الخالص الذي يدعى ابو نقطة ، وان للملك استيراد قدور البرام وقصب القنا ولا يحق لاحد غيره ذلك ولا يحق لاحد من التجار مغادرة المدينة الا بجواز سفر يوقع من قبل نواب الملك ثم اخيرا توقيع الملك نفسه (٤) .

---

(١) ويلسون ، المرجع السابق ، ص١٧٩ .

(٢) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٩٥ـ٢٩٦ .

(٣) رحلة بنيامين ، ص١٦٤ .

(٤) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٩٥ـ٢٩٨ .

وكان لازدهار الجزيرة الاقتصادى اثر في نمو الحركة الادبية فيها ، فقصدها الكثير من العلماء والادباء ، فيذكر ياقوت انه راى فيها جماعة من اهل (الادب والفقه والفضل وكان بها رجل صنف كتابا جليلا فيما اتفق لفظه وافترق معناه ، ضخم رأيته بخطه في مجلدين ولا اعرف اسمه الان) (١) ، كما يذكر ايضا انه اجتمع فيها بعدد من اهل العلم والادب جاءوا اليها من ظفار (٢) ومن اهلها الذين اشتهروا بالعلم الشيخ ابو عبد الله محمد بن عثمان الزبيدى الذى كان اصله من زبيد باليمن سكن الجزيرة وقدم بغداد وتفقه بها وصحب الصوفية هناك (٣) ، وكذلك كريم الدين ابو طالب عبد الرحيم الكيشي الاديب الذى وصفه ابن الفوطي بانه كان من اكابر الفضلاء توفي سنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م) (٤) ، كما اشار ابن سعيد في منتصف القرن السابع الهجرى الى ان في جزيرة قيس كثير من اهل الغنى والفضل (٥) .

اما من الناحية السياسية فعلى الرغم من ان جزيرة قيس تحكمها اسرة من ازد اليمن تتوارث السلطة بها ، الا انها كانت تابعة الى الخلافة في بغداد ، فقد اشار ابن المجاور الى ان الخطبة فيها للخليفة ثم لصاحب الجزيرة (٦) ، وكثيرا ما كانت الخلافة تتدخل في الخلافات التي تحدث بين حكام الجزيرة وجيرانهم الاخرين في الخليج العربي ، ففي عام (٤٩٥هـ/ ١١٠١م) توسطت الخلافة في النزاع الذى حدث بين صاحب جزيرة قيس وامير البصرة (٧) ، وعندما استولى حاكم الجزيرة على اموال احد التجار توفي في الجزيرة ارسل الخليفة الناصر لدين الله الى حاكم الجزيرة من اجبره على انصاف ورثة المتوفى اذ هددهم بقطع التعامل

---

(١) ياقوت ، المرجع السابق ، ٤/ ٢١٩ .

(٢) ن . م ، ٤/ ٤٨٢ .

(٣) المنذرى ، زين الدين ابو محمد عبد العظيم ، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد (النجف ١٩٧١م) ٣/ ٣٧٥ .

(٤) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، تصحيح مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١هـ) ص ٢٦ .

(٥) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٣٢ .

(٦) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ٢٩٨ .

(٧) ابن الاثير ، الكامل ، ١٠/ ١٠٥ كـ ١١٠١ .

مع الجزيرة في البصرة وعدم استقبال بضائعهم (١) ، وهذا دليل على استمرارية نشاط الحركة التجارية بين موانئ الخليج العربي على الرغم من التحولات الاقتصادية التي طرأت على الحركة التجارية في هذه الحقبة ، كما استمر تبادل الوفود والهدايا بين حكام جزيرة قيس والخلافة ، فيشير ابن الساعي الى انه وصل في عام (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) رسول صاحب جزيرة قيس الى بغداد وهو يحمل هدايا الى الخليفة ضمنها (زرافتان من دواب البحر وكبش بحري واقطاع عود وابنوس وصندل وساج) (٢) ويحتمل ان هذا الوفد جاء الى بغداد لطرح مسالة النزاع مع هرمز التي ادت فيما بعد ـ كما سنرى ـ الى نشوب صدام مسلح بينهما (٣) ، واستجاب حكام الجزيرة ايضا الى طلب الخليفة الناصر بلبس سراويل الفتوة والعمل بموجبها (٤) ، وكان موفد الخليفة الناصر الى الجزيرة هو ابو الفتوح بن ابي احمد شيخ الشيوخ ببغداد الذي وصفته المصادر انه كان يتردد بين الخليفة الناصر وحكام الجزيرة وكان فقيها عالما له شعر حسن (٥) .

اشرنا في المبحث السابق الى ان ظهور عدد من المتغيرات المحلية والدولية التي شهدتها منطقة الخليج العربي منذ القرن الخامس الهجري ساعدت على نشاط الحركة التجارية عبر موانئ جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر وهذا

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٢) ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ٩/ ٢٦٢ .

(٣) الفتوة عرفها ابن المعمار بانها عبارة عن صفات محمودة اتسم بها الشخص وامتاز بها عن ابناء جنسه ، وهي خصلة من خصال الدين يجاهد الفتى فيها على طاعة الله ورسوله ومنشأها ابراهيم عليه السلام وهي متصلة عند الانبياء الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم تزل تنتقل منه الى عصرنا هذا ، الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد واخرون ، (بغداد ١٩٥٨م) ص ١٣ .

(٤) ابن الساعي ، المرجع السابق ، ٩/ ٢٦٢ .

(٥) انظر ترجمته : ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٢٩٨ . المنذري ، التكملة ، ٣/ ٣٧٠ . الملك الاشرف الغساني ، العسجد المسبوك ، تحقيق شاكر محمود (بغداد ١٩٧٥م) ١/ ٢٣٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣/ ٧٤ .

ادى بدوره الى ازدهار تلك الموانئ الواقعة على ذلك الخط التجارى وخصوصا عدن وبالتالي زيادة العوائد المالية التي تجنيها تلك الموانئ من التجارة المارة بها ، ومما لا شك فيه ان المورد الاقتصادى الرئيسي لجزيرة قيس هو ما تفرضه من ضرائب على التجارة المارة بها ، فقد ذكر ابن المجاور ان حكام جزيرة قيس قرروا في اول عمارتها على كل مركب يجوز عليهم دينارا واحدا ثم عملوا على زيادة هذه الضريبة الى ان وصلت الى العشرة في ايامه (١) ، ولما نشط الطريق التجارى المار بموانئ جنوب الجزيرة العربية والبحر الاحمر اثر ذلك على موارد الجزيرة مما دفع حكامها الى تغيير سياستهم الاقتصادية في المنطقة فحاولوا مد نفوذهم ليشمل مناطق واسعة من الخليج العربي والمحيط الهندى عن طريق استخدام القوة المسلحة ، وقد فسر البعض هذا السلوك بانه محاولة من قبل حكام جزيرة قيس لانقاذ جزيرتهم من الانهيار كذاك الذى حدث لسيراف من قبل (٢) .

والواقع فان اوجه المقارنة ينحصر فقط في كون كل من سيراف وقيس يعتمدان في موارد هما الاقتصادية على التجارة المرورية ، الا ان هناك اوجه اختلاف كبيرة بينهما تتمثل في ان سيراف لم تكن سوى مرفأ ساعدته الظروف ان يكون ميناءً رئيسيا للتجارة ولم يلبث ان انهار بسبب تغير تلك الظروف ، اما جزيرة قيس فانها كانت تمتلك مقومات امارة لها تاريخ عريق يمتد في جذوره الى حقبة قبل الاسلام وقد كان لها جيش واسطول بحرى هو الاول في حجمه وقوته في المنطقة (٣) ، كما ان طريق تجارة الخليج العربي لم ينقطع بسبب نشاط طريق البحر الاحمر بحيث

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ — ٢٦٨ .

(٢) القوصي ، المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤١ . ياقوت ، معجم البلدان ، ٢/ ٩ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٧٥ .

يؤدى الى موت الجزيرة كما يتصوره البعض فقد استمر هذا الطريق مفتوحا امام حركة الملاحة حتى في اشد الظروف الدولية حراجة عند سقوط العراق امام الغزو المغولي (١) ، ولهذا فان جزيرة قيس استمرت في ازدهارها حتى بداية القرن السابع الهجرى فقد اشار ياقوت الى انها اعمر موضع في الخليج العربي في ايامه وان فيها (اسواق وخيرات ولملكها هيبة وقدر عند ملوك الهند لكثرة مراكبه ود وانيجه وعنده الخيول العراب الكثيرة النعمة الظاهرة وفيها مغاص اللؤلؤ وفي جزايــــرة كثيرة حولها وكلها ملك صاحب كيش) (٢) .

تمثلت السياسة الجديدة التي انتهجها حكام جزيرة قيس في استخـــــدام اسطولهم البحرى ورجالهم المدربين على القتال في البحر والذين وصفهم ياقوت بانهم (رجال اجداد اكفاء لهم صبر وخبرة بالحرب في البحر وعلاج السفن والمراكب ليس لغيرهم) (٣) في التعرض لكافة السفن التجارية التي ترفض التعاون معهم بدفع ضرائب مقررة عليهم (٤) . ولم تكن ساحة عملياتهم المراكز الواقعة على الطريق التجارى الجديد فقط بــــل شمل مناطق واسعة من الخليج العربي والمحيط الهندى ، فقد هاجموا جزيرة اوال الخاضعة انذاك لحكم العيونيين لمرات عديدة منذ بداية القرن السادس الهجرى (٥) وقد استمرت هجماتهم عليها طيلة ذلك القرن الى ان تمكنوا من ارغام حاكمها الفضل بن محمد بن ابي الحسين في عام (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) على توقيع معاهدة غير متكافئة حصلت جزيرة قيس بموجبها على ثلثي دخل البحرين (٦) .

---

(١) خصباك ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ وما بعدها .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ١/ ٥٠٣ ، ٤/ ٢٠٩ .
(٣) ن . م ، ٢/ ٩٠ ، انظر ايضا ، القزويني ، اثار البلاد ، ص١٧٥ .
(٤) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص٤١ .
(٥) انظر عن هجمات حكام جزيرة قيس على جزيرة اوال والبحرين ، تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(٦) عن هذه المعاهدة ، انظر تحفة المستفيد ، ن . م ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

كما هاجموا في النصف الاول من القرن السادس الهجرى مدينة عدن وذلك بقصد الحصول على نصيب من وارداتها الا ان هجومهم قد مني بالفشل (١) ، ويبدو ان فشلهم في عدن دفعهم الى توجيه نشاطهم العسكرى الى جزر وسواحل المحيط الهندى ، فقد ذكر الادريسي نقلا عن عدد من المسافرين وقت تأليفه كتابه المشهور نزهة المشتاق في اختراق الافاق في منتصف القرن السادس الهجرى ان حاكم قيس يمتلك اسطولا كبيرا من السفن هاجم به مدينة الزابج (٢) وبلاد القامرون (٣) ، كما ان اغلب سكان المراكز التجارية على طول ساحل الهند يهابونه ويواسونه بالمال اذ ليس لهم به طاقة (٤) ، ويضيف ايضا ان له من المراكب ما يسمى بالمشيعات يكون (طول المركب منها طول الغراب الكامل من عود واحد يجذف فيه ما يتنا رجل واخبرني مخبر وقت هذا التأليف ان عند صاحب كيش من هذه المراكب المسماة بالمشعيات خمسون مركبا كل واحد منهم من قطعة واحدة) (٥) .

والواقع ان هذا النشاط العسكرى الواسع في الخليج العربي والمحيط الهندى ترك بعض اثاره على الحركة التجارية في المنطقة ، ويبدو ان هذا كان من العوامل التي ساعدت على نشاط الطريق التجارى الذى يربط جنوب بلاد الهند بجنوب الجزيرة العربية وذلك لتحاشي اسطول حكام جزيرة قيس الذى كان يجوب المنطقة .

---

(١) انظر التفصيلات عن هجوم صاحب قيس على عدن واسباب فشله : ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ . محمد كريم ، عدن ، ص ١١٧ وما بعدها . صالح ، بنو معن ، المرجع السابق ، ص ٣٢ وما بعدها . القوصي ، المرجع السابق ، ص ٦١ ـ ٦٥ .

(٢) مدينة الزابج هي جزيرة جاوة او بورينو في المحيط الهندى ، السامر ، الاصول التاريخية ، ص ١٤٦ .

(٣) القامرون قصد بها العرب بورما ل وجبال الكامرون وما يلي ذلك من ممالك سيام والملايا وكمبوديا وفيتنام ، السامر ، ن . م ، ص ١٤٥ .

(٤) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤١ . وصف الهند ، ص ٥٠ .

(٥) الادريسي ، ن . م ، ص ٤١ ، ٥٠ (على التوالي) . انظر ايضا ، ابن الوردى ، خريدة العجائب ، ص ٧٣ .

ان الانهيار الحقيقي لجزيرة قيس لم يكن انعكاسا لما طرأ من تغيير على الحركة التجارية ، فطريق التجارة الرئيسي قد اعطى وجهه باتجاه البحر الاحمر منذ القرن الخامس الهجري ومع ذلك فان جزيرة قيس استمرت في نشاطهما وازدهارها للعوامل التي مرت انفا ، ان الخطر الذي داهم جزيرة قيس وادى الى سقوطها جاء من اتجاهين الاول هو نمو قوة بحرية وتجارية جديدة الى جانبهما (ومنافسة لها الا وهي هرمز ، والثاني ظهور اطماع حكام فارس السلغريين في الخليج العربي .

ان نمو هرمز كمركز تجاري مهم في مدخل الخليج العربي وتمتعها بقوة عسكرية كبيرة جعل منها اكبر خطر يواجه جزيرة قيس ، وقد زاد من خطورة الموقف بينهما قرب احدهما من الاخرى ، وتمتع هرمز بأفضلية الموقع اذ انها تهيمن على مدخل الخليج العربي وبامكانها مراقبة السفن المارة عبره الى المناطق الاخرى كافة (١) ، ولهذا فان حرب المصير التي خاضتها جزيرة قيس كانت مع هرمز وليس اثناء هجومهم على عدن كما يرى البعض (٢) .

ان اول من اشار الى الخلاف بين كل من جزيرة قيس وهرمز هو ابن الاثير في حوادث عام (٦١١هـ / ١٢١٤م) اذ ذكر انه (كان بين صاحب هرمز وكيش حروب ومغاورات وكل منهما ينهي اصحابه المراكب ان ترسي ببلد خصمه وهم كذلك الى الان) (٣) ، كما اشار القزويني الى النزاع بين كل من صاحبي هرمز وقيس وذكر ان سببه كان ظلم حاكم جزيرة قيس لرعيته مما جعلهم يستنجدون بصاحب هرمز ضده ، وعندما ملك صاحب هرمز الجزيرة كان يظلم افحش من القيسي مما حدا بهم باللجوء الى صاحب شيراز الذي تمكن من الاستيلاء على الجزيرة (٤) ، اما توران

---

(١) لي سترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، خارطة رقم (٦) .
(٢) انظر مثلا : القوصي ، المرجع السابق ، ص٦١ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ٣٠٤ .
(٤) القزويني ، اثار البلاد ، ص٢٤٣ .

(١)
شاه فيذكر لنا سببا اخر للخلاف بين كل من حكام هرمز وقيس ، فيشير الى ان علاقات مصاهرة قامت بينهما وكانت نتيجة ذلك ان ورث امير هرمز سيف الدين ابو المظفر حكم كلا من جزيرة قيس وهرمز بعد ان قضى على معارضيه في جزيرة قيس كافة (٢) .

ومهما قيل عن اسباب النزاع بين الجانبين فان العامل الاقتصادي يبقى المحرك الاول للنزاع ، ولم يكن ذلك لصالح جزيرة قيس بسبب القبضة المميتة التي وجهها لهم حكام هرمز ، اذ عملوا على قطع الطريق على السفن المتجه الى جزيرة قيس ومصادرتها (٣) ، ثم عملوا بعد ذلك على الانقضاض على الجزيرة نفسها واحتلالها والاستيلاء على جميع ممتلكاتها (٤) وذلك في جماد الاخر من عام (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

ان الثروة الهائلة التي خلفها حكام جزيرة قيس والاسطول الضخم الذي كان بحوزتهم دفع حكام فارس السلغريين الى محاولة الحصول على نصيب منها ، فعملوا على مهاجمة الجزيرة واستطاعوا احتلالها من ايدي صاحب هرمز وذلك في الحقبة بين عامي (٦٢٦ـ٦٣٠هـ/١٢٢٨ـ١٢٣٢م) (٥) ، وبذلك انتهى نفوذ جزيرة قيس السياسي ثم بعد ذلك الاقتصادي وانتقل الى هرمز التي ورثت قيس في احتلال مركز الصدارة في عالم تجارة الخليج العربي .

---

(١) توران شاه احد حكام هرمز في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الذي ترك لنا تاريخا عن سلالة ملوك هرمز وقد قام الرحالة البرتغالي تكسيرا باختصاره الى البرتغالية في القرن السابع عشر الميلادي ثم ترجم الى الانكليزية مع رحلة تكسيرا : Tiexeira, OP,cit,p.Vi.

(٢) Ibid ,p.157-158.

(٣) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٦٩ .

(٤) تحفة المستفيد ، ملحق رقم (٣) س٢٥٣ .

(٥) تحفة المستفيد ، ن . م ، ص٢٥٣ـ٢٥٤ . القزويني ، اثار البلاد ، ص٢٤٣ .

رابعا : هـرمـز

هناك موقعان لمدينة هرمز ، الموقع الاصلي او المدينة القديمة على الساحـل الشرقـي (١) ، والموقع الاخر في جزيرة هرمز ، تقع هرمز القديمة على مسافة مرحلتيـن او يوم ونصف عن الساحل على خليج تدخله المراكب اسمـاه الاصطخرى بالجير (تدخل فيه السفن من البحر) (٢) .

وقد كانت هرمز القديمة في القرن الرابع الهجرى مجمع تجارة كرمان وفرضتهـا الرئيسية ولكنها لم تكن بالكبيرة (اذ ليس بها كثير مساكن وانما مساكن التجار في رساتيقها متفرقين في القرى) (٣) ، وقد استمرت هرمز تلعب دورا ثانويا في تجارة الخليج العربي حتى القرن السابع الهجرى عندما احتلت مركز الصدارة فيه .

وكانت هرمز تحكمها اسرة عربية توارثت الحكم فيها قبل هذا التاريخ وهـي تابعة اسميا الى ولاة الخلافة في فارس وكرمان (٤) ، وقد ترك لنا توران شاه احـد ملوك هرمز في النصف الاول من القرن الثامن الهجرى تاريخا عن سلالة ملوك هرمز اختصره الرحالة البرتغالي تكسيرا (٥) ثم ترجم الى الانكليزية ، ولم يشر توران شاه الـى بداية تاريخ حكم سلالته ولكنه يذكر ان الملك الثاني عشر في هذه السلالة وهـو ركن الدين محمود حكم لمدة (٣٥) سنة وتوفي في سنة (٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م) (٦) ، ويرجح ارنولد ويلسون ان يكون بداية حكم هذه الاسرة في نهاية القرن الرابع الهجرى (٧) .

ويورد توران شاه روايتين مختلفتين عن بداية حكم سلالته يذكر في الاولى ان

---

(١) لم تظهر هرمز الجديدة الا في بداية القرن السابع الهجرى كما سنرى .

(٢) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٩٦ .
Lockhart, Hurmuz in E.I. p. 584.

(٣) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٥٤ . انظر ايضا ، المقدسي ، المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٤) ويلسون ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

(٥) Teixeira, op, cit, p. 158-159.

(٦) Ibid.

(٧) ويلسون ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

الجد الاكبر لهم يدعى محمد درامكو وهو امير عربي من سبأ في جنوب الجزيـرة العربية رغب في توسيع نفوذه فجاء الى سواحل الخليج العربي واقنع قومه بعبـور البحر للحصول على المزيد من الثروة والاموال وهناك اخذ يفتش عن مكان مناسب فسمع بمكان يدعى (هرموز) او هرمز فذهب اليه واختبره ثم استقر فيه واسـس هناك مدينة له قسمها على قومه وحسب توجيهاته ثم عقد تحالفات مع حكام كرسان وشيراز ، وتوفي بعد سنوات تاركا الحكم وراثيا في ابنائه (١) .

اما الرواية الاخرى فتشير ان والد محمد درامكو كان ملكا في الجزيرة العربية وتحارب مع اخر وانهزم في المعركة فاضطر الى عبور البحر مع قومه واستقر في هرمـز وطغا عليها وامتلكها (٢) .

وهناك رواية ثالثة اوردها العوتبي ـ الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ـ بصورة عرضية عند حديثه عن احداث عمان الدموية في نهايـة القرن الثالث الهجري ، فبعد الانشقاق الذي حصل بين كل من اليمانيـة (٣) والنزارية في عمان اثر عزل الامام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ـ ٢٧٢هـ/ ٨٥١ـ ٨٨٦م) عن الامامة التجأ النزارية الى الخلافة في بغداد لمساعدتها ضد اليمانية فتجددت الحرب مرة اخرى ، وعلى اثرها يشير العوتبي ان (خاف اهل صحار وما (٤) حولها والباطنة فخرجوا باموالهم وذراريهم وعيالاتهم الى سيراف والبصرة وهرموز وغير ذلك من البلدان ، وفي تلك السنة خرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي

---

(١) Teixeira, Op,cit,p. 154-155.

(٢) Ibid .155-156.

(٣) Wilkinson, The Omani Manuscript,op,cit,p.197.

(٤) انظر عن احداث عمان الدموية في نهاية القرن الثالث الهجري ، العوتبي ، الانساب ١/ ٣٢٢ ، الازكوي ، تاريخ عمان ، ص٥٨ ، ابن رزيق ، الفتح المبين ، ص ٢٣٥ ، الشماخ ، ص٥٥ـ ٥٦ ، السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/ ٢٥٧ـ ٢٥٨ .

بولده ، وجماعة عياله وحرمه ومن خف معه فركبوا البحر في السفن حتى وصلوا الـى هرموز فتحصلـها واقام بها هناك الى ان اتخذها دارا ومالا وذلك بعد ان بلغه مجيء محمد بن بور (١) الى عمان بالعساكر وقتله لاهلها وما جرى فيها من المحن ، ومن اجل ذلك اقام بهرموز واتخذها وطنا الى ان مات ثم اقام بها بعده ابنه المهدي بن سليمان (٢) وكان اميرا بهرموز وعاملا عليها من جهة سبكرى (٣) صاحب الري ولم يزل بها اميرا الى ان مات فبقية ولده بها الى اليوم) ، ان نص العوتبي هذا لم يشر الى محمد درامكو ، كما ان في رواية توران شاه الثانية يكون سليمان الملك الثاني لسلالة هرمز بعد ابيه محمد ، اما عند العوتبي فان الامير سليمان هو الحاكم الاول لهرمز ، ويبدو لنا ان نقاط الخلاف هنا ليست كبيرة بحيث تضعف ما ورد عند العوتبي ، فالعوتبي عالم عماني كبير وهو مؤرخ ونسابة وله اطلاع واسع (٤) على احداث تاريخ عمان والمناطق المجاورة لها .

وعلى هذا فاننا نرجح ان يكون بداية حكم سلالة هرمز هو بداية القرن الرابع الهجري وفي ظلهم بدأت هرمز تطورها التدريجي ، اذ غدت خلال القرن الرابع الهجري ـ كما اسلفنا ـ مجمع تجارة كرمان (٥) وفرضتها الرئيسية ، وفي منتصف القرن الخامس الهجري كان لهرمز اسطول من السفن في الخليج العربي ، فعند ما اراد

---

(١) محمد بن بور والي الخليفة المعتضد على البحرين ارسله الخليفة لمساعدة النزارية في استعادة عمان الى حاضرة الخلافة ، الطبري ، المرجع السابق ، ٨/١٦٦ . الازدي ، تاريخ الموصل ، ص١١٦ . المسعودي ، مروج الذهب ، ٤/٢٤٤ .

(٢) سبكرى احد ولاة الخلافة في فارس وكرمان وعمان في الحقبة من عام ٢٩٧ ـ ٢٩٨هـ انظر اخباره في : مسكويه ، المرجع السابق ، ١/٦ ـ ١٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ٦/١٠٧ ، ١٣٦ (طبعة بيروت ١٦٦٢) . العثمني ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، المرجع السابق ، ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٣) العوتبي ، الانساب ، ٢/٣٢٣ .

(٤) عمر ، تاريخ الخليج العربي ، ص٢٨ ـ ٢٩ .

(٥) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص٥٤ . المقدسي ، المرجع السابق ، ص٤٦٦ .

قاورد بك السلجوقي غزو عمان استعان بامير هرمز المدعو ابن عيسى ليهيئ[1] لـــه السفن اللازمة لنقل جيشه الكبير الى عمان ، وقد لبى امير هرمز طلبه وزوده بوسائل العبور الى هناك[2] .

وفي حقبة ازدهار جزيرة قيس واحتلالها موقع الصدارة في تجارة الخليج العربي وامتلاكها اسطولا تجاريا وعسكريا كبيرا ، بقي نشاط هرمز محدودا الى جانبهـــا كما ان موقعها على خور على الساحل الشرقـــي جعلها بعيدة نسبيا عن الخط التجاري الداخل الى الخليج العربي من المحيط الهندي مما جعل حصتها من الضرائب المفروضة على التجارة المرورية ضئيلة ومقتصرة على من يقصد بلاد كرمان او من يعبر كرمان الى داخل ايران .

ويبدو ان حكام هرمز قد ادركوا اهمية هذه النقطة عندما عملوا على نقـــل نشاطهم التجاري والسياسي الى الموقع الجديد في الجزيرة التي كانت تدعى (جيرون او زوزون) والتي تقع على مسافة (٦٠ كم) من الموقع القديم داخـــل مياه الخليج العربي وقد اخذت اسم الموقع القديم فاصبحت تدعى هرمز الجديدة[3] ،

اما عن تاريخ الانتقال من الموقع القديم على البر الى الجزيرة فغير معروف بالضبط ، فياقوت الذي تردد على المنطقة بتجارته في نهاية القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع الهجري يشير الى ان مدينة هرمز تقع على خور تدخله المراكب كمـا انها فرضة كرمان والمجتاز الى سجستان وخراسان[4] ، وهذا الوصف هو الموقع القديم لـــهرمز ، ولكنه ذكر ايضا جزيرة اسمها هرمز وقال انها تقع في البحر مقابلـــة

---

(١) في رواية توران شاه اثنان يحملان اسم ابن عيسى الاول يأتي تسلسله الرابع في حكم السلالة والاخر السابع منها ، انظر :

Teix eira, Op.cit, p.156.

(٢) الكرماني ، بدايع الزمان ، ص٦ .

(٣) Lockhart, harmmz, in E.I.F.585.

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/ ٩٦٨ .

لجزيرة قيس ولكنه لم يشر الى نشاطها التجاري (١).

وفي حديث توران شاه عن سلالته يذكر ان الامير سيف الدين ابو النظر اول من انتقل الى جزيرة جيرون واطلق عليها اسم هرمز الجديدة اما المكان القديم فقد اصبح مقرا لسجنائه (٢)، الا اننا لا نعرف مدة حكم الامير سيف الدين، ولكن صاحب المخطوطة التيمورية الذى كان حيا في النصف الاول من القرن السابع الهجري يشير الى ان امير هرمز ابا المظفر (يرد احيانا ابو النظر) احتل جزيرة قيس في عام (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) (٣)، والذى نرجحه ان الامير سيف الدين ابو النظر حكم هرمز منذ بداية القرن السابع الهجري وان انتقاله الى جزيرة جيرون (هرمز الجديدة) كان قبل عام (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) اى قبل احتلاله جزيرة قيس اذ ان خلافاته مع حكام قيس لم تظهر الا بعد نقل نشاط هرمز الى مقرها الجديد في الجزيرة، وقد اشار ابن الاثير الى هذه الخلافات منذ العقد الثاني من القرن السابع الهجري اذ ذكر ان (بين صاحب هرمز وقيس حروب ومغاورات وكل منهما ينهي اصحاب المراكب ان ترسي ببلد خصمه وهم كذلك الى الان) (٤)، ويبدو ان اهم اسباب الصراع هو نقل حكام هرمز نشاطهم الى الجزيرة، فقد ادرك الطرفان اهمية موقع هرمز الجديدة بالنسبة للطريق التجاري الداخل الى الخليج العربي او المتجه الى ايران عبر كرمان، لذلك خاض الطرفان صراعا مريرا من اجل البقاء كان نتيجته سقوط جزيرة قيس وانسحابها من مركز الصدارة في تجارة الخليج العربي.

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٧١١.

(٢) Teixeira, op.cit,p.158.

(٣) تحفة المستفيد، ملحق رقم (٣) ص ٢٥٢.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ١٢/ ٣٠٤.

ويشير توران شاه الى ان اسها بانتقال الامير سيف الدين من الموقع القديم الى الجزيرة هو تعرض هرمز لهجوم من قبل حشود كبيرة جاءت من داخل ايران من قبل ما اسماه بـ (Hyr) دون الاشارة الى هويتها (١) ، وقد رجح البعض ان هذه الكلمة ربما تعني المغول الذين اغرتهم ثروة المنطقة وغناها على اجتياحهـا مما جعل سكان هرمز يهجرون مدينتهم الاصلية الى الجزيرة داخل البحر (٢) ، وقد اشار الى ذلك ايضا ابو الفدا عند حديثه عن هرمز بقوله (واخبرني من راهـا في زماننا هذا أن هرموز العتيقة قد خربت من غارات التتر وان اهلها انتقلـوا الى جزيرة البحر تسمى زرون وهي جزيرة قريبة من البر غربي هرموز العتيقة) (٣) .

وعند تتبع حوادث التاريخ في هذه الحقبة نرى ان ابن الاثير المؤرخ المعاصر لظهور التتر لم يشر الى وصولهم لمنطقة كرمان الا مرة واحدة في حوادث عـام (٦١٧هـ/١٢٢٠م) (٤) ، ولكنه اشار الى نشاط كبير في المنطقة من قبل حكام الدولة الخوارزمية الذين ظهروا فيها وهاجموا هرمز واستولوا عليها (٥) ، ويبدو انه اضافـة الى العوامل الاقتصادية المارة الذكر فان اضطراب الاوضاع السياسية داخـل ايران بسبب ظهور الخوارزميين ثم التتر وحروبهم المستمرة كان من الدوافع المهمة وراء نقل هرمز القديمة الى موقعها الجديد في الجزيرة .

ان نقل نشاط هرمز الى الجزيرة زاد من عظمتها فخضعت لها مناطق عديدة من الخليج العربي وخصوصا الساحل العماني المقابل لها ، كما زادت ثروتهـا (واصبحت مرسى عظيم ومجمع للتجار من اقاصي الهند والصين واليمن) (٦) ، ومما يجدر

---

(١) Teixeira ;op,cit,p.157.
(٢) ويلسون ، المرجع السابق ، ص ١٩٠ ، رحلات ماركوبولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد (مصر ١٩٧٧م) هامش ص ٥٦ .
(٣) ابو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٣٣٩ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/٣٦٠ .
(٥) ن ٠ م ، ١٢/٣٠٣ .
(٦) ن ٠ م ، ١٢/٣٠٣ .

نذكره هنا ان امراء هرمز ظلوا على ولائهم للخلافة حتى سقوطها عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) (١) .

وعند زيارة ماركوبولو لها في نهاية القرن السابع الهجري وجدها قد استقرت في الموقع الجديد فذكر ان الجزيرة (لا تبعد كثيرا عن الساحل اسمها هرمـــز يرتاد ميناءها التجار من كل ارجاء الهند وهم يجلبون التوابل والعقاقير والاحجار الكريمة واللؤلؤ ومنسوجات الذهب كما يجلبون انيابا الفيلة ... وهنا يبيعون هذه البضائع لمجموعة مختلفة من التجار يتولون توزيعها بكل ارجاء العالم والحــــق ان هذه المدينة يغلب عليها الطابع التجاري) (٢) ، ثم توسعت هرمز بعد ذلـــك لتصبح مدينــــــة تجاريــــــــة عالميـــــــة وقد وصفها الابريناك بما يعكس عظمتها وازدهارها اذ يقول (ان الناس من جميع المعمورة يفدون اليها لتبادل السلع وعقد الصفقات التجارية في جو من الادب والرعاية يندر مثله فـــي اي مكان تجاري اخر ، وكانت الشواطئ مغطاة بالحصر وفي بعض الاماكـــــن بالسجاجيد وكانت ظلل الكتان ترفرف من اعالي المنازل تحول دون حر الشمــــس) (٣) ، وقد استمرت هرمز في عظمتها حتى الغزو البرتغالي لها عام (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) (٤) .

---

(١) ابن ابي حديد ، المرجع السابق ، ١٧/ ١٠٩ ؛ ابن الساعي ، الجامع المختصر ، ٩/ ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) رحلات ماركوبولو ، ص٥٥ .

(٣) ويلسون ، المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٤) عبد واني ، المرجع السابق ، ٢/ ١٣ .

خامسا : قلهات

ترجع المصادر سكنى العرب في قلهات الى حقبة قبل الاسلام ، واول من اتخذها عاصمة له هو مالك بن فهم الازدي الذي نزح من جنوب الجزيرة العربية وسكن قلهات على شاطئ البحر وجعلها قاعدة له انطلق منها في تحرير بقية اجزاء عمان من السيطرة الفارسية (١) ، ولكن يبدو ان دور قلهات قد قل بسبب ظهور صحار وسكنى مجموعات اخرى من العرب فيها وعلى راسهم بنو الجلندى الذين سيطروا على النشاط السياسي والاقتصادي للمنطقة (٢) .

ولم يكن لقلهات دور يذكر في حقبة ازدهار صحار في العصور الاسلامية الاولى فقد ذكر ابن دريد انها موضع في عمان (٣) ، الا انه مع افول نجم صحار خلال القرن الخامس الهجري بدات قلهات تستعيد نشاطها ، ويبدو ان ذلك كان منذ بداية القرن السادس الهجري على ما رجحه ياقوت بقوله (ولا اظنها تمصرت الا بعد الخمسمائة) (٤) ، ويعزو ابن المجاور سبب ازدهار قلهات الى خراب عدد من موانئ جنوب الجزيرة العربية مما حدا بسكانها الى تركها والهجرة الى عدن وقلهات ومقديشو وهكذا عمرت الثلاث في آن واحد (٥) ، ومما يعزز ما ذهب اليه ياقوت من ان تمصيرها كان في بداية القرن السادس الهجري هو وصف الادريسي لها بانها مدينة صغيرة على ضفة البحر يصطاد بها قليل من اللؤلؤ (٦) .

---

(١) انظر عن نزول مالك بن فهم قلهات وحروبه مع الفرس ، مؤلف مجهول ، تاريخ اهل عمان ، ص١٦ وما بعدها . السالمي ، تحفة الاعيان ، ١/٢١ـ٣٠ . السيابي ، العنوان ، ص٥٤ـ٥٥ .

(٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٤ . اليعقوبي ، تاريخ (بيروت ١٩٦٠م) ١/٢٧٠ .

(٣) الزمخشري ، الامكنة والمياه والجبال (تحقيق ابراهيم السامرائي ، بغداد) ص١٨٧ ، (عن ابن دريد) .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/١٦٨ .

(٥) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص١٣٠ .

(٦) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص٤٠ .

ويبدو ان نمو قلهات وتوسعها ارتبط بنشاط الطريق التجارى بين الهند ومصر عبر البحر الاحمر مما ساعد على ظهور عدد من الموانئ في جنوب الجزيرة العربية كقلهات وظفار وعدن ، ويسرد لنا ابن المجاور قصة تطورها بقوله ان اول من سكنها مجموعة من الصيادين يعيشون على ما يرد هم من البحر ثم استانس بهم اخرون فسكنوا الى جانبهم فكثروا وازدادوا الى ان حل بينهم شيخ من مشايخ العرب يدعى مالك بن فهم فتولى رئاستهم وسعى في عمارة البلد وترغيب المراكب في قصده ، حتى صارت مدينة ذات عظم ومهابة فدخلتها المراكب من كل فج وصوب وعمل الشيخ مالك عندها على تحصينها فادار عليها سورا من الحجر والجص سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) (١) .

وبسبب موقع قلهات المنيع على مدخل الخليج العربي الذى وصفه ماركوبولو انه لا يستطيع مركب الدخول الى الخليج العربي او الخروج منه الا باذن من صاحب قلهات (٢) ، سعى الحكام العرب في هرمز الى بسط نفوذهم عليها اثناء صراعهم مع حكام جزيرة قيس (٣) ، ويبدو ان خضوع قلهات لسيطرة حكام هرمز كان من اهم اسباب نجاحهم ، اذ تمكنوا من خلال موقع كل من قلهات وهرمز في مدخل الخليج العربي من احكام الحصار على جزيرة قيس وبالتالي احتلالها .

كما اصبحت قلهات وبحكم موقعها المنيع الحصن الحصين لحكام هرمز انفسهم اذ كانوا يلجأون اليها ويحتمون بها اثناء صراعهم مع حكام كرمان وفارس (٤) ، وهكذا غدت قلهات في القرن السابع الهجرى (فرضة تلك البلاد وامثل اعمال عمان عامرة اهلة) ، كما ذكر ابن سعيد في منتصف القرن السابع الهجرى بأن قلهات

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٧٢ ـ ٢٧٤ .
(٢) رحلات ماركوبولو ، ص ٣٤١ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٣٠٣ .
(٤) رحلات ماركوبولو ، ص٤٠ ك ـ ٣٤١ ، لانده ن ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

هي الان قاعدة بلاد عمان وهي اول مدينة عامرة تلقاك بعد مغادرة ظفار ، وقد وصف ماركوبولو الحركة التجارية فيها بقوله ان لها (مرفأ جيد تصل اليه من الهند كثير من السفن التجارية التي تبيع قطع القماش والتوابل بمكاسب بالغة وذلك لان الطلب عليها جسيم لتتزود المدن والقلاع الواقعة على مسافة من الشاطئ ثم تعود السفن فتحمل وسقات من الخيل يبيعونها في بلاد الهند باسعار مجزية) ، (١) (٢)

وقد استمر نشاط قلهات التجاري حتى احتلال البرتغاليين لها عام (٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) اذ عملوا على حرق المدينة وتدميرها ، ولا تزال اثار المدينة باقية حتى الان تتمثل في المباني والشوارع والميناء المليئة بالخزف الذى يرجع تاريخه الى فترة ازدهارها في القرن السابع الهجرى . (٣) (٤)

---

(١) ابن سعيد ، الجغرافيا ص ١٠٢ـ١٠٣ .
(٢) رحلات ماركوبولو ، ص ٣٤١ .
(٣) السالمي وعمان ، عمان تاريخ يتكلم ص٦٠ـ٦١ .
(٤) عمان وتاريخها البحرى ص٤٦ .

المبحث الثالث

الطرق التجارية

تحدثنا في المبحث السابق عن نمو مراكز تجارية جديدة في الخليج العربي في الوقت الذى تراجعت مراكز اخرى عن احتلال مركز الصدارة فيه ، وكان لهذه الظاهرة اثرها على مسار الطرق التجارية المارة بالمنطقة ، اذ ان الطرق التجارية وكما هو معروف تتجه نحو الاماكن الاكثر امنا واقل خطورة ، وهي في الوقت نفسه تصبح الشريان الذى يغذى تلك المراكز بالحياة وتساعد على نموها وازدهارها (١) .

ويمكن تقسيم الطرق الى قسمين طرق بحرية واخرى برية .

ا ـ الطرق التجارية البحرية

يبدأ الطريق التجارى البحرى في شمال الخليج العربي بمدينة الابلة التي تعتبر منفذ العراق الرئيسي على البحر اذ ترسو قربها السفن الكبيرة التي تستقبل المسافرين من داخل العراق (٢) ، ثم يتجه الطريق البحرى جنوبا سالكا مياه شط العرب فيمر ببعض المدن الصغيرة التي اقيمت جنوب مدينة الابلة وكانت تقام فيها اسواق نشطة لبيع وشراء البضائع منها المفتح والمذار وقد وصفهما الادريسي بانهما مدن عامرة بالاسواق والتجارات (٣) ، وكذلك مدينة الجعفرية على نهر السيب التي كانت تقام فيها سوق عظيمة تمون المنطقة باكملها (٤) ، ثم يسير الطريق باتجاه عبادان وهي عبارة عن جزيرة تقع (في وسط الدجلة وماء الفرات عند مصبهما في البحر) (٥) ، وفي عبادان تقف السفن لاخذ قسط من الراحة وشراء بعض الاغذية

---

(١) الموسوى ، المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٥٠ ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٠٦ .

(٣) الادريسي ، العراق من نزهة المشتاق ، ص ٢٣ .

(٤) ياقوت ، المشترك ، ص ٢٦٣ .

(٥) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص ٥٣ .

والاستعداد لدخول مياه البحر (١)، ومن عبادان ينقسم الطريق البحري الى قسمين الاول يحاذي سواحل شبه الجزيرة العربية باتجاه البحرين وعمان اذ تسلكه السفن القاصدة الى هناك (٢)، ويكون انطلاقها من منطقة المحرزة (٣) الواقعة في جنوب عبادان ، والاخر يحاذي السواحل الايرانية باتجاه جزيرة قيس وهرمز .

وقد نشط الطريق الاول المار بسواحل شبه الجزيرة العربية في هذه الحقبة اذ شجع الامراء العيونيون التجارة الى بلادهم فنشط طريق البصرة البحرين على البحر والذي احتلت تجارة اللؤلؤ فيه المرتبة الاولى (٤)، كما ان سيادة الامن في سواحل البحرين في ظل الامارة العيونية شجع الكثير من تجار البصرة على ارتياد المنطقة ، فيشير الادريسي الى ان تجار البصرة كانوا يرتادون سواحل البحرين وجزر قطر لجمع الزبول والاسمدة المراكمة من الطيور التي تقصد المنطقة ثم تنقل هذه الزبول الى البصرة فتباع باسعار عالية اذ تصرف في عمارات بساتين النخيل والكروم (٥).

ويواصل هذا الطريق سيره باتجاه عمان ، وعلى سواحلها الشمالية في منطقة جلفار (٦) يتم تفريغ حمولة السفن ثم تنقل برا الى ساحل خليج عمان ليعاد شحنها هناك (٧)، ويبدو ان عملية اعادة الشحن تتم في موضع يقال له حرثان على ساحل

---

(١) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٥١ ، ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص ٥٣ .
الادريسي ، العراق من نزهة المشتاق ، ص ٣١ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ١/ ٥٠٢ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤١٩ .

(٣) المحرزة : هي بليدة في طرف جزيرة عبادان تنطلق منها المراكب القاصدة سواحل الجزيرة العربية ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١/ ٥٠٢ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص ٤١٩ .

(٤) ديوان ابن المقرب ، ص ٤٠ ، ابن ابي عذيبة ، المرجع السابق ، ورقة ٢٢٥ .

(٥) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٦ .

(٦) جلفار : وهي منطقة راس الخيمة الحالية وكان هذا الاسم قديما يطلق على جميع الساحل الشمالي الممتد من السبخة في دولة الامارات العربية حتى راس مسندم ،
Wilkinson, Al-bahrain and Omam ,op cit ,p.250.

(٧) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٦ .

عمان الشمالي اذ اشار البكري الى ان اول موضع يلقاك على ساحل عمان بعد اجتياز الدردور هو حرثان (١) ، وتقام هذه العملية للتخفيف من حمولة السفن التي تمر عند اجتيازها لمضيق هرمز بمجموعة من التيارات البحرية التي اسماها العرب الدردور والذي يدور الماء فيه كالرحى ويقع قرب جزيرة ابن كاوان ويصعب على السفن اجتيازه وهي محملة بالبضائع (٢) .

ويبدو ان نشاط طريق البصرة - البحرين - عمان وتحمله تكاليف تفريغ البضائع في جلفار واعادة شحنه ثانية على ساحل خليج عمان يرجع الى عاملين : اولهما الاستفادة من اسواق البحرين التي نشطت في ظل الامارة العيونية ، وثانيهما تحاشي المرور بجزيرة قيس واسطولها الذي يعترض السفن التجارية هناك (٣) .

ثم يواصل هذا الطريق سيره بمحاذاة السواحل العمانية ليمر بكل من صحار وقلهات اذ انقطع السفر من صحار في هذه الحقبة (٤) ، وتحول النشاط التجاري على ساحل عمان الى الجنوب نحو قلهات (٥) ، ومنها تتفرع الطرق المتجه نحو المحيط الهندي .

اما الطريق الاخر للخليج العربي فهو الذي يحاذي سواحله الشرقية ، والذي ازدهر في هذه الحقبة بسبب تصاعد الفعاليات التجارية عبر الخليج العربي منذ القرن الرابع الهجري فصاعدا (٦) ، وقد سلك هذا الطريق عدد من الرحالة منهم ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل (٧) وياقوت الحموي (٨) ، فبعد اجتياز عبادان

---

(١) البكري ، جزيرة العرب ، ص ٤٦ .
(٢) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٦-٤٧ ، ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١١٨ .
(٣) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٥ .
(٤) ن . م ، ص ٤٥ .
(٥) Bathurst, op, cit, p. 93.
(٦) العنق التاريخي ، المرجع السابق ، ص ٩٩ .
(٧) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٥٢ وما بعدها .
(٨) ياقوت ، معجم البلدان ، ٢/ ٣٨٧ .

وعلى مسافة يوم وليلة تصل الى جزيرة خارك وهي في وسط البحر بها (زروع وارز كثير وكروم ونخيل ... وفي هذه الجزيرة مغاص اللؤلؤ وهو المعروف بالخاركي) (١)، (٢)

ويقابل هذه الجزيرة في البر مدينة مهروبان وهي مدينة كبيرة تحصل فيها المكوس (٣) اذ انها فرضة ارجان ، ثم يمر الطريق بعدد من مدن الساحل الشرقي منهـا سينيز (٤) وبوشهر (٥) وسيراف ، الا ان هذه المراكز لم تكن ذات شأن كبير في هـذه الحقبة اذ ان المراكب كانت تقصد جزيرة قيس (٦) التي وصفها ياقوت الحموى بأنهـا اعمر موضع في الخليج العربي في ايامه (٧) ، ثم يتجه الطريق نحو هرمز عندها يتفرع الى فرعين يتجه الاول منهما الى سواحل عمان حيث يصل الى قلهات التـي اصبحت في هذه الحقبة الميناء الاول الذى يستقبل السفن الذاهبة او القادمة من والى المحيط الهندى (٨) ، والثاني يسير موازيا للساحل مقابل مكران واشهـر مدنها الساحلية انذاك هي التيز (٦) ، اذ اصبحت من المدن التجارية المهمـة المشرفة على نهايات الخليج العربي الجنوبية ، فقد اشار ناسخ كتاب ابن حوقل الى انه وصل الى مدينة التيز في سنة (٥٣٦هـ/١١٤٤م) فوجد (اهلها ذو مروءة ظاهرة ورياسة كاملة وكان بها عدد من التجار ذوى اليسار ومن جملتهـم

---

(١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢١٢ .

(٢) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص ١٥٢ .

(٣) لي سترنج ، المرجع السابق ص ٣٠٩ .

(٤) سينيز : ذكرها ياقوت بأنها بلدة على ساحل البحر اقرب الى البصرة من سيراف وهي الان خراب ، معجم البلدان ، ٣ / ٢٢١ .

(٥) بوشهر : اشار اليها ياقوت بانها من المراكز الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي دون ان يعطي اية اهمية لها ، معجم البلدان ، ١ / ٥٠٣ .

(٦) ياقوت ، ن ٠ م ، ١ / ٥١٣ .

(٧) ن ٠ م ، ١ / ٥١٣ .

(٨) ياقوت ، ن ٠ م ، ٤ / ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، رحلة ماركوبولو ، ص ٣٤١ ، رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ١ / ٥٠٣ . وقد وصف التيز بأنها (بلد على ساحل بلد مكران او السند وفي قبالتها من الغرب ارض عمان) ، ١ / ٦٧ .

رجل تعرف بحسن بن عباس له مراكب تسافر الى اقصى بلاد الهند والصين)[(١)] ، كما اكد الادريسي ان التيز من المدن المشهورة وان صلاتها التجارية مستمرة مع عمان وجزيرة قيس[(٢)].

مما مر يتبين ان هناك طريقين رئيسيين تسلكهما السفن في الخليج العربي احدهما يبدأ من الابلة ويأخذ السواحل العربية وينتهي عند قلهات في اقصى الجنوب الغربي من الخليج العربي ، والاخر يبدأ من مدينة الابلة ايضا ولكنه يسير بمحاذاة السواحل الشرقية وينتهي عند مدينة التيز في اقصى الجنوب الشرقي للخليج العربي ، وتمثل كل من التيز وقلهات المحطات النهائية للرحلات الخارجة من الخليج العربي نحو المحيط الهندى .

ويتفرع من الخليج العربي عدد من الطرق التجارية التي كانت تسلكها السفن المحملة بالبضائع اولها الطريق الذى يربط الخليج العربي بالهند ، فقد انتشرت المدن العربية على طول الساحل الغربي للهند[(٣)] واقام عرب الخليج معهم علاقات تجارية متينة مما جعل السفر بين موانئ الخليج العربي والهند مألوفا ، وقد كان الطريق الى الهند يأخذ عدة اتجاهات منها ما يتابع سيره بعد اجتياز هرمز بموازاة ساحل مكران ثم يدخل بلاد السند ثم الهند ، وقد جاء وصف هذا الطريق مفصلا عند الادريسي الذى عاش في النصف الاول من القرن السادس الهجرى فذكر عددا من المراكز التجارية الواقعة على هذا الطريق منها بعد مغادرة مدينة التيز تصل الى الديبل[(٤)] ، وقد وصفها بانها كثيرة الناس جدبة الارض قليلة الخصب وان سبب السكنى فيها لانها فرضة بلاد السند وذكر ان (مراكب العمانيين

---

(١) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص٥٤ـ٥٥ .
(٢) الادريسي ، وصف الهند ، ص٣٧ .
(٣) السامر ، الاصول التاريخية ، ص ١٢ .
(٤) الديبل : هي مدينة كراتشي الباكستانية في منطقة السند ، السامر ، المرجع السابق ، ص١٤٧ .

تقصدها بأمتعتها وبضائعها وقد ترد عليها مراكب الصين والهند بالثياب والامتاع الصينية والافاويه الهندية فيشترون من ذلك جزافا لانهم اهل يسار واموال كثيرة يمسكونها حتى اذا سارت المراكب عنهم وخلت السلع اخرجوا امتعتهم وباعوا وسافروا الى البلاد)(١) ، وبعد الديبل تأتي مدينة نيرون وهي وسط الطريق الى المنصورة وذكر انها مدينة ليست بالكبيرة ولكن اهلها كانوا مياسير(٢) ، اما المنصورة فهي مدينة كبيرة فيها (بشر كثير وتجار مياسير واموال وماشية وزروع ... والتجار بها كثيرون والاسواق قائمة والارزاق دارة وزيهم ولباس طائفتهم زى العراقيين)(٣) ،

ومن المدن المهمة الواقعة على ساحل الهند مدينة كنباية وقد وصفها بانها مدينة حسنة بها (جميع بضائع وتجارات من كل الافاق يخرج منها الى كل الجهات وهي ايضا على خور تدخله المراكب وترسي به)(٤) ، ثم مدينة تانة وتقع على خور كبير تدخله المراكب (وارضها تنبت القنا والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا منها يحمل الى سائر البلاد من المشارق والمغارب)(٥) .

اما الطريق الاخر المؤدي الى الهند فهو الذى يبدأ من ساحل عمان باتجاه ساحل مليبار في الجنوب الغربي من الهند ومن هذا الطريق تواصل السفن سيرها بمحاذاة جزيرة سرنديب (سيلان الحالية) باتجاه الصين(٦) ، وتأتي اهمية هذا الطريق لان سواحل جنوب الهند وجزيرة سرنديب اصبحت في هذه الحقبة ملتقى مراكب مختلف الامم منها مراكب اهل الصين والزابج الذين كانوا

---

(١) الادريسي ، وصف الهند ، ص ٢٨ .
(٢) ن . م ، ص ٢٩ .
(٣) ن . م ، ص ٣٠ ـ ٣٢ .
(٤) ن . م ، ص ٥٠ ـ ٥١ .
(٥) ن . م ، ص ٦٣ .
(٦) Bathurst ,op,cit.p.92.
(٧) الادريسي ، ن . م ، ص ١٠ .

يأتون بالحديد (١) وكذلك مراكب اهل عمان (٢) ومرباط (٣) والبحرين وهنا تتم عملية التبادل التجاري اذ يستورد اهل الخليج العربي من بلاد الهند وجزيرة سرنديب الحرير والياقوت والماس والعطور والاخشاب (٤) وخصوصا خشب النارجيل الذي يستخدم منه في صناعة السفن (٥) ، وكذلك خشب الساج الذي يصدر الى العراق عبر موانئ الخليج العربي (٦) .

وقد ولع تجار الخليج العربي باستيراد الكثير من اللطائف والنوادر التي ترد من الهند وجزائرها وكانوا يقصدون بها ابواب الخلفاء والسلاطين والامراء على شكل هدايا (٧) ، فيذكر القزويني ان جزيرة قيس كانت مرفأ مراكب الهند ويرتادها (كل اعجوبة وقعت في بلاد الهند) (٨) ، وكان يرتاد هرمز (التجار من كل ارجاء الهند وهم يجلبون التوابل والعقاقير والاحجار الكريمة واللؤلؤ ومنسوجات الذهب كما يجلبون انيابا الفيلة) (٩) كما يقصد تجار الهند ايضا ميناء قلهات على ساحل عمان وهم يحملون القماش والتوابل حيث كانت تباع هناك باسعار عالية ثم يعودون بالخيول التي تباع في الهند باسعار مجزية (١٠) .

---

(١) الادريسي ، وصف الهند ، ص ١٠ .
(٢) ن . م ، ص ١٢ .
(٣) رحلة بنيامين ، ص ١٦٤ .
(٤) الادريسي ، ن . م ، ص ١٠ . رحلة بنيامين ، ص ١٦٤ .
(٥) الادريسي ، ن . م ، ص ١٢ .
(٦) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١١٦ .
(٧) ابن الجوزي ، المنتظم ، ١٠ / ٤٣ ، ٢٣٨ . ابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ١٩ . المروزي ، شرف الزمان طاهر ، ابواب في الصين والترك والهند (لندن ١٩٤٢ م) ص ٥١ .
(٨) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٥٤٣ .
(٩) رحلات ماركوبولو ، ص ٥٥ .
(١٠) ن . م ، ص ٣٤٠ .

ومن هنا يتبين لنا مدى التطور في العلاقات التجارية بين منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية والهند وذلك بسبب الارباح الكبيرة الناتجة عن تلك التجارة، فاخذ يرتاد سواحل الهند اعداد كبيرة من التجار العرب (١)، فقد اشار جوايتاين الى ان في وثائق الجنيزة (٢) ذكرا للمئات من الشخصيات المسلمة التي كانت تجوب المنطقة بين ساحل الهند وبلاد العرب، وفي مصادرنا ذكر لعدد من الشخصيات التي كانت تتردد في تجارتها مع ساحل بلاد الهند وقد ورد ذكرها نتيجة قيامها بنشاطات اخرى اضافة الى التجارة كاشتغالها مثلا في علوم الدين او اللغة والاداب او ان يكون سفيرا او ممثلا لجهة معينة، ولهذا لابد ان يكون هناك اعداد كبيرة جدا لم يرد ذكرهم في المصادر، ومن الذين ورد ذكرهم مثلا الشيخ الفقيه ابو اسحق ابراهيم الشافعي الذي كان يحمل لقب الجلال لكثرة سفراته الى الهند والمتوفى عام (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) (٣)، وابو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني اللغوي الذي كان يتردد الى الهند في سفارات له بين الخلافة والحكام الهنود (٤)، وابن المجاور الذي يشير الى انه سافر الى بلاد الهند ودخل مدينة الديبول سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م (٥).

كما تميزت هذه الحقبة بنشاط الطريق التجاري الموصل الى الصين، ويمكن القول ان حقبة حكم اسرة سونغ في الصين (٣٥٥ـ٦٧٨هـ/٩٦٥ـ١٢٧٩م) شهدت

---

(١) رحلات ماركوبولو، ص٣٤٠.

(٢) وثائق الجنيزة : هي عبارة عن رسائل متبادلة بين التجار من مختلف جنسياتهم في اجزاء مختلفة من العالم الاسلامي بشأن الاعمال التجارية وقد وجدت بعض هذه الرسائل طريقها الى جنيزة القاهرة حفظا لحقوق التجار وحماية لاسم الله من التلف. انظر عن وثائق الجنيزة : جوايتاين، دراسات، ص٢٥١ وما بعدها. حسنين، وثائق الجنيزة، مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية، ٢/ ٣١. لبيد ابراهيم، مكانة الخليج العربي التجارية ومصادر دراستها خلال العصور الاسلامية الوسطى، المؤرخ العربي عدد (٤) سنة ١٩٨٤م، ص٢٥.

(٣) المنذري، التكملة، ٥/ ٢٤٧ـ٢٤٨.

(٤) الملك الاشرف، العسجد المسبوك، ص٤٦٥.

(٥) ابن المجاور، المرجع السابق، ص٢٦٧.

تطور العلاقات التجارية والرحلات البحرية الى الصين (١)، فمنذ هذه الحقبة كان هناك طريقان ، اولهما الطريق التقليدي الذي ورد في المصادر منذ القرن الثالث الهجري والذي يبدأ من البصرة وسيراف ثم يمر بسواحل عمان وتكون مسقط اخر نقطة فيها ثم يتوجه الطريق مباشرة الى كولم ملي في جنوب غرب الهند ، وهو عبارة عن ميناء تحويلي تتجمع فيه البضائع القادمة من الصين وبلاد العرب ، ومن كولم ملي تخطف المراكب الى بحر هركند (٢) ثم الى موضع يقال له لنجبالوس (٣) ثم الى كله (٤) وهي مملكة الزابج ومنها تسير الى كندرنج (٥) ثم الى بلاد الصنف (٦) الذي يؤتى منه بالعود الصنفي ثم تخطف المراكب الى بحر صنجي (٧) الذي تقع فيه ابواب الصين وهي عبارة عن جبال تسير فيها المراكب سبعة ايام فاذا جازتها صارت الى بلاد الصين في مدينة تسمى خانقو (٨)، وزمن الرحلة عبر هذا الطريق تزيد على السنة والنصف (٩).

اما الطريق الثاني فهو طريق بحري جديد عبر المحيط الهندي مباشرة ، وهو يبدأ من كانتون في الصين والرحلة فيه في شهر نوفمبر وبعد اربعين يوما يصل الى

---

(١) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص٢٦ .

(٢) بحر هركند وهو فيما بين جزيرة سرنديب وخليج البنغال ، العسكري ، المرجع السابق ، ص١٦٥ .

(٣) لنجبالوس وهي جزيرة لنك مقابل ساحل سيام ، حوراني ، المرجع السابق ، ص٢٢٢ .

(٤) كله وهي في منتصف الطريق بين الصين وعمان وهي بلاد الملايا وتعرف الان ملقا ، السامر ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٥) كندرنج : وهو خليج سيام ، العسكري ، المرجع السابق ، ص ١٩٥ .

(٦) بلاد الصنف : اطلق العرب هذه الكلمة على بلاد الهند الصينية ، السامر ، المرجع السابق ، ص١٤٥ .

(٧) بحر صنجي وهو بحر الصين ، السامر ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٨) السيرافي ، اخبار الصين ، ص ٧-٩ . وخانقو هي مدينة كانتون الحالية ، السامر ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٩) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

سومطرة ثم يبدأون الرحلة الطويلة التي تستغرق ستين يوما يركبون الرياح الموسمية الجافة في بداية السنة التالية ويتم بواسطتها عبور المحيط الهندى ويصلون الى ظفار ومرانىء جنوب الجزيرة العربية ، وبعد حصولهم على السلع هناك يبحرون عائدين في فترة الرياح الموسمية الرطبة مباشرة ويصلون الى الصين في شهر اغسطس او سبتمبر ، وهكذا فأن الرحلة عبر هذا الطريق المباشر قد تستغرق اقل من عام ، وكانت هذه الرحلات تتم بواسطة السفن الصينية التي تميزت في هذه الحقبة بسعة حجمها اذ تسع ما بين خمسمائة الى ستمائة شخص وقد وصفها كاتب صيني عاش في عهد اسرة سونج (٥٥ ٦ ـ ٦٧٨هـ/ ٩٦٥ ـ ١٢٧٦م) بأنها تحتوى على قاعدة كبيرة وان شراعها كانه سحابة هابطة من السماء وطول دفتها عشرة امتار والمركب يستطيع حمل طعام يكفي ركابه لمدة عام كما انها مزودة بدفة للرفع واخرى للتوازن للمحافظة على ثبات السفينة وضمان سلامتها (١) ، وكانت القوة المحركة للسفينة عند ركود الرياح مجاذيف طويلة تبلغ العشرين مجذافا يعمل على كل منها ما يقرب من ثلاثين رجلا (٢) .

وقد ايد الجغرافي العربي ابن سعيد المغربي في القرن السابع الهجرى ما ورد في المصادر الصينية عن حجم سفنهم ورحلاتهم المباشرة الى بحر العرب بقوله (واسم المركب عندهم الزرو وهو كبير يكون فيه بيت الانسان وتحته مخزن للبضائع ... وقد صارت مراكبهم في هذا العصر تصل الى عدن (٣)) ، ولكن هذا لا يعني ان السفن العربية قد انقطعت من السفر الى الصين ، فقد اشار الكاتب الصيني تشاوجوكو (Chau Ju-Kua) الذى عاش في القرن السادس الهجرى/

---

(١) ذاتي هو ، المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٢) ن . م ، ص ٢٧ ـ ٢٩ .

(٣) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٢ .

الثاني عشر الميلادي في كتابه التذكرة عن البلاد الاجنبية (١) الى وجود المراكب العربية في سواحل الصين (٢) .

وبهذا وان استخدام السفن الصينية لهذا الطريق في هذه الحقبة كان لتحاشي الضرائب الكثيرة التي تفرض على السفن عند مرورها بعشرات الموانئ على طول الطريق من الصين الى بلاد العرب ، كما ان نشاط اسطول جزيرة قيس وتعرضه للسفن في سواحل المحيط الهندي ربما كان من الاسباب التي دفعت الصينيين الى السفر في عرض المحيط الهندي لتحاشي الاصطدام به ، اضافة الى قصر هذا الطريق وسرعته والارباح الكبيرة التي يمكن جنيها من خلال العودة ببضائع بلاد العرب ذات الاثمان المرتفعة هناك (٣) .

اما اهم السلع التي كان التجار العرب والصينيون يتاجرون بها الى الصين فتأتي على راسها التوابل ، وكانت هذه السلعة في عهد اسرة سونج احتكارا حكوميا اذ تتولى الحكومة عملية شرائها من التجار ثم توزيعها ، وقد افادت سجلات التجارة الخارجية في عام (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) ان كمية التوابل التي وردت الى كانتون في تلك السنة بلغت (٣٤٨,٦٧٣ جينا كل كيلو غرام واحد يساوي (٢) جين — ولهذا اطلق الصينيون على الطريق التجاري البحري الذي يربط

---

(١) كان تشاو جوكوا عضو الاسرة الملكية مديرا للملاحة التجارية في ميناء كوانجو الصيني في عهد اسرة سونج وقد وضع كتابه هذا التذكرة عن الشعوب الاجنبية او سجلات الشعوب الاجنبية على اساس حديث التجار وخاصة العرب وهذا الكتاب يعد مهما في توضيح العلاقة بين العرب والصين في هذه الحقبة وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانكليزية وقام الاستاذ نقولا زياده بترجمة ما يتعلق منه بجزيرة العرب الى اللغة العربية في ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، كما اعتمده الباحث الصيني ذانج هو في بحثه الموسوم (المعاملات بين العرب والصين في العصور الوسطى) المقدم الى ندوة الدراسات العمانية التي عقدت في مسقط عام ١٩٧٥م .

(٢) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص ١٠٣٢ الصيني ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) اشار الكاتب الصيني تشاو جوكوا ان الضرائب التي حصلت من التجار في ثلاث سنوات من عام (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) بلغت ٥٠٠٠٠٠ مثقالا من الذهب ، الصيني ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

بلاد العرب بالصين بطريق التوابل .(١)

ويروي المروزي الذي عاش في بداية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ان التجار العرب المسلمين يحملون معهم الى الصين مختلف البضائع منها انياب الفيلة والفلفل والزعفران والفولاذ والجوز وجميع الفواكه اليابسة كالتمر والزبيب ،كما اورد تشاو جو كوا اسماء مجموعة اخرى من البضائع التي كان التجار العرب يحملونها الى الصين منها المر والعاج والعنبر وقرن وحيد القرن اذ كانوا يأتون بها من افريقيا وتنقل الى مرباط في جنوب الجزيرة العربية ومنها الى الصين(٢)، كما ذكر ان التجار العرب كانوا يجمعون العنبر من بحر العرب والزنج ويأتون به الى موانئ الجزيرة العربية ثم ينقل الى الصين ، واشار ايضا الى ان الصين كانت تستورد الزجاج البغدادي الذي يعد عندهم اجود من غيره من الموانئ العربية الى الصين، ومن المواد الاساسية التي تصدر الى الصين ايضا اللبان (وهو البخور من الصنف الجيد) واجوده ما كان يأتي من مرباط والشحر وظفار .(٣)

اما المواد التي كانت تأتي من الصين الى بلاد العرب انذاك فيذكر المروزي منها الثياب الشفافة والكواغد الحسنة التي يكون احد وجهيها ابيض والاخر اصفر والحرير الصيني الجيد والمسك(٤)، ومن المواد الاخرى التي تدخل

---

(١) ذانج هو ،المرجع السابق ،ص ٣٣ .
(٢) المروزي ،المرجع السابق ،ص ١٠ .
(٣) زيادة ،المرجع السابق ،ص ٣٧ .
(٤) المروزي ، المرجع السابق ، ص٥ ، ١٠، ١٧ .

ضمن صادرات الصين الى بلاد العرب هي الخزف الصيني والديباج والعـود والدارصيني والبرادين والخصيان والاقفال والراوند (١) .

وبسبب توسع العلاقات التجارية بين العرب والصين في هذه الحقبة فقـد زادت الاتصالات الرسمية وشبه الرسمية بين الجانبين ، وتفيد احدى الاحصائيات ان العرب أوفدوا مبعوثين الى الصين بقدر (٤٣) مرة على مدار (٢٨٤) عـاما بين عام (١٢ك ـ ٦٠٤هـ/ ٦٢٤ ـ ١٢٠٥م) اى بمعدل مرة لكل ست سنـوات تقريبا (٢) ، ويعتقد ان اغلب هذه الوفود كانت تجارية ارسلت من موانئ شبه الجزيرة العربية (٣) .

كما تكونت جاليات عربية في الموانئ الصينية التي تتاجر مع العرب وخصوصـا كانتون وجوانشو وهانجشو ، وتحدثت المصادر الصينية عن عدد من التجار العرب الذين جاءوا من موانئ الخليج العربي الى الصين وكانوا على درجة كبيـرة من الثراء منهم على سبيل المثال شخص يدعى الشيخ عبد الله جاء الى الصيـن من صحار في القرن الخامس الهجرى وقد وصفته احدى المصادر الصينية انـه كان مندوبا عن العرب (٤) ، كما اشار المؤلف الصيني سوشي (٤١٨ ـ ٤٩٥هـ/ ١٠٢٧ ـ ١١٠١م) ان الشيخ عبد الله كان رئيس حي الاجانب في كانتون وقد عينه الامبراطور الصيني ضابطا للهجرة (٥) ، وكان الشيخ عبد الله واسع الثراء اذ تقدر ثروته بالملايين وحسبما جاء في كتاب تاريخ اسرة سونج ان الشيخ عبد الله اقتنى ترميم سـور

---

(١) السامر ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص ٣٠ . انظر ايضا عن السفارات العربية الى الصين السامر ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ ـ ١٢٦ .

(٣) ن . م ، ص ٣٠ .

(٤) ن . م ، ص ٣٦ (نقلا عن كتاب تاريخ النظم الدستورية لاسرة سونج) .

(٥) ن . م ، ص ٣٦ .

مدينة كانتون على نفقته ، وقد مكث هذا التاجر العربي في الصين عشرات السنين
وعندما قرر العودة الى بلده عمان في عام (٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) اهداه الامبراطور
الصيني جوادا ابيض وسرجا .(١)

كما تحدثت المصادر عن تاجر عربي اخر يدعى بو شو ـ جنج عاش في مدينة
جوانشو في عهد اسرة سونج وقد كان هذا التاجر نشطا في حقل السياسة اذ شغل
منصب المسؤول عن مصالح السفن الاجنبية في مدينة جوانشو لمدة ثلاثين عاما
واصبح احفاده ضباطا في عهد هذه الاسرة ،(٢) واشارت ايضا الى تاجر عربي جاء من
سيراف وكان غنيا جدا حيث قام ببناء مقبرة للمسلمين في ضواحي مدينة جوانشو ،
وهذا دليل على العدد الكبير من التجار المسلمين هناك مما دعت الحاجة الى
اقامة مقبرة خاصة بهم ،(٣) وروى الغرناطي انه اجتمع بمصر في سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م)
برجل يدعى ابو العباس الحجازي كان قد اقام بالصين اربعين سنة ،(٤) كما ان
لحكايات المسافرين الى الصين صدى واسعا في المصادر العربية في هذه الحقبة .(٥)

ومن هنا يمكن القول ان العلاقات التجارية العربية الصينية شهدت تطورا
كبيرا انذاك ، وشهدت الطرق التجارية بين الصين والخليج العربي والجزيرة
العربية حركة دائبة لكل من السفن العربية والصينية على حد سواء وهذا ادى الى
زيادة معلومات الصينيين عن المنطقة العربية وموانئها ومنتجاتها مما دفع
الكتاب الصينيين الى الاهتمام بها وتسجيلها لما لها من اهمية في الاقتصاد

---

(١) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص٣٦ .

(٢) ن . م ، ص ٣٩ .
(٣) ن . م ، ص ٣٨ . الصيني ، المرجع السابق ، ص١٦٦ .
(٤) الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص١٠٦ .
(٥) انظر على سبيل المثال : المروزي ، المرجع السابق ، ص ٣ ، ٤ ، ١٠ ، ١٤ .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ ٤٤٤ . التيفاشي ، احمد بن يوسف ، ازهار
الافكار في جواهر الاحجار (مخطوطة في المكتبة المركزية جامعة بغداد برقم
٤٥) ورقة (٣١ ، ٥٥ .

الصيني انذاك ،كما ان العثور على عدد كبير من قطع النقود الصينية التي يرجع (١) تاريخها الى عهد اسرة سونج وبقايا الاواني الخزفية على السواحل الممتدة من البصرة الى عدن ثم في ساحل افريقيا (٢) ، دليل على تطور هذه العلاقات في هذه الحقبة ، وبعد وان اهم نتيجة تمخضت عن تطور العلاقات العربية الصينية في هذه الحقبة هي اكتشاف الطريق الجديد المباشر بين الصين وجنوب الجزيرة العربية عبر المحيط الهندى والذى اشارت اليه كل من المصادر العربية والصينية (٣) .

كما ازدهرت ايضا الطرق التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا ، وكانت هذه الطرق تسير في اتجاهين ، الاول الطريق القديم الذى يدور حول سواحل شبه الجزيرة العربية وقد ذكره ابن المجاور وعد اهم موانئه اذ بعد مغادرة قلهات في عمان تصادف اعمر موضعين في جنوب الجزيرة العربية وهما المنصورة في ظفار (٤) ثم عدن (٥) ومنها يبحر باتجاه الساحل الافريقي .

اما الطريق الاخر فهو الذى يربط عمان مباشرة بالساحل الافريقي ، اذ اشار ابن سعيد الى ان مراكب مقديشو هذا الوقت (اى منتصف القرن السابع الهجرى) اخذت تصل الى عمان مباشرة (٦) .

والواقع ان اوفى وصف لطريق الساحل الافريقي وصل الينا في هذه الحقبة عن طريق ابن سعيد الذى استقى مادته من رحالة عربي اخر يدعى ابن فاطمة ،

---

(١) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص٢٦ وما بعدها . زيادة ، المرجع السابق ، ص٣٣ وما بعدها .

(٢) ذانج هو ن . م ، ص٣٢ .
Ingrams , Zanzibar , (London, 1967.)pp.89-09.

(٣) المروزى ، المرجع السابق ، ص١ ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٢٢ . ذانج هو ، المرجع السابق ، ص٣١ .

(٤) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٦٥ .

(٥) ن . م ، ص١١٧ .

(٦) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص ١٠٢ .

ويرجح البعض انه عاش في بداية القرن السابع الهجري [١] ، واول مدن هذا الساحل هي مدينة قرفونة التي [٢] تقع على ركن البحر الذي يقع فيه جبل يهتدي اليه المسافرون الى هناك ، ثم يجوز الطريق الى منطقة على البحر تعرف مركة [٣] ويصفها ابن سعيد [٤] انها تشتمل على خمسين قرية واهلها مسلمون ، وبعدها تأتي مدينة مقديشو التي يصفها ابن سعيد بانها (مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع والمترددة الذكر على السن المسافرين .. وهي على بحر الهند ومرساها غير مأمون الانواء [٥])

وقد ذكر مقديشو ايضا القزويني فوصفها بأنها مدينة (في اول بلاد الزنج جنوبي اليمن على ساحل البحر واهلها عرباء لا سلطان لهم ويدير امرهم المتقدمون على الاصلاح ... يحمل منها الصندل والابنوس والعنبر والعاج الى غيرها من البلاد) [٦].

ويقول ابن سعيد ان اشهر المدن بعد مقديشو هي ملندة [٧] التي تحتوى على عمائر كثيرة للزنج وفي شرقيها معدن الحديد الذي يصدر منها الى مختلف المناطق ، وقد ذكر الادريسي ملندة [٨] فقال انها على ضفة البحر على خور ماء عذب وهي مدينة كبيرة وعندهم معدن الحديد يحتفرونه وهو جل مكسبهم وتجارتهم [٩].

---

(١) كراتشكوفسكي ، المرجع السابق ، ١/٣٥٩ .
(٢) قرفونة : يرجح البعض انها المنطقة الواقعة الان في القرن الافريقي ، ابن سعيد ، المرجع السابق ، هامش ٩ ص ٢١٢ .
(٣) ابن سعيد ، ن . م ، ص ٨١ .
(٤) مركة : وهي احدى مدن الساحل الواقعة شمال مقديشو ، ن . م ، هامش ١١ ص ٢١٢ .
(٥) ن . م ، ص ٨٢ .

(٦) القزويني ، اثار البلاد ، ص ٦٢ .
(٧) ملندة : ذكرها الكاتب البرتغالي بربوسا بانها (مدينة جميلة على الشاطئ يسكنها العرب وعليها امير منهم) ، شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص ٦٧ ، ٦٩ .
(٨) ابن سعيد ، ن . م ، ٨٢ .
(٩) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١/٥٦ .

ويضيف ايضا ان جميع بلاد الزنج تجاراتهم الحديد وجلود النمور الزنجيـــة وهم ينقلونها الى الساحل فيبيعونها هناك وليس لهم مراكب يسافرون فيها وانما تأتيهم المراكب من عمان تتولى نقل بضائعهم (١) ، وفي حدود اقليم الزنج هذا تقع قبة ازين (التي هي كفة الميزان في الارض) (٢) ، وبعد اجتياز خط الاستواء (٣) ينتقل ابن سعيد الى وصف بلاد سفالة الزنج ويذكر ان اول ما يلقاك فيها قاعدتهــا صيونة (٤) وفيها ملكهم وهم يعبدون الاصنام واكثر معاشهم من الذهب والحديـــد (٥) ، ثم يأتي الطريق الى جزيرة القمر الطويلة (مدغشقر) (٦) واشهر مدنها ليرانة (٧) ، وقـد ذكر ابن فاطمة انه دخلها (وانها للمسلمين كمقديشو واهلها مجتمعون مـــن الاقطار وهي بلد حط واقلاع) (٨) ، وهذا يعني ان المسلمين قد وصلوا الـــى مدغشقر قبل القرن السابع الهجرى واستقروا فيها واقاموا علاقات تجارية وطيـدة بينها وبين سواحل جنوب الجزيرة والخليج العربي اذ اشار ابن سعيد الـــى ان اهالي الجزيرة (اى مدغشقر) لهم تجارات مع بلاد اليمن والعراق، وذكـــر ان في الجزيرة الموز والسكر والنارجيل الذى يصنعون منه حبال مراكبهم والواحها .

---

(١) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ١/٦١ .

(٢) قبة ازين : هي النقطة التي يلتقي عندها خط الاستواء بخط الطول الرئيسي الذى يعتبر مركز العالم عند الهنود، ابن سعيد ، ن ٠ م ، هامش ١ ص ٢١٨ .

(٣) ن ٠ م ، ص ٨٣ .

(٤) صيونة : يعتقد انها مدينة شيونة التي ذكرها الكاتب البرتغالي بربوسا وجعلها بين ملندة ومبمسة ، ن ٠ م ، هامش ٢ ص ٢١٨ . وقد جاء ذكر صيونة عند الادريسي فأشار الى انها مدينة متوسطة القدر واهلها من الزنوج والهنود وهي على ضفة البحر ، نزهة المشتاق ، ١/٦٨ .

(٥) ابن سعيد ، ن ٠ م ، ص ٨٣ .

(٦) الى هذا الحد يضطرب الكلام عند الادريسي فيشير انه يتصل بارض سفالة الزنج ارض الواقواق ويصفها بانها قليلة السكان ضيقة العيش وليس عندهم تجارة ولا مراكب ، نزهة المشتاق ، ١/٨٠ . وهذا عكس ما ورد عند ابن سعيد الذى جاء وصفه اكثر دقة ووضوحا .

(٧) ليرانه : هي احدى مدن مدغشقر الواقعة على سواحلها الشمالية الغربية دخلها البرتغاليون عام ١٥٠٦م وذكروا انها مأهولة بالعرب ، ابن سعيد ، ن ٠ م ، هامش ٥ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٨) ن ٠ م ، ص ٨٤ .

وجدير بالذكر هنا ان ابن سعيد هو اول من اشار الى سكنى الهنود لجزيرة القمر (مدغشقر) فقد وصف اهلها انهم (كأهل الهند والصين في عاداتهم وملابسهم)(١) .

ومعلومات ابن سعيد عن المناطق الواقعة جنوب جزيرة القمر (مدغشقر) تبدو مضطربة اذ اشار الى انه بعد اجتياز الجزيرة يأتي ما اسماه بجبل الندامة الذى يصل طرفه الجنوبي الى اخر العمارة ويذكر ان المركب اذا زل عن بحر الهند ودخل الى هذه المنطقة ندم على ما فرط فاما ان ينكسر واما ان يدخل خلف هذا الجبل فلا يعلم له خبر(٢) ، وهكذا فابن سعيد لم يواصل وصف الطريق الذى يقع الى الجنوب من مدغشقر اذ تنقطع معلوماته عند هذا الحد بقوله ان السفر لايكون جنوب الجزيرة وانما في شماليها شرقا وغربا(٣) ، ولكن الخلط الذى وقع فيه ابن سعيد هو اعتقاده بأن جزيرة مدغشقر تمتد شرقا حتى تصل الى قرب جزيرة سيلان (سرنديب) وان القارة الافريقية بأجمعها تنحرف نحو الشرق(٤) ، ويبدو ان ذلك راجع الى قلة معلومات ابن سعيد عن المنطقة الممتدة الى جنوب مدغشقر اولا ، واعتماده على فكرة خاطئة لبطلميوس(٥) تقول ان القارة الافريقية تتجه الى الشرق بدلا من ان تنحرف غربا(٦) .

ان وصف ابن سعيد الدقيق للساحل الافريقي الشرقي حتى مدغشقر يعكس عمق العلاقة التي اقامها العرب مع هذه المناطق ، فمع مطلع القرن السابع الهجرى

---

(١) ابن سعيد ، المرجع السابق ، ص ٨٧ـ٨٨ .
(٢) ن . م ، ص ٨٥ .
(٣) ن . م ، ص ٨٨ .
(٤) ن . م ، ص ٨٥ـ٨٧ .
(٥) بطلميوس : هو احد علماء الاغريق المشهورين بعلم الفلك والجغرافيا ، دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، ٧/١٦ ، ك ٣٢٦ .
(٦) ابن سعيد ، ن . م ، المقدمة ، ص ٦١ .

نسمع عن عدة مناطق من الساحل الافريقي يحكمها عرب مسلمون منها كلوة التي (١) كان يحكمها عرب هاجروا اليها من الساحل الشرقي للخليج العربي (٢) ، وجزيرة بمباسا (٣) التي يرجع حكامها انفسهم الى البصرة ، وكذلك بته التي كان يحكمها امير نبهاني من عمان وكانت له علاقات وطيدة مع الساحل العماني (٤) ، وقد اضحت هذه المناطق مراكز نشطة للتجار العرب ، فقد اشار ياقوت الى ان مقديشو كانت سوقا مهمـا لتصدير عود الصندل والابانوس والعنبر والعاج (٥) ، كما يذكر الكاتب الصيني تشـاو جو ـ كوا (من القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى) ان العـرب كانوا يحملون المر والعاج والعنبر وقرن وحيد القرن من الصومال وزنجبار الـى مرباط ومنها الى الصين (٦) ، كما شهدت السواحل الافريقية في هذه الحقبة نشاطـا للسفن الصينية بسبب اكتشاف الطريق البحرى المباشر عبر المحيط الهندى (٧) ، فقد عثر على نقود صينية على ساحل افريقيا الشرقي تعود للفترة من (٤٦١ ـ ٤٧٦ هـ / ١٠٦٨ ـ ١٠٨٦ م) واخرى تعود الى (٥٢١ ـ ٥٥٦ هـ / ١١٣١ ـ ١١٦٣ م) (٨) .

وقبل ان نختتم كلامنا عن الطرق البحرية نود ان نشير الى ان السفن كانت تسير بشكل قوافل تجارية كبيرة قد يصل عددها الى العشرات (٩) ، وذلك للتقليل من مخاطر الطريق وخصوصا خطر القراصنة ، ولهذا كانت السفن تزود بعدد من المقاتلة (١٠) ، ولكن على الرغم من ذلك فكثيرا ما نسمع عن حوادث غرق وضياع في البحر

---

(١) كلوة : جزيرة قرب موزنبيق وصفها بربوسا بانها للعرب المسلمين ويحكمها ملك منهم ، شهاب ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .
(٢) مؤلف مجهول ، السلوة في أخبار كلوة ، سلطنة عمان ١٩٨٥ م ، ص ٢٧ وما بعدها .
(٣) جزيرة بمباسا : وهي قريبة من كلوة وكان يحكمها العرب عند دخول البرتغاليين لها ، شهاب ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .
(٤) عمان وتاريخها البحرى ، ص ٥٠ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ٤ / ٦٠٤ .
(٦) زيادة ، المرجع السابق ، ص ٣٧ .
(٧) ذانج هو ، المرجع السابق ، ص ٣١ .
(٨) Wilkinson , The Lmamale ,op,cit,p.43. Ingrams ,op,ciy,p.88-89.
(٩) ابن الجوزى ، المنتظم ، ٨ / ١٤١ ، ٩ / ٣٣ ، ٣٧ ، الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص ٦٠ .
(١٠) حوراني ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

يتعرض لها التجار اثناء سفرهم ، فابن الجوزي يروي انه في عام (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) وردت كتب التجار بان ستة وعشرون مركبا كانت متجهة الى عمان غرقت بجميعها من حمولتها التي بلغت عشرة الاف طبلة كافور ، كما يشير في حوادث عام (٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م) أن ستين مركبا غرقت ببحر الشام وهلك فيها ثلثمائة شخص ، ويذكر ابن المقرب العيوني ان سفينة للتجار كانت قادمة الى البحرين تحطمت قبل رسوها في امارة الفضل بن عبد الله العيوني (ت حوالي ٥٣٢هـ/ ١١١٩م) ، وابو مخرمة يشير في تاريخه الى ان مركبا يعود لرجل عراقي غرق في القرن السادس الهجري قرب مرباط وذهب جميع ما فيه ، ويروي لنا الغرناطي انه التقى بتاجر في مصر عام (٥١٢هـ/ ١١١٨م) كان قد اقام في الصين والهند اربعين سنة فسأله عن سبب عدم اقتنائه للمال بسبب تلك التجارة فقال (جئت منه بكثير ولكنه ذهب في جملة من اموالي ذهبت لي في بحر الصين والهند الى ان وصلت الى بحر القلزم عشرة سفن وانما بقي معي سفينة صغيرة كانت برسم المطبخ كان فيها جماعة من خدمي فسلمنا الله عز وجل فيها بعد ما ذهبت ذخائري واموالي) ، وهو هنا يشير الى ان من مجموع عشر سفن دخلت البحر الاحمر لم تصل الى مصر الا واحدة فقط ، وتشير وثائق الجنيزة الى الكثير من حالات الغرق والمخاطر التي تتعرض لها السفن في المحيط الهندي والبحر العربي والاحمر .

والواقع فأن اخطر موقف تتعرض له السفن هو عند مغادرتها الميناء عند الاقلاع ودخولها مياه البحر ، او عند محاولة الرسو ودخول الميناء ، وفي الحالتين اما

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ٨/ ٢٤١ .
(٢) ن٠م ، ٩/ ٣٧ .
(٣) ديوان ابن المقرب ، ص٥٤٠ .
(٤) ابو مخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ٢/ ٣٢-٣٦ .
(٥) الغرناطي ، تحفة الالباب ، ص١٠٦ .
(٦) انظر : حسنين ، المرجع السابق ، ص١٣٧ .

ان تواجه السفينة امواج البحر فتفقد توازنها مما يجعل من الصعوبة السيطرة عليها ، او ان ترتطم عند اقترابها من الساحل بالمياه الضحلة او بعدد من الصخور الغارقة تحت الماء فتعمل على تحطمها قبل الدخول الى الميناء ، وهذا يتضح من الروايات الانفة الذكر التي تشير الى ان اغلب حالات تحطم السفن هي عند مواجهتها لهذه المواقف ، اما حالات الغرق الجماعية التي تتعرض لها السفن فيصعب تفسيرها الا بالعواصف الكبيرة المفاجئة التي تتعرض لها السفن والتي لا تستطيع تكنلوجيا صناعة السفن في العصور الوسطى مواجهتها ٠

٢ ـ الطرق البرية

كما ارتبطت منطقة الخليج العربي بشبكة من الطرق البرية مع الاقاليم المجاورة لها ، وهذه الطرق تعتبر منافذ مهمة للسلع التجارية القادمة من البحر او المتجه اليه ، وقد كانت المراكز التجارية المنتشرة على سواحله مناطق التقاء للطرق البرية والبحرية ، الا ان نشاط الطرق البرية كثيرا ما يتأثر بالوضع الامني للمنطقة الذى يرتبط بالوضع السياسي العام فيها ٠

ففي البحرين قامت الامارة العيونية التي استمرت من منتصف القرن الخامس الهجرى حتى النصف الاول من القرن السابع الهجرى وبسطت سيادتها على مناطق واسعة امتدت من العراق حتى شمال عمان ، ولا شك ان قيام هذه الامارة وتمتع بعض امرائها بدرجة عالية من القوة وسعة النفوذ ساعد على نشاط الطرق البرية عبر الجزيرة العربية خصوصا الطريق التجارى الذى يربط العراق باليمن عبر البحرين ، فقد اشار ابن المجاور الى ان اهل اليمن كانوا يسافرون عبر هذا الطريق على الحمير وعليهم الاديم الى البصرة والكوفة وان السفر فيه استمر حتى عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م) (١) بعدها اصبح السفر بخفارة القبائل الساكنة على

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢١٦ ـ ٢١٧ ٠

هذا الطريق وخصوصا المنطقة الواقعة بين نجران والاحساء (١) .

اما الطريق الاخر الذى يربط ظفار بالعراق فقد استمر نشاطه حتى بداية القرن السابع الهجرى ، اذ اشار ابن المجاور الى ان هذا الطريق كان امنا ويسلك في العام مرتين ويجلب التجار خلاله الخيل الى مرباط ويعودون بالعطر والبر الى العراق الى ان تغلب احمد بن محمد الحبوظي على ظفار (٢) فمنع السفر عبر هذا الطريق وذلك لاعتقاده ان كثرة سلوكه سيؤدى الى مجيء قوات الخلافة عبره وبالتالي اخضاع المنطقة الى سيطرتها (٣) ، ويبدو ان هذا الطريق لم ينقطع تماما ففي عام (٦٤٩هـ/١٢٥١م) ارسل حاكم اليمن المظفر الرسولي (٤) بوفد الى الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠ـ٦٥٦هـ/١٢٤٢ـ١٢٥٨م) وقد سلك هذا الوفد طريق البادية الى العراق اذ قطعه باربعة عشر يوما (٥) .

كما ارتبطت اليمن بطريق برى مع عمان يسلكه التجار احيانا ، وقد اشار الى هذا الطريق اثنان من مصادرنا في القرن السابع الهجرى وهما ياقوت الحموى والقزويني (٦) ، ويبدو ان سلوك الطريق بين اليمن وعمان في هذه الحقبة يعود الى قيام امارة بني نبهان داخل عمان ، اذ ان ازدهار بلاط النبهانية انذاك ادى الى زيادة الطلب على السلع مما قوى ارتباطها بسواحل عمان وجنوب الجزيرة العربية ، وقد

---

(١) ابن القاسم ، غاية الاماني ، ص٢٩٢ .

(٢) احمد بن محمد الحبوظي كان تاجرا يشتغل لحساب صاحب مرباط محمد بن احمد المنجوى ولما مات محمد ولم يخلف عقب تولى احمد الحبوظي حكم البلاد مؤسسا بذلك امارة في عقبه استمرت منذ عام ٦٠٠هـ حتى عام ٦٧٧هـ عندما استولى عليها الرسوليين حكام اليمن ، انظر : ابو مخرمة ، المرجع السابق ، ١٩٤/٢ ،
Guest, Zufar, op,cit,p.402.

(٣) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٤) المظفر الرسولي : هو احد ملوك بني رسول في اليمن الذى حكم مدة ٤٦ سنة حتى وفاته عام ٦٩٤هـ ، الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (مصر ١٩١١م) ٢٧٥/١ .

(٥) ابن القاسم ، المرجع السابق ، ص ٤٣٧ .
Guest, Zufar, op, cit. p.408

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، ٨٨٦/٢ ، القزويني ، اثار البلاد ، ص٥٨ .

اشار الى ذلك ماركوبولو عند حديثه عن تجارة قلهات بقوله ان الطلب على السلع جسيم لتزويد المدن والقلاع الواقعة على مسافة من الشاطئ (١)، كما ان ازدهار تجارة ظفار في هذه الحقبة زاد من ارتباطها بالمناطق الاخرى المجاورة لها (٢).

كما نشط في هذا الوقت الطريق بين البحرين ومصر بسبب نشاط التجارة بينهما (٣)، وقد اشار الى هذا الطريق الحمداني عند حديثه عن القبائل الواقعة عليه (٤)، كما ذكره الزهرى من القرن السابع الهجرى عند حديثه عن محاولات الملك الافضل الايوبي (٥) حفر قناة بين البحر الاحمر والبحر المتوسط. فاشاروا عليه بترك هذا الاقتراح لانه يقطع الجادة الموصلة الى العراق والشام والخليج العربي (٦).

اما الطريق البرى بين البصرة وساحل الخليج العربي فيذكر الادريسي ان بين البصرة والبحرين طريقين احدهما قصير ولكنه غير مسلوك والاخر طريق الساحل الذى يبدأ من عبادان ويسير بموازاة الساحل حتى يصل الى ساحل هجر وطوله ثماني عشرة مرحلة (في قبائل العرب ومياههم محمولة معهم وهو مسلوك غير انه مخوف) (٧)، فاذا جزت ساحل هجر مررت ببحر قطر وهو شماب وبرار وبحر عريض صعب المسلوك ثم يمر على مرسى السبخة (٨) وعلى طرفها تقع مدينة جلفار (رأس الخيمة) في

---

(١) رحلات ماركوبولو، ص ٣٤٠.

(٢) Guest , Zufar , op,cit,p.407-408

(٣) ابن الساعي، اخبار الخلفاء، ص ١٤١، (عن الحمداني).

(٤) ابن الساعي، ن. م، ص ١٤١. القلقشندى، نهاية الارب، ص ١١٥.

(٥) الملك الافضل : نور الدين على بن السلطان صلاح الدين الذى كان حاكما في بلاد الشام بعد ابيه حتى عام ٥٦٨هـ، ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة ١٩٦٠م) ٣/ ٤-٥.

(٦) الزهرى، الجغرافيا، ص ٣٨.

(٧) الادريسي، جزيرة العرب، ص ٤٩.

(٨) السبخة : هي عبارة عن بحر واسع من الرمال يمتد من رأس الخيمة ويشمل مساحة واسعة من دولة الامارات العربية المتحدة بحيث يصعب تجاوزها بالسيارات العادية، محمد متولي، حوض الخليج العربي، ص ٤٥.

شمال عمان ، ومنها يتفرع الطريق الى شقين يواصل الاول سيره فيقطع الجبل العارض (شبه جزيرة مسندم) الى صحار وداما ومسقط (1) والاخر يتجه نحو الداخل الى منطقة توأم (2) ثم الى جوف عمان ، ويمثل نهر الفلج (3) الذى ينبع من غرب عمان ويصب شمالا في الخليج العربي قرب جلفار (4) ممرا طبيعيا للطريق الذى يربط غرب عمان وداخلها بسواحلها الشمالية (5) وعبر هذا الطريق توغلت اغلب القوات التي غزت عمان خلال العصور الاسلامية .

اما الطرق البرية التي تأتي من فارس باتجاه ساحل الخليج العربي فقد تغيرت تبعا للظروف التي مرت بها المنطقة ، ففي حقبة ازدهار سيراف كان الطريق البرى الذى يربط شيراز قاعدة اقليم فارس بسيراف يعد من الاهمية بمكان لأن سيراف كانت الفرضة الرئيسية لفارس وعبر طريقها يتم شحن البضائع وتفريغها ، ولكن بعد خراب سيراف وابتداءً من القرن الخامس الهجرى فأن الطريق الذى يربط شيراز بسيراف انحرف باتجاه الجنوب الغربي الى مرفأ هزو وهي الفرضة المقابلة لجزيرة قيس (6) وقد استمر نشاط هذا الطريق طيلة حقبة ازدهار جزيرة قيس ، ولكن

---

(1) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٩ .

(2) توأم : تعرف الان بالبريمي وهي تقع على بعد (٩٠) ميلا جنوب شرق ابو ظبي وهي ملتقى كثير من طرق المواصلات في شرق الجزيرة العربية ، شركة الزيت العربية الامريكية ، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي (القاهرة ١٩٥٢م) ص ١٩٩ .

(3) البسيوى ، مختصر البسيوى ، ص ٢٨٩ .
Wilkinson, Al-Bahrain and Oman, op, cit, p. 248.

(4) الادريسي ، المرجع السابق ، ص ٤٢ . شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١٨ .

(5) لوريمر ، المرجع السابق ، ١ / ٧٩ . رفلة ، جغرافية الوطن العربي (ط ٢ القاهرة) ص ٣٩٥ .

(6) لي سترنج ، المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

بعد ان اخذت جزيرة قيس تتراجع امام تطور هرمز نشط الطريق الذى يربط شيراز بهرمز مرورا بدارابجرد (١) حتى يصل الى مرفأ سورو على ساحل البحر المقابل لجزيرة هرمز الجديدة (٢)، وبعد احتلال هرمز مركز الصدارة في تجارة الخليج العربي واصبحت مجمعا للتجار من اقاصي الهند والصين واليمن (٣)، نشط الطريق البرى الذى يتوغل الى كرمان وسجستان وخراسان (٤)، وقد سلك هذا الطريق الرحالة الايطالي ماركوبولو في نهاية القرن السابع الهجرى متوجها الى الصين، ثم سلك الطريق نفسه في رحلة العودة الى اوربا اذ توغل من هرمز الى كرمان وسجستان وخراسان ثم عطف على ارمينيا فالبحر الاسود (٥)، وقد اصبحت هرمز في هذا الوقت مركزا عالميا تلتقي فيها الطرق البرية والبحرية ويجرى توزيع البضائع المتجمعة فيها الى كل ارجاء العالم (٦).

مما تقدم يمكن القول ان الخليج العربي لم يفقد مكانته في التجارة العالمية خلال هذه الحقبة كما كان يعتقد (٧) اذ استمر السفر من البحرين وجزيرة قيس وهرمز وقلهات الى الهند وكذلك بين ساحل عمان وهرمز الى الصين، ولم يكن الميزان التجارى بأجمعه لصالح كل من الهند والصين اذ في الوقت الذى اشارت فيه مصادرنا الى السلع المحمولة من الهند والصين الى الخليج العربي ذكرت ايضا ان التجار كانوا ينقلون الى تلك البلاد كثيرا من بضائع الجزيرة العربية والشرق الافريقي، وقد رأينا صدى ذلك واضحا عند الكتاب الصينيين انفسهم.

---

(١) دارابجرد: ذكرها ياقوت انها احد مقاطعات فارس، معجم البلدان، ٢/ ٥٧.
(٢) لي سترنج، المرجع السابق، ص ٣٢٣.
(٣) ابن الاثير، الكامل، ١٢/ ٣٤.
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٩٦٨.
(٥) رحلات ماركوبولو، ص ١٠ـ ١١.
(٦) ن. م، ص ٥٥.
(٧) ممن ذهب الى هذا الراى مثلا: الشتور، المرجع السابق، ص ٢٤٥، لاندن، المرجع السابق، ص ١٢١، عبد رانى، المرجع السابق، ٢/ ١٣، حسنين، وثائق الجنيزة، المرجع السابق، ص ١٣.

كما شهدت هذه الحقبة تطورا جديدا في عملية الابحار وذلك باستخدام طرق جديدة تكون اقل كلفة واكثر اختصارا للوقت كالطريق المباشر بين الصين وجنوب بلاد العرب وكذلك بين شرق افريقيا وساحل عمان وهذا ما يؤكد عمق العلاقة بين تلك المراكز وسواحل الخليج العربي .

والواقع ان الاستنتاج السابق كان منشأه التطور الذى شهده طريق البحر الاحمر في هذه الحقبة في ظل تشجيع الادارة الفاطمية في مصر له ثم توسع ذلك في عهد الايوبيين والمماليك اذ اصبحت التجارة في البحر الاحمر تحت رعاية الدولة وكانت الدولة الدافع من وراء ذلك الارباح التي اخذت تجنيها الحكومات المصرية من قدوم التجار الاوربيين الى سواحل مصر الشمالية ، وهكذا فان ازدهار تجارة البحر الاحمر في تقديرهم تعني تدهور تجارة الخليج العربي ، ولكن بماذا نفسر تشجيع الحكومة المصرية في القرن السابع الهجرى للتجار البحارنة بنقل بضائع الهند الى مصر وتقديم التسهيلات لهم ، كما ان هرمز في ظل الزعم القائل بتدهور تجارة الخليج العربي تصبح منذ القرن السابع الهجرى مدينة كبرى ثم مركزا تجاريا عالميا ، والمعروف ان هرمز بعيدة عن خطوط الملاحة في المحيط الهندى ولا يأتيها الا من رام الدخول الى الخليج العربي ، نحن لسنا ضد الراى القائل بازدهار تجارة البحر الاحمر في هذه الحقبة واشرنا الى بعض الاسباب المشجعة لازدهار هذا الطريق ، ولكننا نتحفظ على ما قيل عن تدهور او سقوط او انحلال تجارة الخليج العربي في الحقبة موضوعة البحث .

المبحث الرابع

الموارد الاقتصادية الاخرى للخليج العربي

١ ـ المعادن والصناعة

على الرغم من ان التجارة كانت تحتل المرتبة الاولى في عصب الحياة الاقتصادية لمنطقة الخليج العربي ، فقد ضمت مياهه وسواحله ايضا ثروات اقتصادية ساهمت بصورة بصورة فعالة في تنشيط تجارته وبناء كيانه الاقتصادى مما جعله مصدرا للخير ومجالا مهما للرزق ، فابن حوقل يذكر ان أشهر بحار العالم اثنان هما الخليج العربي وبحر الروم ، ولكن اشهرهما وافسحهما هو الخليج العربي (١) ، وشيخ الربوة الدمشقي يصفه بانه بحر مبارك (كثير الخير لم يزل مركوبا وهيجه واضطرابه اقل من سائر البحار... وفيه مغاص اللؤلؤ الصافي والدر الجيد وفيه معادن العقيق ... والذهب والفضة والحديد وفيه انواع الطيب والبهار) ، اما ابن الوردى فيسميه البحر الاخضر ويصفه ايضا بأنه بحر مبارك (كثير الخير دائم السلامة وطيء الظهر قليل الهيجان بالنسبة الى غيره ... وخصه الله ... بالكثير من الخيرات والبركات الغزيرة والفوائد والعجائب والطرف والغرائب منها مغاص الدر الذى يخرج منه الحب الكبير البالغ وربما وجدت الدرة اليتيمية التي لاقيمة لها وفي جزائره معادن انواع الياقوت والاحجار الملونة النفيسة ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والسنباذج والعقيق وانواع الطيب والافاويه) (٣) .

وعدد التيفاشي مواضع استخراج الجوهر في مختلف البحار الا ان افخر اصنافها هو المستخرج ما بين جزيرة قيس والبحرين (٤) ، والقزويني يصف الدر المستخرج

---

(١) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ٢٠ .

(٢) شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ١٦١ .

(٣) ابن الوردى ، خريدة العجائب ، ص ١١٥ .

(٤) التيفاشي ، ازهار الافكار ، ورقة ٣ .

من ساحل البحرين بانه احسن الانواع (١)، كما ضمت المناطق المحيطة بالخليج العربي كثير من المعادن والغلات التي رفدت التجارة فيه وجعلتها اكثر نشاطا ذكر البكري منها اللؤلؤ القطري الجيد والزبرجد والعقيق الذي يكن منه بدومة الجندل من بلاد العرب واللبان الذي يوجد منه في الشحر وحضرموت ومنها يتجهز الى بلاد الهند والصين وخراسان، كما ذكر الصمغ العربي الذي يستخرج من شجر الطلح (٢)، والادم الطائفي الذي لايوجد مثله في اقطار العالم.

واشتهرت عمان بانتاج النحاس (٣) وقد بلغ من كثرته ان صنعت منه قوالب فرشت بها خانات التجار وبعض المحال بدلا من الآجر (٤)، وكانت هناك مناجم لاستخراج النحاس، منها منجم يقع خلف مدينة صحار على ممر وادي جزي (٥) وآخر يقع بالقرب من وادي عندام (٦)، وقد استمر هذان المنجمان يعملان حتى القرن السادس الهجري، اذ اشار احمد بن عبد الله الكندي (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦١م) صاحب كتاب المصنف الى ان منجم وادي جزي مؤجر لقاء (١٠٪) من صافي الارباح، كما ان منجم وادي عندام لايزال يشتغل في ايامه (٧).

كما اشتهرت عمان بصناعة الاواني الزجاجية (٨)، ويحتمل ان الزجاج الذي اشارت اليه المصادر الصينية انها تستورده من بلاد العرب (٩)، كان ذلك الذي يصنع

---

(١) القزويني، اثار البلاد، ص ٧٧.
(٢) البكري، جزيرة العرب، ص ٢٥ـ ٢٧.
(٣) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ١١٢.
(٤) البكري، جزيرة العرب، ص ٣٦. السالمي، تحفة الاعيان، ١/ ٧.
(٥) وادي جزي: وهو اشهر اودية عمان الذي يربط بين منطقة توام في الداخل وصحار على الساحل.
Wilkinson, Water, p.15
(٦) وادي عندام: هو احد اودية عمان الشرقية، السيابي، العنوان، ص ١٢.
(٧) ولكنسون، صحار، ص ١١. وتكولمب، المرجع السابق، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٨) ولياسون، صحار، ص ٢٨.
(٩) الصيني، المرجع السابق، ص ١٣٧.

في عمان ، كما يحتمل ايضا ان تجار عمان كانوا يستوردون الزجاج من العراق ثم يتم نقله الى الصين ، اذ اشار ياقوت الحموي الى ان القادسية احدى قرى العراق كانت مشتهرة في ايامه في صناعة الزجاج (١) .

وكانت مقاطعة كرمان مركزا مهما لاستخراج العديد من المعادن التي قامت عليها صناعات مختلفة وتصدر منها عبر فرضتها الرئيسية هرمز الى مختلف الاقطار ، فقد حوت اراضي كرمان على معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس الذي كان يجمع من جبالها ويصدر الى الافاق ، كما توجد فيها الاحجار الكريمة المسماة بالفيروزج (٢) ، وبسبب توفر هذه المعادن قامت عليها صناعات عديدة وخصوصا الصناعات الحديدية مثل ادوات الحرب كالسروج والاعنة والسيوف والقسي والسهام وكل انواع الاسلحة المستخدمة انذاك ، واشتهرت ايضا بصناعة الثياب الملونة والمزخرفة من الحرير وكانت تعمل بكل دقة ومهارة تثير الاعجاب (٣) ، واشاد ابن بطوطة بصناعة هرمز وخصوصا من الاواني المزينة (٤) .

ومن الاماكن التي اشتهرت بصناعتها على الساحل الشرقي للخليج العربي وساهمت في رفد اقتصاده وتجارته هي الاحواز التي اصبحت من اهم مراكز صناعة السكر في هذه الحقبة وكان يصدر منها الى مختلف الاقطار وتحصل الخلافة من تجارته على مقادير كبيرة من المال (٥) ، واشتهرت الاحواز ايضا بعمل الثياب التي

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤ / ٩ .
(٢) القزويني ، اثار البلاد ، ص١٦٢ .
(٣) رحلات ماركوبولو ، ص٤٩ ، انظر ايضا ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٩ .
(٤) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٣ .
(٥) غنيمة ، صناعة العراق في عهد العباسيين ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، سنة ١٩٤١م ، ص ٥٨ .

وصفها ابن الوردى بأنها (لانظير لها في الدنيا ، وكذلك البسط والحلل والستور وملابس مراكب الملوك وبها يصنع كل نوع غريب)(١) .

كما اشتهرت البحرين بصناعة الانسجة المختلفة ، فقد اشار ناصر خسرو الى ان اهل البحرين ينسجون (فوطا جميلة ويصدرونها للبصرة وغيرها)(٢) ، واورد ابن المقرب العيوني في احدى قصائده ، ذكرا لنوع من الثياب اشتهرت مدينة القطيف بانتاجه ويدعى اللالس(٣) وجدير بالذكر هنا ان ثياب اللالس التي اشتهرت بها منطقة القطيف ورد ذكرها ايضا في خطابات وثائق الجنيزة ، فقد اشار جوايتاين الى ان هذا النوع من الثياب ورد ذكره مرارا على شكل هدايا ارسلها تجار مصر الى زوجاتهم واصدقائهم والشخصيات الدينية في مصر(٤) ، ويبدو من هذه الاشارة احد امرين ، اما ان يكون التجار المسافرون عبر الخليج العربي المارون بالبحرين او التجار البحارنة قد عملوا على نقل هذه المصنوعات من الثياب الى مراكز اخرى في جنوب الجزيرة العربية او ساحل الهند وهناك التقوا بالتجار المصريين وتبادلوا معهم السلع ، او ان التجار المصريين انفسهم ربما دخلوا مياه الخليج العربي وتجولوا في مراكزه التجارية ، فلم تكن تقيد حركة التاجر المسلم انذاك اختلاف الانظمة والاتجاهات السياسية ما دام ملتزما بدفع ما يترتب عليه من ضرائب في المراكز التجارية التي يمر بها(٥) ، كما اشتهرت مدينة الظهران بالبحرين بصنع

---

(١) ابن الوردى ، خريدة العجائب ، ص ٥٠ .
(٢) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٩٤٣
(٣) ذكر ابن المقرب في احدى قصائده :

ومن مروزى بالقطيف ولالس ... عباء براذى طيس ونطوعها .

ديوان ابن المقرب ، ص ٢٥٥ .

(٤) جوايتاين ، التاريخ الاسلامي ، ص ٢٦٤ .
(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تجارة الاندلس والعراق والخليج العربي في العصر العباسي ، ندوة مكانة الخليج العربي ، جامعة الامارات العربية المتحدة ، ١٩٨٩م ص ٦١ .

الثياب الظهرانية ، وقطر بصنع نوع من البرود القطرية التي ذكر ياقوت انها حمر (١) لها اعلام فيها بعض الخشونة ، وقد بلغت شهرة الثياب التي تصنع في البحرين ان (٢) اصبحت تدخل ضمن الطرف والنوادر التي يتباد لها الامراء والسلاطين انذاك . (٣)

ومن الصناعات العريقة في البحرين والتي استمرت الى هذه الحقبة هي صناعة الرماح الخطية ، فعلى الرغم من ان هذه الصناعة ترجع في اصولها الى حقبة قبل الاسلام ، ولكن يبدو وانها استمرت في انتاجها لهذا النوع من الاسلحة ، فالمعروف (٤) ان بلاد البحرين لايوجد فيها معادن الحديد ولهذا فانها تستورد ما تحتاجه في هذه الصناعة من الهند ومناطق اخرى ، ويبدو وان اشتغال الشاعر ابن المقرب (٥) العيوني في تجارة الحديد بين العراق والبحرين هو لسد حاجة هذه الصناعة (٦) فيها من الحديد .

٢ـ الزراعــــة

لم يكن ما تحويه مراكز الخليج العربي من ثروة معدنية وصناعات محليــة الرافد الوحيد لحركة التجارة فيها ، فهناك رافد مهم اخر ساهم في بناء الكيان الاقتصادى للمنطقة الا وهو الزراعة ، والمعروف ان الزراعة امر مهم لقيام اى تجمع سكاني اذ بدونه لاتستقيم المدن ، وقد اشار ابن خلدون الى اهمية الانتاج

---

(١) المسلم ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .
(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/١٣٥ (عن البكراوى) .
(٣) الحسيني ، المرجع السابق ، ص٦٩ .
(٤) ياقوت ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تحقيق ناجي حسن (ط١ بغداد ١٩٨٧م) ص٢١٣ .
(٥) القزويني ، اثار البلاد ، ص٩١ .
(٦) ديوان ابن المقرب ، ص٢١٢ .

الزراعي والحيواني للمدن بقوله (ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المرعى لسائمتهم اذ صاحب كل قرار لابد له من دجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ... ومما يراعى ايضا المزارع فأن الزروع هي الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل في اتخاذه ...) [1] ، وقد اشار المؤرخون الاقتصاديون الى ان تجمعا سكانيا يبلغ افراده (٣٠٠٠) نسمة يحتاج ابتداءً من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي الى عشر مناطق ريفية زراعية لمده بالمستلزمات الغذائية وذلك لضعف انتاجية الفلاح انذاك [2] ، ولهذا نرى ان المراكز التجارية التي نمت في الخليج العربي في هذه الحقبة كانت تتمتع بظهير من الاراضي الزراعية لمدها بما تحتاجه من مواد غذائية وان بعضها كان يحصل فيها فائض يتم تصديره الى الخارج .

فمدينة الابلة التي ازدهرت في هذه الحقبة تقع وسط شبكة من مياه الانهار التي تحيط بها البساتين والمزارع والتي وصفها ناصر خسرو انها (حدائق وجواسق ومناظر لا تنقطع) [3] ، وذكر الادريسي انه يحيط بالابلة عدد من المدن الصغيرة العامرة بالبساتين والمزارع [4] .

اما في البحرين فقد ظهرت الزراعة حول كثير من مياه العيون والينابيع [5] ، فكان الماء قريبا من سطح الارض ، واحيانا يتدفق على شكل عيون ماء جارية تكفي كل منها - كما يقول ناصر خسرو - لادارة خمسة سواق [6] ، وذكر ياقوت ان الاحساء

---

(١) مقدمة ابن خلدون (المكتبة التجارية مصر) ص٣٤٨ .

(٢) الحبيب الجنحاني ، المرجع السابق ، ص٢٣ .

(٣) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٧٠ .

(٤) الادريسي ، العراق من نزهة المشتاق ، ص٣٠ .

(٥) المنجم ، اسحق بن حسين ، آكام المرجان (بدون تاريخ) ص١١ . رحلة ابن بطوطة ، ص١٧٧ .

(٦) ناصر خسرو ، سفر نامة ، ص١٤٢ . انظر ايضا ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١/٥٠٦ .

هو الماء الذي تنشفه الارض من الرمل فيتجمع فوق الارض الصلبة تحت الرمل فتحفر العرب عنه الرمل فيخرج ماءا عذبا باردا قال وقد رأيته في البادية احساء كثيرة على هذه الصفة الا ان اشهرها هي مدينة الاحساء في البحرين (١)، وقد عدد لنا ابن بطوطة منتجات البحرين الزراعية فذكر منها النخيل والرمان والليمون (٢)، ويوجد في جزيرة اوال منها اضافة الى النخيل الموز والجوز والاترج (٣)، ولما كانت البحرين لا تزرع الحنطة لذلك كانت تأتي اليها من اليمامة اذ كانوا يبادلونها بالتمر (٤)، وكانت البحرين حلقة وصل بين اهل البادية وانتاجهم واهل البحر وبضائعهم واهل الحضر ومزارعهم، اذ تلتقي فيها الاصناف الثلاثة فيأخذ كل من الاخر حاجته، وقد جاء احسن وصف لهذا المشهد عن بلاد البحرين عند الحمداني (٥) عندما وصفها (انها بلاد زرع وضرع وبر وبحر) فكان نتاج ذلك (متاجر مربحة).

اما عمان فقد ساهمت هي الاخرى بنصيب وافر من انتاجها الزراعي المتنوع في رفد اقتصاديات الخليج العربي في العصور الوسطى، بل ان موانئها كانت اهم محطة لتجمع السفن كي تتزود ما تحتاجه من مياه ومواد غذائية لمواجهة الرحلة الطويلة عبر المحيط الهندي شرقا او غربا، وقد ساعد تنوع طبيعتها على تنوع محاصيلها (فما ولي البحر منها سهول ورمال وما تباعد عنها حزون وجبال) (٦)، على ان وجود الجبال في عمان لم يؤد الى عزل الساحل تماما عن المنطقة الداخلية

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ١٤٨/١، انظر ايضا، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٩٩.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ص١٧٧.
(٣) الحميري، الروض المعطار، ص ٦٣.
(٤) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص٩٦.
(٥) ابن الساعي، اخبار الخلفاء، ص ١٤١، (عن الحمداني).

(٦) البكري، جزيرة العرب، ص٣٧، الحميري، الروض المعطار، ص٤١٢.

وذلك لوجود الممرات الطبيعية (الوديان) التي تربط المناطق الساحلية
بداخلية عمان عبر الجبال الوعرة (١) وقد كان ذلك حافزا مهما للتطور الزراعي في
كل من اقليم الساحل والجبال وداخلية عمان اذ عن طريقها يتم تصدير الفائض
من الانتاج الزراعي الى سواحل عمان وخصوصا من البلح والفواكه شبه الاستوائية
حيث تملأ الاماكن الفارغة في السفن المتجهة الى الهند والصين والتي كانت
تجد لها سوقا رائجة هناك (٢) .

وفي حقبة ازدهار صحار حتى القرن الرابع الهجري كان يحيط بها حزام
عريض من الزراعة الكثيفة الذي يمتد الى داخل البلاد والذي تقدر مساحته
بأربعة اضعاف المساحة الزراعية الحالية (٣) ، الا انه بعد افول نجم صحار وانتقال
النشاط التجاري جنوبا الى مسقط وقلهات فان مساحة الارض المزروعة حول صحار
بدأت تتقلص تدريجيا وذلك خلال القرن الخامس الهجري (٤) ، وهذا ما يفسر لنا
ارتباط الانتاج الزراعي فيها بنشاطها التجاري .

وخلال ازدهار قلهات بدأت المنطقة التي تقع خلفها بالعمارة ، فابن المجاور
يشير الى ان بها نهرا عذبا يدعى سقراط يجري بين نخيل وساتين (٥) ، وكانت مدينة
قلهات ترتبط بالمنطقة الداخلية من عمان عبر ممر وادي الفليج (٦) ، ومن خلال هذا
الممر كانت منتجات داخلية عمان تصل الى قلهات ومنها ايضا كانت تنقل ما يصل عن

---

(١) انظر عن وديان عمان التي تربط المنطقة الساحلية منها بالداخل عبر الجبال :

Wilkinson ,Water , p.14-15.

(٢) ولياسون ، صحار ، ص ١٢ .

(٣) لاحظ ولياسون الذي عمل ضمن بعثة هارفرد الاثرية لمسح عمان عام ١٩٧٣م ان المساحة الزراعية التي كانت تحيط بصحار تقدر بحوالي ٦١٠٠ هكتار اي اربعة اضعاف المساحة الزراعية الحالية ، ولكنسون ، مشروع حقول صحار ، مجلة الدراسات العمانية ص ٦٣ .

(٤) ولياسون ، صحار ص ٣٣ .

(٥) ابن المجاور ، المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٦)

Wilkinson , Water ,p.15.

طريق البحر من بضائع الى داخل عمان وخصوصا الرز الذى كان يجلب اليهم من الهند (١) ، واحسن وصف جاءنا عن المنطقة الزراعية المحيطة بقلهات من ابن بطوطة الذى زار المنطقة في النصف الاول من القرن الثامن الهجرى وذكر ان بمقربة قلهات قرية تدعى طيبي وهي (من اجمل القرى وابدعها حسنا ذات انهار جارية واشجار ناظرة وبساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه الى قلهات وبها الموز ... جلب منها الى هرمز وسواها ... والتمر يجلب الى هذه الجهات من عمان (٢)) ، ومن هنا يتبين ان ازدهار قلهات وزيادة عدد سكانها تطلب قيام حزام زراعي حولها يؤمن لها بعض ما تحتاجه من المواد الغذائية اللازمة للاستهلاك ولتزويد السفن القادمة اليها .

وعلى الرغم من صغر مساحة جزيرة قيس وغلبة النشاط التجارى عليها وقربها (٣) من الساحل الايراني وقوة اسطولها الذى بامكانه توفير ما يحتاجه سكان الجزيرة من مواد غذائية من المناطق المجاورة الا انها شهدت نوعا من النشاط الزراعي ، فاستغلت مياه العيون والسيول لسد حاجة المزارع والبساتين والماشية فقد وصفها الادريسي انها (ذات زروع واغنام وابقار وكروم (٤)) ، كما ذكر ياقوت انه راى فيها كثيرا من النخيل والبساتين (٥) ، وقامت فيها زراعة البقول لسد حاجة سكان الجزيرة منها ، ونقلوا اليها اشجارا من البصرة كانت لا تزال فيها الى ايام ابن المجاور في بداية القرن السابع الهجرى (٦) .

---

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧١ .
(٢) ن . م ، ص ١٧٢ .
(٣) رحلة بنيامين ، ص ١٦٤ .
(٤) الادريسي ، جزيرة العرب ، ص ٤٢ .
(٥) ياقوت ، المشترك ، ص ٣٦٥ .
(٦) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

اما هرمز التي شهدت هي الاخرى تطورا في هذه الحقبة ، فانها تقع بالقرب من سهل فسيح وخصب غني بموارده المائية العذبة وتغطيه اشجار النخيل ، وفي هذا السهل ينتج (كل مادة من مواد الطعام) (١) وفيه يزرع اهل هرمز قمحهم وارزهم وغيرها من الحبوب (٢) ، ولهذا يمكن ان يعتبر الظهير الذي يمد سكان هرمز بما يحتاجونه من محاصيل زراعية ، وبسبب مكانة هرمز التجارية وصلتها القوية بمختلف مناطق الخليج العربي الاخرى فقد كانت مختلف الاطعمة تصلها من البصرة وعمان (٣) .

مما تقدم يمكن القول ان الخليج العربي امتلك ثروات معدنية وموارد زراعية وصناعية ساهمت هي الاخرى في بناء اقتصاده في هذه الحقبة وكانت من العوامل المهمة التي رفدت الحركة التجارية فيه وحافظت على استمراريتها في وسط الظروف المحلية والدولية التي اشرنا اليها في المبحث السابق .

٣ ـ الضرائب على السلع التجارية

تعرف الضرائب المفروضة على التجارة بعشور التجارة ، وهي الضريبة المفروضة على الاموال الصادرة والواردة الى الدولة الاسلامية ، وقد وضع الفقهاء حدودها فكانت ربع العشر على التاجر المسلم ونصفه على الذمي والعشر على الاجانب من غير هذين الصنفين (٤) ، وكان هذا النظام معمولا به منذ عهد الخليفة عمر (رض) (٥)

---

(١) رحلات ماركوبولو ، ص ٦٠ .

(٢) ن ، م ، ص ٥٨ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ص ١٧٣ .

(٤) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٥٨ ـ ١٦٤ . ابن سلام ، ابو عبيد القاسم ، الاموال ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي (القاهرة ١٣٥٣ هـ) ص ٥٣٥ وما بعدها . اليوزبكي ، دراسات في النظم العربية الاسلامية (جامعة الموصل ١٩٧٧ م) ، ص ١٣٠ ـ ١٣١ .

(٥) ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن ، تاريخ دمشق ، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر بدران ، (ط ٢ بيروت ١٩٧٩ م) ٣ / ١٤٠ .

ويؤخذ من التجار لمرة واحدة في السنة (١)، الا ان هذا النظام تطور في قرون الاسلام اللاحقة الى ما يعرف بالمكس والكمرك، وهو من الضرائب غير الشرعية التي لم يذكرها القرآن الكريم كما لم تظهر في عهد الاسلام الاول ولذلك كانت هذه المكوس موضع شكوى دائم بحيث كان حكام الاسلام الاتقياء يلغونها (٢).

وفي الحقبة موضوعة البحث شاع ما يعرف باسلوب الضمان وخصوصا في المناطق التي كانت تخضع مباشرة لادارة الخلافة، وقد يكون الضمان عاما شاملا لواردات المنطقة كافة كما هو الحال في ضمان البصرة سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٧٦م) (٣) وسنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) (٤)، او ان يكون الضمان لجزء من وارداتها، فقد كان شرف الدين المعروف بالكاتب ضامنا لمكوس البصرة فقط في بداية القرن السابع الهجري (٥)، اما في باقي مناطق الخليج العربي فكانت جباية الضرائب تخضع مباشرة لسيطرة الحكام المحليين فيها، فقد كان للامراء العيونيين عمالا متخصصون يشرفون على جباية الاموال (٦)، وكذلك الحال في جزيرة قيس (٧).

---

(١) قدامة، الخراج، ص ٢٤٢. اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الاسلامية، ص ١٣١.
(٢) ابو يعلى، الاحكام السلطانية (اندونيسيا ١٩٧٤م) ص ٢٤٦. مقدمة ابن خلدون، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٢. ماجد، تاريخ الحضارة العربية الاسلاميه (ط ٢ القاهرة ١٩٧٢م) ص ١٤.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ٨/ ٣٢٢.
(٤) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل، ص ٢١٤.
(٥) ديوان ابن المقرب، ص ٢١٢.
(٦) ن. م، ص ٥٤١، ٥٤٢، هامش (٢، ١، ٣، ١).
(٧) ابن المجاور، المرجع السابق، ص ٢٦٧.

اما مقدار هذه الضرائب فعلى الرغم من عدم ورود ارقام تفصيلية عنها الا انها تبدو مرتفعة ، فقد ضمن خمارتكين البصرة عام (٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م) بمائة الف دينار ومائة فرس، وهذا يعني انه لابد له من جباية هذه الاموال مع ما يرغب تحصيله من ارباح اضافية ، وفي القرن السادس الهجري يبدو الامر اكثر شدة ، فقد بلغ ضمان البصرة في عام (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) ستة الاف الف درهم، اي حوالي (٦٠٠) الف دينار اذ اخذنا متوسط قيمة الدينار عشرة دراهم ، وهذا يعني ان هناك ارتفاع في مقدار الضرائب المفروضة على خراج ومكوس البصرة ، اذا ما علمنا ان البصرة في منتصف القرن السادس الهجري كانت اكثر تراجعا منها في منتصف القرن الخامس الهجري .[1][2][3][4]

وفي بداية القرن السابع الهجري كانت الضريبة المفروضة على الحديد في واسط تساوى نصف قيمته ، فقد اشار ابن المقرب العيوني الى انه عندما جاز في واسط ومعه حمل حديد اخذ منه ابن الدبيثي عاملها وضامنها نصف قيمة البضاعة مكسا ، وعندما توجه الى البصرة اخذ منه مكسا بمقدار اربعة دراهم فقط ، وهذا يعني ان مقدار الضريبة لا يخضع الى ضوابط معينة حتى على البضاعة نفسها في المناطق المختلفة ويترك امر تقديرها الى الوالي او العامل الضامن لمكوس تلك المنطقة .[5][6]

ويحدثنا ابن المجاور انه كانت الضريبة المفروضة على السفن في جزيرة قيس

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٨/ ٣٢٣ .

(٢) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص٢١٤ .

(٣) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٢٣ .

(٤) قارن ذلك في ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص١٤٥ ـ ١٤٦ . وناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص ٢١٣ .

(٥) ديوان ابن المقرب ، ص ٢١٢ .

(٦) ن . م ، ص٢١٣ .

اول امرها دينارا واحدا لكل مركب يجوز عليها ثم ارتفع ذلك الى ثلاثة الى ان استقر عشرة دنانير في ايامه في بداية القرن السابع الهجري (١) دون ان يحدد لنا تفاصيل عن الضرائب المفروضة على السلع الواردة الى الجزيرة كما فعل بالنسبة الى عدن .

ويبدو ان الضرائب التي فرضها حكام المراكز التجارية في الخليج العربي هي اقل من نظيرتها المفروضة في عدن ، فاذا كان ابن المقرب العيوني قد استشاط غضبا من فرض ضامن مكوس واسط عليه ضريبة مقدارها نصف قيمة البضاعة وهجاه بأقبح الالفاظ ، ثم رضي بعد ذلك بما اخذ منه في البصرة ، فلنستمع الى ما يذكره ابن المجاور عن بعض ما يفرض في عدن في هذه الحقبة نفسها اذ يشير الى ان تاجرا يدعى عثمان بن عمر الامدى دخل عدن في بضاعة له فلما قومت وطرح ما عليها من ضرائب اذا هو مطلوبا تسعة دنانير على قيمة البضاعة ، ثم توسط له جماعة فخرج رأسا برأس (٢) ، ويذكر ايضا ان عددا كبيرا من التجار بعد ان تطرح مقدار العشور من قيمة البضاعة لكل منهم لم يفضل عندهم سوى (لاش في لاش) ثم يدخلون الهند (ولا بيع ولا شرى) (٣) ، وفي احدى وثائق الجنيزة ان تاجرا كتب الى صديق له يصف حاله ويخبره ان جميع امواله وبضاعته ضاعت في المكوس عند دخوله اليمن (٤) .

ان نظرة مقارنة الى ثلاثة ارقام ذكرها لنا ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل عن مجموع الضرائب التي تحصلت في كل من البصرة في شمال الخليج العربي

---

(١) ابن المجاور ، المرجع السابق ، ص٢٨٧ـ٢٨٨ .

(٢) ن ٠ م ، ص ١٤٤ .

(٣) ن ٠ م ، ص ١٤٨ .

(٤) حسنين ، المرجع السابق ، ص٢٣٧ .

والتيز في اقصى جنوبه الشرقي وعدن في اقصى الجنوب الغربي للجزيرة العربية

تعكس لنا قوة الحركة التجارية في الخليج العربي على الرغم من ازدهار طريق

البحر الاحمر ، فقد زار هذا الرحالة مناطق مختلفة من الخليج والجزيرة العربية

في منتصف القرن السادس الهجري وكان في عدن في عام (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)

وذكر ان مقدار ضمانها كان (١١٤) الف دينار ، وفي عام (٥٣٩هـ/ ١١٤٤م)[1]

كان نفس الرحالة في مدينة التيز وامتدح تجارتها وتجارها واشار الى ان بها

عددا من (التجار ذوي اليسار ومن جملتهم رجل يعرف بحسن بن عباس له

مراكب تسافر الى اقصى بلاد الهند والصين ومبلغ مضاربه وكان له غلمان زنوج

يضربون على باب مسجده خمس نوب فنقل ذلك الى ملك كرمان محمد بن ارسلان[2]

فقال لو ضرب خمسين نوبة لما اعترضت عليه رجل يتحصل في خزانتي من مراكبه

في كل سنة نحو من مائة الف دينار وانافسه في الربح النهاية)[3] ، كما زار هذا الرحالة

البصرة ايضا في عام (٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) وذكر ان مقدار ضمانها بلغ ستة الاف الف

درهم ، اي حوالي (٦٠٠) الف دينار .[4]

ان اهم ما يمكن ملاحظته عن هذه الارقام هو ان ما يتحصل من ضرائب من

تاجر واحد كبير تمر بضائعه عبر الخليج العربي يضاهي تقريبا مجموع ما يجبى من

التجارات المارة في عدن في نفس الحقبة على الرغم من الضرائب الثقيلة والاجراءات

التعسفية التي ذكرها ابن المجاور فيها .

---

(١) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص ٣٢ .

(٢) محمد بن ارسلان هو احد حكام كرمان من ابناء قاورد السلجوقي حكم للحقبة من

عام ٥٣٧هـ الى عام ٥٥١هـ . انظر عنه : الكرماني ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ـ ٢٦ .

(٣) ناسخ كتاب صورة الارض لابن حوقل ، ص ٥٤ .

(٤) ن . م ، ص ٢١٤ .

الخاتمة

شهدت منطقة الخليج العربي منذ القرن الخامس الهجري تطورات سياسية واقتصادية كان لها تأثير كبير على مراكز القوى فيه وبنيته الاقتصادية وتوزيعه السكاني فحينما ضعف حكم القرامطة في البحرين في منتصف القرن الخامس الهجري ظهر رجل جرئ وهو عبد الله بن علي العيوني الذي ينتسب الى قبيلة عبد القيس فانتزع الحكم منهم ثم ضم الى ملكه كلا من القطيف وجزيرة اوال واسس ملكا في شرق الجزيرة العربية تعاقب عليه ابناؤه واحفاده عرف بالامارة العيونية استمر حتى منتصف العقد الرابع من القرن السابع الهجري وقد دانت هذه الامارة بالولاء الى الخلافة السياسية في بغداد .

وكان للتطورات السياسية التي شهدتها عمان في هذه الحقبة اثار سلبية على الحركة الاباضية فيها ومستقبلها السياسي اذ زادت شقة الخلاف بين اقطاب الحركة فرقتي نزوى والرستاق مما ادى ذلك الى ظهور تكتلات قبلية ونزاعات مسلحة ادت بحياة الامامة نفسها في منتصف القرن السادس الهجري اذ لم تقم لها بعد قائمة حتى بداية القرن التاسع الهجري . وادى ذلك الى فسح المجال للنبهانية وهم احد بطون قبائل الازد في عمان الى تكوين دولة لهم تمتعت باستقلالها لمدة ثلاثة قرون . كما ان ضعف الحركة الاباضية وانقسامها مكن السلاجقة من الهجوم من كرمان بقيادة قاورد بك السلجوقي واخضاع ساحل عمان لنفوذه واستمر ذلك حتى منتصف القرن السادس الهجري عندما استطاعت القبائل العمانية استعادة نفوذها هناك وانهاء الوجود السلجوقي فيها .

ان الفراغ السياسي الذي حدث بسبب ضعف قبضة السلطة المركزية في الخليج العربي في هذه الحقبة وعجز السلاجقة عن ملئه ادى الى نمو عدد من المراكز التجارية التي تمكنت من بناء قوتها الذاتية معتمدة على قدرتها الاقتصادية بحكم هيمنتها على تجارة المنطقة ثم قوتها القبلية لانتمائها الى اكبر القبائل انتشارا هناك كعبد القيس في البحرين والازد في كل من جزيرة قيس وهرمز وعمان . وهكذا تمكنت هذه القوى من تكوين امارات عربية في هذه المراكز دانت بالولاء للخلافة حتى سقوطها عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م .

ان التطورات السياسية الانفة الذكر التي شهدتها منطقة الخليج العربي صاحبها تطورات ولها اثرت على بنيته الاقتصادية وتوزيعه السكاني ، فقد ظهرت مصر وانتهجت خطا مستقلا عن الخلافة في بغداد ، فاولت اهتماما خاصا لطريق البحر الاحمر الى الهند ، كما طورت علاقاتها التجارية مع مدن جنوب اوربا ، وشهدت هذه الحقبة الغزو الصليبي لبلاد الشام ووقوع اغلب القلاع والمدن الساحلية تحت قبضتهم مما اثر على علاقات العراق والخليج العربي التجارية مع تلك المناطق . وفي هذه الحقبة ايضا طورت الصين علاقاتها التجارية مع مناطق جنوب الجزيرة العربية . ان هذه العوامل مجتمعة لابد ان تترك بعض الاثار على البنية الاقتصادية لمنطقة الخليج العربي .

وهكذا وتحت ظل هذه الظروف او بعضها تراجعت مراكز تجارية كانت تحتل مركز الصدارة فيه من حيث عدد سكانها وحجمها وحركتها التجارية مثل البصرة وسيراف وصحار ، في الوقت الذي نمت فيه مراكز اخرى ساعدتها الظروف الانفة الذكر فزاد عدد سكانها وكبر حجمها واتسعت حركتها التجارية مثل الابلة والبحرين وجزيرة قيس وهرمز وقلهات ، وقد استمر نشاط هذه المراكز التجاري وازدهرت اقتصاديا طوال الحقبة المخصصة للبحث ، كما ان بعضها حافظ على تالقه حتى الغزو البرتغالي في بداية العصور الحديثة .

وبسبب نشاط هذه المراكز فقد ارتبطت بشبكة من الطرق مع بلدان الشرق الاقصى والهند وشرق افريقيا ، وقد شهدت هذه الحقبة اكتشاف طرق جديدة تربط هذه المراكز بالخليج العربي تميزت بسرعتها وقصر زمن الرحلة خلالها وذلك لانها تقطع عرض البحر مباشرة ، كالطريق الذي يبدأ من الصين ثم سومطرة ثم يصل مباشرة الى ظفار او عدن ، وكذلك الطريق الذي يبدأ من عمان الى مقاديشو مباشرة دون الحاجة الى المرور بموازاة الساحل . ان هذا التطور في استخدام الطرق البحرية جاء نتيجة التحسينات التي ادخلت على صناعة السفن خلال هذه الحقبة . فقد امتازت هذه السفن بسعتها وعمق غاطسها وقدرتها على تسخير الرياح في زيادة سرعتها . كما نشأ عدد من الطرق البرية

بين مراكز الخليج العربي والمناطق الداخلية المجاورة لها ، فقد ازدهر خلال هذه الحقبة طريق البحرين البصرة ، والطريق الذى يربط اليمن وظفار بالعراق عبر البحرين ، وفي الجانب الشرقي ازدهر الطريق الذى يربط كل من جزيرة قيس وهرمز بشيراز ، وكانت هذه المراكز منافذ مهمة لكل من فارس وكرمان الى البحر .

ومع نشاط الحركة التجارية في هذه المراكز ظهرت فيها عدد من الصناعات المختلفة كصناعة النسيج في البحرين والنحاس في عمان والسكر في الاحواز ، كما تطلب ذلك النشاط ايضا وجود حزام عريض من المناطق الزراعية حول تلك المراكز لتوفير ما يحتاجه السكان من محاصيل زراعية وكذلك لسد حاجة المسافرين منها خلال رحلاتهم البحرية الطويلة .

واخيرا فقد اثبت البحث ان الحركة التجارية في الخليج العربي استمرت في نشاطها على الرغم من الظروف المحلية والدولية التي ادت الى نشاط طريق البحر الاحمر منذ القرن الخامس الهجرى ، وان التاثير الذى تركته تلك التطورات على الخليج العربي هو في ضمور واضمحلال مراكز قديمة وظهور مراكز جديدة مكانها .

امل ان يكون هذا البحث قد اسهم في انارة جوانب من تاريخ هذا الاقليم وتوضيح ما غمض منه والله ولي التوفيق .
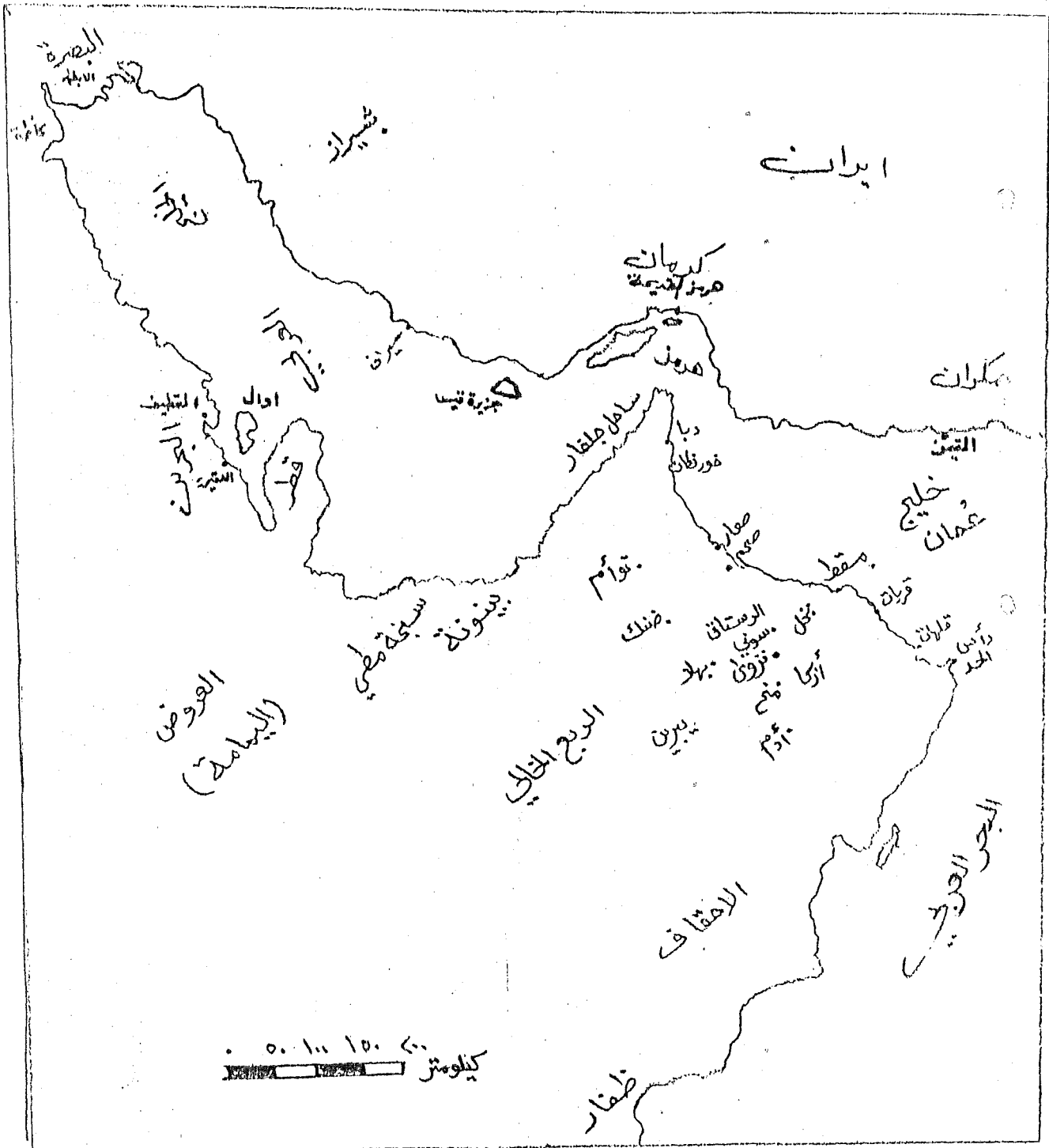
خارطة الخليج العربي تظهر فيها اهم الاماكن التي وردت في البحث ، عن كتاب عمان في العصور الاسلامية الاولى ، للدكتور عبد الرحمن العاني ، ص ١٧٨ .

عن كتاب التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي لسليمان العسكري ص ١٢٢ .

عن كتاب التجارة والملاحة في الخليج العربي ، سليمان العسكري ، ص ١٨٤ .

من كتاب العرب والملاحة في المحيط الهندي ، جورج فضلو حوراني ، ص ٣١٤

وكتاب عدن ، للدكتور محمد كريم ابراهيم ، ص ٤٠١ .

مصادر ومراجع البحث (١)

اولا : المصادر العربية المخطوطة

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ثالثا : المراجع العربية الحديثة

رابعا : الدوريات العربية

خامسا : المراجع والمقالات الاجنبية

---

(١) رتبت كتابة المصادر والمراجع بحسب الحروف الهجائية للاسم الذى اشتهر به المؤلف مع عدم اعتبار هذه الملحقات (ابن ـ ال) .

اولا : المصادر العربية المخطوطة

الأزكوي ، سرحان بن سعيد (ت في حدود ١١٤٠ هـ/ ١٧٠٨ م)

١ـ كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، برقم (٢٠٠٥) .

البرادي ، ابو القاسم بن ابراهيم (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٦٧م)

٢ـ الجواهر المنتقاة في ما اخل به كتاب الطبقات ، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، برقم (٢٠٢٢)

البسياني ، ابو الحسن علي بن محمد (ت القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد)

٣ـ المنجية على من ابطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ، مخطوطة من كتاب جامع السير العمانية في مكتبة الامام غالب بن علي ، الدمام ، المملكة العربية السعودية .

التيفاشي ، ابو العباس احمد بن يوسف (كان حيا في عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م).

٤ـ ازهار الافكار في جواهر الاحجار ، مخطوطة في المكتبة المركزية ، جامعة بغداد برقم (٤٥٢) .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

٥ـ تاريخ الاسلام الكبير ، مخطوطة في المكتبة المركزية ، جامعة البصرة تشتمل على حوادث النصف الاول من القرن الخامس الهجري برقم (١٣٣١).

ابن ابي عذيبة ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م) .

٦ـ انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، مخطوطة في المتحف العراقي ، دار صدام للمخطوطات برقم (٢٦٥) .

ابو المؤثر الصلت بن الخميس (من علماء الاباضية في القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد)

٧ـ الاحداث والصفات ، مخطوطة ضمن كتاب جامع السير العمانية في مكتبة الامام غالب بن علي الدمام ، المملكة العربية السعودية .

مؤلف مجهول (كان حيا في ٥٠٤هـ/١١١٠م).

٨ـ الملل والنحل ، مخطوطة في مكتبة الاوقاف ، بغداد ، برقم (٦٨١٦) وهو غير كتاب الشهرستاني .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٩ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، المكتبة الاسلامية ، طهران .

١٠ـ الكامل في التاريخ ، طبعة بيروت ١٩٦٦م .

الادريسي ، محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) .

١١ـ جزيرة العرب من نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تحقيق الدكتور ابراهيم شوكة مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

١٢ـ الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، تحقيق الدكتور ابراهيم شوكة مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢٣) بغداد ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

١٣ـ نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، الجزء الاول والسادس ، طبعة روما ، ١٩٨٢م .

١٤ـ وصف الهند وما يجاورها من البلاد ماخوذ من نزهة المشتاق في اختراق الافاق عني بجمعه وتصحيحه السيد مقبول احمد ، منشورات القسم العربي ، الجامعة الاسلامية الهند ، ١٩٥٤ .

الازدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) .

١٥ـ تاريخ الموصل ، تحقيق الدكتور علي حبيبه ، القاهرة ١٩٦٧م .

الازكوي ، سرحان بن سعيد (ت في حدود ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م) .

١٦ـ تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لاخبار الامة ، تحقيق عبد المجيد القيسي دار الدراسات الخليجية ، ابو ظبي ، ١٩٧٦م .

الاسفراييني ، ابو المظفر (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)

١٧ـ التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ، بغداد ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) .

١٨ـ حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، منشورات دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦٧م .

الاصبهاني عماد الدين الكاتب (٥٦٧هـ/ ١٢٠٠م) .

١٩ـ تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٤م .

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

٢٠ـ الاقاليم ، منشورات مكتبة المثنى بغداد .

٢١ـ المسالك والممالك ، تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال ، مصر ، ١٩٦١م .

الاصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ/ ٨٣١م) .

٢٢ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، تحقيق محمد حسن ال ياسين ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٩م .

الانصاري ، عبد القادر بن محمد (كان حيا في ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) .

٢٣ـ درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٤هـ .

البسياني ، ابو الحسن علي بن محمد (ت القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي .

٢٤ـ مختصر البسيوي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا الله ومحمد علي زرقة ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٣٩٧هـ .

ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) .

٢٥ـ رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، طبعة بيروت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م .

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٤م) .

٢٦ـ جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، الكويت ١٩٧٧م .

٢٧ـ معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، ط١ ، القاهرة ١٩٤٥ .

البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) .

٢٨ـ فتوح البلدان ، منشورات مكتبة الهلال ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

التطيلي ، بنيامين بن يونة الاندلسي (كان حيا في ٥٦٦هـ/ ١١٧٣م) .

٢٩ـ رحلة بنيامين ، ترجمها عن العبرية وعلق على حواشيها عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥م .

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٦م) ٠

٣٠ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ط١ ، مصر ، ١٩٣٢م ٠

التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي ، (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) ٠

٣١ـ نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، ١٩٧٣م ٠

ابن تيمية ، احمد ، (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) ٠

٣٢ـ الحسبة في الاسلام ، القاهرة ، ١٣١٨هـ ٠

ثابت بن سنان (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) ٠

٣٣ـ تاريخ اخبار القرامطة ، تحقيق سهيل زكار ، بيروت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ٠

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) ٠

٣٤ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، القاهرة ، ١٩٠٨م ٠

٣٥ـ لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي ، مصر ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ٠

الجاحظ ، ابو عمرو عثمان بن بحر ، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) ٠

٣٦ـ التبصر بالتجارة ، بيروت ، ١٩٦٦م ٠

ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

٣٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ١٣٥٨هـ ٠

ابن حبيب ، ابو جعفر عبد الله بن حبيب بن امية الهاشمي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) ٠

٣٨ـ المحبر ، رواية ابو سعيد الحسن بن سعيد السكري ، اعتنت بتصحيحه الدكتورة ايلزة شتيتر ، بيروت ، ١٩٤٢م ٠

ابن ابي حديد ، ابو حامد عز الدين عبد الحميد المدائني (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ٠

٣٩ـ شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية مصر ١٩٦٣م ٠

ابن حزم ، ابو محمد علي بن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ٠

٤٠ـ جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون مصر ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ٠

الحمادي اليماني ، محمد بن مالك ، (ت منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ٠

٤١- كشف اسرار الباطنية واخبار القرامطة، تحقيق محمد زاهر الكوثري ط٢، ١٩٥٥م .

الحسيني ، صدر الدين علي بن ناصر (ت بعد سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) .

٤٢- زبدة التواريخ في اخبار الامراء والملوك السلجوقية ، تحقيق الدكتور محمد نور الدين ،
ط٢ ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) .

٤٣- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٥م .

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) .

٤٤- صورة الارض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبد الله (ت في حدود ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) .

٤٥- المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٦م .

الخزرجي ، علي بن الحسن (ت ٦٦٤هـ/ ١٢٦٤م) .

٤٦- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عني بتصحيحه محمد بسيوني ، مطبعة
الهلال ، مصر ، ١٣٢٦هـ/ ١٩١١م .

الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) .

٤٧- تاريخ بغداد ، القاهرة ، ١٩٣١م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) .

٤٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٧م .

٤٩- المقدمة ، المكتبة التجارية ، مصر .

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

٥٠- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٢م .

الخوارزمي ، محمد بن احمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٨٨م) .

٥١- مفاتيح العلوم ، مطبعة الشرق مصر ، ١٣٤٢هـ .

ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) .

٥٢- جمهرة اللغة ، ط١ ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٤٢م .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

٥٣ـ دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت و محمد مصطفى ابراهيم ، مصر ، ١٩٧٤م ٠

٥٤ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ط١ مصر ، ١٩٦٣م ٠

الرازي ، ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) ٠

٥٥ـ الجرح والتعديل ، ط١ ، حيدر ابلد الدكن ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م ٠

ابن رزيق ، حفيد بن محمد بن رزيق بن بخيت (ت١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م) ٠

٥٦ـ الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان ، تحقيق عبد المنعم عامر ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ٠

٥٧ـ الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر والدكتور محمد مرسي عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٧م ٠

الروذراوري ، ابو شجاع محمد بن حسين (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) ٠

٥٨ـ ذيل تجارب الامم ، اعتنى بتصحيحه هـ ـ ف امدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ، مصر ١٩١٦م

الزمخشري ، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) ٠

٥٩ـ الجبال والامكنة والمياه ، مطبعة السعدون ، بغداد ١٩٦٨م ٠

الزهري ، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (ت اواسط القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

٦٠ـ الجغرافيا ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، دمشق ١٩٦٨م ٠

ابن الساعي ، علي بن انجب (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م) ٠

٦١ـ الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، عني بنشره مصطفى جواد ، المطبعة الكاثوليكية ، بغداد ، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م ٠

٦٢ـ مختصر اخبار الخلفاء ، ط١ ، مصر ، ١٣١٠هـ ٠

سبط ابن الجوزي ، شمس الدين ابو المظفر يوسف قزاوغلي بن عبد الله (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) ٠

٦٣ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، الحقبة من (٣٤٥هـ ـ ٤٤٧م) دراسة وتحقيق جنان جليل ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٩٠م ٠

السالمي ، ابو بكر احمد بن سعيد (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ٠

٦٤ـ ديوان السالمي ، تحقيق عز الدين التنوخي ، دمشق ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م ٠

ابن سعد ، محمد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ٠

٦٥ـ الطبقات ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م .

ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) .

٦٦ـ الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل المغربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠م .

ابن سلام ، ابو القاسم عبيد (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) .

٦٧ـ الاموال ، صححه وعلق على حواشيه محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية ، مصر ، ١٣٥٣هـ .

السمعاني ، ابو سعد عبد الكريم بن محمد (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) .

٦٨ـ الانساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

السيرافي ، سليمان التاجر (كان حيا في ٢٣٧هـ/ ٨٥١م) .

٦٩ـ اخبار الصين والهند ، نشرها المستشرق سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

٧٠ـ تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، مصر ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م .

الشقصي الرستاقي ، خميس بن سعيد بن علي (كان حيا في ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) .

٧١ـ منهج الطالبين وبلاغ الراغبين ، تحقيق سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

الشماخي ، احمد بن سعيد (ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) .

٧٢ـ مقدمة التوحيد ، ترجمها عن البربرية ابو حفص عمرو بن جميع ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م .

الشماخي ، عامر بن علي (ت القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد)

٧٣ـ الايضاح ، دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

شيخ الربوة ، ابو عبد الله محمد بن ابي طالب الانصاري الدمشقي (ت٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) .

٧٤ـ نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، قام بتصحيحه اغسطس بن يحيى ، بطرسبرغ ، ١٨٦٥م .

الشيرازي ، ابراهيم بن علي بن يوسف الشافعي (ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) .

٧٥ـ طبقات الفقهاء ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

٧٦ـ نكت الهميان في نكت العميان ، المطبعة الجمالية ، مصر ، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م .

الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) .

٧٧- تاريخ الرسل والملوك، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.

ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

٧٨- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، مكتبة النهضة، مصر.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٧٩- تهذيب تاريخ دمشق الكبير هذبه ورتبه عبد القادر بدران، ط٢ بيروت/ ١٩٧٩م.

عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي (ت٥٩٦هـ/ ١١٧٣م).

٨٠- المفيد في اخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد علي الاكوع، ط٢، ١٣٦٦هـ/ ١٩٥٦م.

العوتبي، سلمة بن مسلم، (ت القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي)

٨١- الانساب، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٤م.

ابو غانم، بشر بن غانم الخراساني الاباضي (ت القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد).

٨٢- المدونة الكبرى، دار اليقظة العربية للتاليف والنشر، سوريا ولبنان ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الغرناطي، محمد بن عبد الرحيم ابو حامد الاندلسي (كان حيا في ٥٥٧هـ/ ١١٦١م).

٨٣- تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، باريس ١٩٥٥م.

ابو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

٨٤- تقويم البلدان، تحقيق ماك كوكين دي سلان، باريس، ١٨٤٠م.

٨٥- المختصر في اخبار البشر، ط١، مصر، ١٣٢٥م.

ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني، (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٥م).

٨٦- مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، بريل، ليدن ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م.

ابن الفوطي ابو الفضل عبد الرزاق (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م).

٨٧- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تصحيح وتعليق الدكتور مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥١هـ.

ابن القاسم، يحيى بن الحسين، (ت١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م).

٨٨- غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٦٨م.

قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٨م).

٨٩- الخراج وصنعة الكتابة، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي، بغداد ١٩٨١م.

القزويني ، ابو زكريا محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)٠

٩٠ ـ اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ٠

القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ٠

٩١ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ، ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م ٠

٩٢ ـ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، حققه ابراهيم الابياري ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٢م ٠

٩٣ ـ نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق علي الخاقاني ، مطبعة النجاح ، بغداد ١٩٥٨م ٠

ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ٠

٩٤ ـ البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ط١ ، بيروت ١٩٦٦م ٠

الكرماني ، افضل الدين ابو حامد (ت٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ٠

٩٥ ـ بدايع الزمان في وقايع كرمان ، تحقيق الدكتور مهدي بياني ، طهران ، ١٣٢٦هـ ٠

الكندي ، ابو بكر احمد بن عبد الله (ت٥٥٧هـ/ ١١٦١م) ٠

٩٦ ـ الجوهر المختصر ، تحقيق الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٠

٩٧ ـ المصنف ، تحقيق عبد المنعم عامر والدكتور جار الله احمد ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٧٩م ٠

ابن لعبون ، حمد بن محمد الوائلي الحنبلي (ت١٢٤٧هـ/ ١٨١٢م) ٠

٩٨ ـ تاريخ ابن لعبون ، مطبعة ام القرى ، ط١ ، ١٣٥٧هـ ٠

ماركوبولو ، (ت٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م) ٠

٩٩ ـ رحلات ماركوبولو ، ترجمها الى العربية عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧م ٠

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ٠

١٠٠ ـ الاحكام السلطانية ، مراجعة الدكتور محمد مهدي السراج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ١٩٧٨م ٠

المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) ٠

١٠١ ـ الكامل في اللغة والادب ، مكتبة المعارف ، بيروت ٠

ابن المجاور ، بن محمد بن مسعود بن علي بن احمد (كان حيا في ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

١٠٢ ـ تاريخ المستبصر او صفة بلاد اليمن ، اعتنى بتصحيحها اسكر لوفغرن ليدن ، ١٩٥٤م .

ابو مخرمة ، عبد الله بن الطيب (ت٩٤٧هـ/١٥٤٠م) .

المرزوقي ، احمد بن محمد بن الحسن (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

١٠٣ ـ الازمنة والامكنة ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٣٢هـ .

المروزى ، شرف الزمان طاهر (كان حيا في ٥١٤هـ/١١٢٠م) .

١٠٤ ـ ابواب في الصين والترك والهند ، لندن ، ١٩٤٢م .

المسعودى ابو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

١٠٥ ـ التنبيه والاشراف ، اعتنى بتصحيحه عبد الله اسماعيل الصاوى ، المكتبة العصرية ، بغداد ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .

١٠٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، القاهرة ١٩٧٤م .

مسكويه ، ابو علي احمد بن عمر (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

١٠٧ ـ تجارب الامم ، اعتنى بتصحيحه هـ . ف . امد روز مطبعة التمدن الصناعية ، مصر ١٩١٤م .

ابن المعمار البغدادى ، ابو عبد الله محمد بن ابي المكارم (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م) .

١٠٨ ـ الفتوة ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد واخرون ، بغداد ، ١٩٥٨م .

المقدسي البشاري ، ابو عبد الله محمد الشافعي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م) .

١٠٩ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، ليدن ، ١٩٠٦م .

ابن المقرب ، ابو الحسن علي بن المقرب العيوني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

١١٠ ـ ديوان ابن المقرب ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، ط١ ، منشورات مكتبة التعاون الثقافي الاحساء ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

١١١ ـ ديوان ابن المقرب ، المطبعة الميرية ، مكة المكرمة ، ١٣٠٧هـ .

المقريزى ، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م) .

١١٢ ـ اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

الملك الاشرف الغساني ، (ت٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) ٠

١١٣ ـ العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ، دار البيان بغداد ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ٠

المنجم ، اسحق بن حسين ، (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ٠

١١٤ ـ اكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان ، بدون تاريخ ٠

المنذري ، ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ٠

١١٥ ـ التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد ، مطبعة الاديب ، النجف الاشرف ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ٠

مؤلف مجهول ، (توفي حوالي ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م) ٠

١١٦ ـ تاريخ اهل عمان ، تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ٠

ناصر خسرو علوي (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ٠

١١٧ ـ سفر نامه ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٥م ٠

ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) ٠

١١٨ ـ الفهرست ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ٠

الهمداني ، لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) ٠

١١٩ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد علي الاكوع ، منشورات دار اليمامة الرياض ١٣٩٤هـ ٠

ابن الهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت٥٢١هـ / ١١٢٧م) ٠

١٢٠ ـ تكملة تاريخ الطبري ، حققه يوسف البرت كنعان ، ط ٢ ، بيروت ١٩٦١م ٠

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) ٠

١٢١ ـ مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، دار القلم القاهرة ، ١٩٦٠م ٠

ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) ٠

١٢٢ ـ تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٦٩م ٠

١٢٣ ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مطبعة مصطفى بابا الحلبي ٠

اليافعي ، ابو محمد عبد الله بن اسعد (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) .

١٢٤ـ مراة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط١ حيدر اباد الدكن ١٣٣٨هـ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) .

١٢٥ـ معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥م .

١٢٦ـ المشترك وضعا والمفترق صقعا ، كوتنجن ، ١٨٤٦م .

١٢٧ـ المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تحقيق الدكتور ناجي حسن ، ط١ ، بغداد ١٩٨٧م .

اليعقوبي ، احمد بن يعقوب بن جعفر بن واضح (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) .

١٢٨ـ البلدان ، طهران ، ١٩٦٥م .

١٢٩ـ تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

ابو يعلى ، محمد بن الحسن الفراء (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) .

١٣٠ـ الاحكام السلطانية ، صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ، ط٣ ، مكتبة احمد بن سعيد بن نبهان ، اندونيسيا ، ١٣٩٤هـ .

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت١٨٢هـ/ ٧٩٨م) .

١٣١ـ الخراج ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٦هـ .

ثالثا : المراجع العربية الحديثة

ابراهيم ، الدكتور محمد كريم

١٣٢ـ عدن دراسة في احوالها السياسية الاقتصادية (٤٧٦هـ ـ ٦٢٦هـ) منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٥م .

الاحسائي ، محمد بن عبد الله

١٣٣ـ تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، مع ملحقاته ، اشرف على طبعه وعلق عليه ، حمد الجاسر ، ط١ ، ١٣٧٩هـ .

احمد ، الدكتور لبيد ابراهيم ، والدكتور عبد الجبار ناجي ،

١٣٤ـ العمق التاريخي العربي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي ، بغداد ١٩٩١م .

اشتور ،

١٣٦ـ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة للنشر ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

اقبال ، عباس

١٣٧ـ الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة وتعليق الدكتور احمد كمال الدين حلمي ، الكويت ١٩٨٤م .

الانصاري ، الدكتور عبد الرحمن الطيب

١٣٨ـ قرية الفاو ، صورة للحضارة العربية قبل الاسلام ، جامعة الرياض ١٤٠٤هـ .

الباروني ، ابو الربيع سليمان

١٣٩ـ مختصر تاريخ الاباضية ، تونس ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .

الباشا ، الدكتور حسن

١٤٠ـ الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، مصر ١٩٦٥م .

ابو بشير السالمي

١٤١ـ نهضة الاعيان بحرية عمان ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الجاسر ، حمد

١٤٢ـ المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، المنطقة الشرقية ، البحرين قديما ، القسم الاول منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

جواتيا ين ، س . د

١٤٣ـ دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية ، تعريب وتعليق الدكتور عطية القوصي ط١ ، الكويت ١٩٨٠م .

جوزي ، بندلي

١٤٤ـ من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دار الروائع بيروت .

الحارثي ، سالم بن حمد بن سليمان العماني الاباضي

١٤٥ـ العقود الفضية في اصول الاباضية ، دار اليقظة سوريا ولبنان ، ١٩٧٤م .

ابو حاكمة ، احمد مصطفى

١٤٦ـ محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية ، مصر ١٩٦٨م .

حسن ، الدكتور حسن ابراهيم

١٤٧- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط٧ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٦٥م .

١٤٨- الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤م .

حمدي ، حافظ احمد

١٤٩- الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، منشورات دار الفكر العربي مصر ، ١٩٥٠م .

حوراني ، جورج فضلو

١٥٠- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى ، ترجمة يعقوب بكر ، مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥٨م .

الحياري ، الدكتور مصطفى

١٥١- الامارة الطائية في بلاد الشام ط١ عمان ١٩٧٧ .

خصباك ، جعفر

١٥٢- العراق في عهد المغول الايلخانيين ، بغداد ١٩٦٨م .

الخضيري ، الدكتور علي عبد العزيز

١٥٣- علي ابن المقرب العيوني حياته وشعره ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

خليفات ، الدكتور عوض

١٥٤- نشأة الحركة الاباضية ، عمان ، ١٩٧٨م .

الخيرو ، رمزية عبد الوهاب

١٥٥- تجارة الخليج العربي واثرها في الحياة الاقتصادية في منطقة الخليج والعراق منذ صدر الاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري بغداد ١٩٨٧م .

١٥٦- دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة احمد الشنتناوي واخرون ، مصر ١٩٣٣م .

الدوري ، الدكتور عبد العزيز

١٥٧- دراسات في العصور العباسية المتاخرة مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٤٥م .

١٥٨- العصر العباسي الاول ، القاهرة ١٩٧٢م .

رفلة ، فيليب

١٥٩ - جغرافية الوطن العربي ، ط ٢ القاهرة .

الريحاني ، امين

١٦٠ - ملوك العرب المطبعة الرابعة ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٠ م

زامباور ، اد ورد فون

١٦١ - معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة واخراج محمد حسن زكي واخرون ، بيروت ١٩٨٠ م .

زلوم ، عبد القادر

١٦٢ - عمان والامارات السبع ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

زيادة ، نقولا

١٦٣ - الجغرافية والرحلات عند العرب دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٢ م .

السالمي ، نور الدين عبد الله بن حميد

١٦٤ - تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان ، تحقيق ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ، ط ٥ ١٩٧٤ م .

١٦٥ - جوهر النظام في علم الاديان والاحكام ، ط ١ مصر ١٣٤٤ هـ .

السالمي وعساف ، محمد عبد الله وناجي

١٦٦ - عمان تاريخ يتكلم ، المطبعة العمومية ، دمشق ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

سامر ، الدكتور فيصل

١٦٧ - الاصول التاريخية للحضارة العربية الاسلامية في الشرق الاقصى ، دار الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٦ م .

١٦٨ - ثورة الزنج ، بيروت ١٩٧١ م .

سرور ، الدكتور محمد جمال الدين

١٦٩ - الحضارة الاسلامية في المشرق من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى القاهرة ، ١٩٧٠ م .

سنان ، محمود بهجت

١٧٠ - البحرين درة الخليج ، ط ١ بغداد ١٩٦٧ م .

السيابي ، سالم بن حمود

١٧١ـ اسعاف الاعيان في انساب اهل عمان ، منشورات المكتب الاسلامي ، بيروت ١٩٦٥م .

١٧٢ـ اصدق المناهج في تمييز الاباضية عن الخوارج ، تحقيق الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٩٧٩م .

١٧٣ـ عمان عبر التاريخ ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

١٧٤ـ العنوان عن تاريخ عمان ، نشر على نفقة الشيخ احمد بن محمد الحارثي ، بدون تاريخ . شركة الزيت العربية الامريكية

١٧٥ـ عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٢م .

شهاب ، حسن صالح

١٧٦ـ فن الملاحة عند العرب ، منشورات مركز البحوث اليمنية ، ط١ ، صنعاء ١٩٨٢م .

الشيباني ، محمد شريف

١٧٧ـ تاريخ القبائل العربية في السواحل الفارسية مطابع دار الكتاب ط١ ، بيروت ١٩٦٨م .

الصيني ، بدر الدين حي

١٧٨ـ العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة ، ط١ ، القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م .

ضيف ، الدكتور شوقي

١٧٩ـ تاريخ الادب العربي ، عصر الدول والامارات ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٠م .

الظاهري ، ابو عبد الرحمن بن عقيل

١٨٠ـ انساب الاسر الحاكمة في الاحساء ، منشورات دار اليمامة ، ط١ ، الرياض ١٩٨٣م .

العاني ، الدكتور عبد الرحمن

١٨١ـ عمان في العصور الاسلامية الاولى ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٧م .

العسكري سليمان ابراهيم

١٨٢ـ التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي ، القاهرة ١٩٧٢م .

العقيلي ، الدكتور محمد ارشيد

١٨٣ـ الخليج العربي في العصور الاسلامية منذ فجر الاسلام حتى مطلع العصور الحديثة ، دار الفكر ، ط٢ ، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

العلي ، الدكتور صالح احمد

١٨٤ ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجرى ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٥٣ م .

١٨٥ ـ محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٦ ، بغداد ١٩٦٠ م .

علي ، الدكتور جواد

١٨٦ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط١ ، بيروت ١٩٦٩ م .

١٨٧ ـ عمان وتاريخها البحرى ، اصدار وزارة الاعلام والثقافة ، سلطنة عمان ١٩٧٩ م .

عمر ، الدكتور فاروق

١٨٨ ـ تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى ، دار واسط ، ط٢ ، بغداد ١٩٨٥ م .

١٨٩ ـ مقدمة في دراسة التاريخ العماني ، بغداد ١٩٧٩ م .

عمّار طالبي ، الدكتور

١٩٠ ـ اراء الخوارج الكلامية ، الجزائر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

غنيمة ، يوسف رزق الله

١٩١ ـ تجارة العراق قديما وحديثا ، بغداد ١٩٢٢ م .

فيليبس ، وندل

١٩٢ ـ تاريخ عمان ، ترجمة محمد امين عبد الله ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

قاسم ، جمال زكريا

١٩٣ ـ دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨م .

القلعجي ، قدرى

١٩٤ ـ الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٥م .

كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش

١٩٥ ـ تاريخ الادب الجغرافي العربي ، نقله الى العربية صلاح الدين عثمان ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م .

كرستنسن ، آرثر

١٩٦ ـ ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٥٧م .

لاندن ، روبرت جيران

١٩٧ ـ عمان منذ عام ١٨٥٦م مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد امين عبد الله ، ١٩٧٠م .

لوريمر ، ج . ج

١٩٨ ـ دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر ، دار الكتب العربية للطباعة بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

لسترنج ، كي

١٩٩ ـ بلدان الخلافة الشرقية ، نقله الى العربية ، بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م .

متز ، ادم

٢٠٠ ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى ابو ريده ، منشورات دار الكتاب العربي ، ط١ بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م .

متولي ، محمد

٢٠١ ـ حوض الخليج العربي ، منشورات مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ١٩٧٠م .

محمد ، جاسم ياسين

٢٠٢ ـ عمان دراسة في احوالها السياسية والادارية (٢٨٠ ـ ٤٤٧هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة ١٩٨٦م .

المصرى الدكتور حسين علي

٢٠٣ ـ تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي (٧٤٩م ـ ١٢٥٨م) دار الحداثة ، بيروت ١٩٨٢م .

٢٠٤ ـ تجارة العراق في العصر العباسي ، جامعة الكويت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

المسلم ، محمد سعيد

٢٠٥ ـ ساحل الذهب الاسود ، منشورات مكتبة الحياة ، ط٢ ، بيروت ١٩٦٢م .

مصطفى ، الدكتور شاكر

٢٠٦ـ التاريخ العربي والمؤرخون ، ط٢ بيروت ١٩٧٨م .

٢٠٧ـ دولة بني العباس ، ط١ ، الكويت ١٩٧٣م .

المعاضيدي ، الدكتور خاشع

٢٠٨ـ دولة بني عقيل في الموصل (٣٨٠هـ ـ ٤٨٦هـ) ، مطبعة شفيق ، بغداد ١٩٦٨م .

معمر ، علي يحيى

٢٠٩ـ الاباضية في موكب التاريخ ، ط١ ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .

المغيري ، عبد الرحمن بن حمد بن زيد

٢١٠ـ المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٥م .

الموسوي ، مصطفى عباس

٢١١ـ العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٢ .

ناجي ، الدكتور عبد الجبار

٢١٢ـ دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية ، البصرة ١٩٨٦م .

النبهاني ، الشيخ محمد بن خليفة بن حمد بن موسى

٢١٣ـ التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ، المطبعة المحمودية ، ط٢ مصر ١٣٤٢هـ
وكذلك نسخة أخرى من منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ط٢ ، جامعة البصرة ١٩٦٨م .

النجم ، عبد الرحمن عبد الكريم

٢١٤ـ البحرين في صدر الاسلام وأثرها في حركة الخوارج ، مطبعة الجمهورية بغداد ١٩٧٣م .

الهاشمي ، رضا

٢١٥ـ تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد البحوث والدراسات
العربية بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

الهمداني ، حسين بن فيض الله

٢١٦ـ الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من سنة ٢٦٨هـ ـ ٦٢٦هـ ، مصر ١٩٥٥م .

الهنائي ، مبارك بن علي

٢١٧ـ العمانيون وقلعة بهلا ، سلطنة عمان ١٩٨٠م .

ولكنسون ، ج ٠ س

٢١٨ـ عمان تاريخا وعلماء ، ترجمة محمد امين عبد الله ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٩٨٠ م ٠

ويلسون ، ارنولد

٢١٩ـ الخليج العربي ، مجمل تاريخي من اقدم الازمنة حتى اوائل القرن العشرين، نقله الى العربي عبد القادر يوسف منشورات مكتبة الامل ، الكويت ، بدون تاريخ ٠

ويليامسون ، اندرو

٢٢٠ـ صحار عبر التاريخ ، ترجمة محمد امين عبد الله ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، ١٩٧٦م ٠

اليوزبكي ، الدكتور توفيق سلطان

٢٢١ـ دراسات في النظم العربية الاسلامية، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٧٧م ٠

رابعا : الدوريات العربية

احمد ، الدكتور لبيد ابراهيم

٢٢٢ـ مكانة الخليج العربي التجارية ومصادرها خلال العصور الاسلامية الوسطى مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢٤) سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ٠

بشير ، ابراهيم بشير

٢٢٣ـ ابن المجاور دراسة تقويمية لكتابه تاريخ المستبصر ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني ، الرياض ١٩٧٩م ٠

البكر ، الدكتور منذر

٢٢٤ـ العرب والتجارة والملاحة منذ اقدم العصور الى نهاية العصر الروماني ، مجلة المربد عدد (٤) السنة (٣) ١٩٧٠م ٠

الجنحاني ، الدكتور الحبيب

٢٢٥ـ دور عمان في نشاط التجارة العالمية خلال العصر الاسلامي الاول، مجلة المؤرخ العربي العدد (٢٢) سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ٠

حسنين محمد ربيع .

٢٢٦ـ وثائق الجنيزة واهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

الحميدان، الدكتور عبد اللطيف

٢٢٧ـ امارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، مجلة كلية الاداب جامعة البصرة العدد (١٥) سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

الخروصي، سليمان بن خلف

٢٢٨ـ دولة اليحمد في عمان من (١٧٥هـ ـ ٢٦٧هـ)، حصاد ندوة الدراسات العمانية الجزء الاول، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

الخطيب، احمد موسى

٢٢٩ـ العناصر التراثية في شعر علي بن المقرب، مجلة الوثيقة، وهي نصف سنوية يصدرها مركز الوثائق التاريخية في البحرين، العدد (١٦) السنة الثامنة ١٩٩٠م .

الدخيل، سليمان

٢٣٠ـ تحفة الالباء في تاريخ الاحساء، مجلة العرب، الجزء (٥و٦) سنة ١٩٧٥م .

ذانج هو

٢٣١ـ المعاملات بين العرب والصين في العصور الوسطى، حصاد ندوة الدراسات العمانية الجزء السادس، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .

زيادة، الدكتور نقولا

٢٣٢ـ تطور الطرق التجارية البحرية بين البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، السنة الاولى، العدد (٤) .

٢٣٣ـ الجزيرة العربية في اخبار المؤرخين الصينيين، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، الرياض ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

سالم، السيد عبد العزيز

٢٣٤ـ تجارة الاندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي، ندوة تكانة الخليج

العربي في التاريخ الاسلامي ، العصر العباسي جامعة الامارات العربية المتحدة ١٩٨٩م
صالح ، محمد امين

٢٣٥ـ بنو معن ثم آل زريع في عدن ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١٥) سنة ١٩٨٠م .
السراف ، عبد الله شكر

٢٣٦ـ ما ضرب من النقود باسم الخليفة المستكفي بعد خلعه مجلة المسكوكات ، تصدرها مديرية الاثار العراقية العامة ، الجزء الثاني مجلد (١) سنة ١٩٦٩م .
عاشور ، الدكتور سعيد

٢٣٧ـ عمان حصن الامان للعروبة والاسلام ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، الجزء الاول ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠م .
عبد رباني ، صادق

٢٣٨ـ الدولة العمانية نشاتها وتطورها ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، الجزء الثاني ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٩٨٠م .
العتي ، الدكتور محمد ابو الفرج

٢٣٩ـ النقود العربية الاسلامية المضروبة في مدن شرق الجزيرة العربية ، لجنة تدوين تاريخ قطر ، الجزء الاول ، الدوحة ١٩٧٦م .
غنيمة ، يوسف رزق الله

٢٤٠ـ صناعات العراق في عهد العباسيين ، مجلة غرفة تجارة بغداد ، العدد (٨) ١٩٤١م .
القوصي ، الدكتور عطية

٢٤١ـ سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري حتى القرن السادس ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد (٢٣) سنة ١٩٧٦م .
لبيب ، الدكتور صبحي

٢٤٢ـ التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد (٤) العدد (٢) سنة ١٩٥٢م .
ماجد ، الدكتور عبد المنعم

٢٤٣ـ سياسة الفاطميين في الخليج العربي مستمدة من السجلات المستنصرية ، وثائق فاطمية معاصرة مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٢) سنة ١٩٨٠م ٠

ناجي ، الدكتور عبد الجبار

٢٤٤ـ بغداد والخليج العربي في العصر الوسيط مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٢) السنة الثانية ، ١٩٧٥م ٠

٢٤٥ـ دوافع قرامطة البحرين في السيطرة على البصرة في القرن الرابع الهجري مجلة كلية الاداب ، جامعة البصرة ، العدد (٨) السنة السادسة ١٣٦٣هـ/ ١٩٧٢م ٠

ويلكنسون ، د ونالد

٢٤٦ـ دراسة لاثار عمان ، بحث تمهيدي عن العصور الاسلامية ، مجلة الدراسات العمانية تصدرها وزارة الاعلام والثقافة ، سلطنة عمان ، سنة ١٩٧٨م ٠

خامسا : المراجع والدوريات الاجنبية

Bathurst , R.D.

247- Maritime trade and Imamate goverment :Tow principle themes in the his tory of oman to 1728, in the Arabian Peninsula, ed by Howood , London , 1972.

Bosworth , G.E.

248- The Political dynastic history of the Iranians world ,1000-1217 , In the Cambridge his tory of Iran ,Vol,5 Cambridge, 1968.

Quest , Ahavon .

249- Zufar inthe middle ages ,in Islam Culture, July 1935.

Ingrams , W.H.

250- Zan Zibar , Its history and its people, London 1,67.

Kashel ,

251- Abd Al - Kays , in EI . 2.

Lock hart , L.

252- Hurmuz , in E.I. 2.

Miles , S.B.

253- The Countries and tribes of the (Arabian) Gulf,London,1966.

Naji , Abdul Jabbar .

254- Basra (295- 447/907 -1055), Thsis Sumbmitted for the degree of Doctor of Philo sphy, University of London ,school of Oriental and Afri can, London ,1970.

Rentz , G, and Mulligan , W.E.

255- Al - Bahrain , in E.I.2.

256- Al - Kati f , in E.I.2.

Ross , E.C.

257- Annals of Oman to 1778 , by Sirhan b.Said -b- Sarhan .

Sha'ban , M.A.

258- Islamic history , new inter pretation , London ,1967 .

Smith , G.R.

259- The Omani Manuscript Collection of Muscat , Part, 1, in Arabian Studies , Vol.4. London , 1978.
Sheet , ...
260- Muscat , Oman , The end of era , London, 1974.
Stern , S.M.
261- Ramisht of Siraf , Amerchent Millionair of the twelfth Century , in Journal of the Royal Asiatic Society of great Britain , Part I, Lonolon , 1967 .
Teixira , Pedro .
262- Travels of pealro Teixira with "His Kings of Aurmuz " , Tran suluted by W.F.Sinc lair, London , 1,02.
Wilkinson , J.C.
263- Al - Bahrain and Oman , Al - Watheekah , No,7,4 th year.1985
264 - Bio- bibliog raphi cal back ground of the Crisis period in the Ibadi Imamate of Oman ,End of ,th bo 14 th Century , in Arabian studies , Vol,3.London , 1976.
265- The Imamate tradition of Oman , Camb ridge Universiry Press, 1987 .
266- The Origins of the Omani state ,in Arabian Peninsula , ed by Hopwood ,London , 1972.
267- The Omani Manuscript Collection of Muscat,part,2,the early ibadi Fiqh work , Arabian studies, Vol,4,London, 1978.
268- Sources of early of Oman, Unpuplished paper read inthe first international sympoim of studies in the history of Arabia, University of Riyad , 1977.
269- Water and tribal settle ment in southeast Arabia , Astudies of Aflaj of Oman , London , 1977.

Abstract

Since the 5th Century of Hijra, the Arab Gulf area witnessed political and economic developments which deeply affected the prevalent powers, economic structures, and population distribution. When the Qaramites rule in Bahrain weakened in the middle of the 5th century of Hijra, Abdullah bin Ali Al-Ayooni, a valiant man from Ahsa' could seize power and annex Kateef and Awal Island (Bahrain now). The Ayoonite Emirate continued up to the fourth decade of the 7th Century of Hijra.

In Oman at that time, the political developments led to tribal schisms and armed clashes. These ultimately conduced to the fall of the Immamite itself in the mid 6th Century of Hijra. The fall of the Immamite led to the establishment of the Nebhanite state which survived for three centuries. Suljuqites could make use of the struggles and schisms and so they were able to subject Oman to their hegemony. Omani tribes, however, could in the middle of the 6th Century of Hijra restore power and terminate the Suljuqite domination.

The fluctuating political situation at theat epoch helped the establishment of a number of commercial centres which could set set up their powers depending on their economic potentialities. These centres were able to form strong Arab Emirates which were affilated to the Abbasid Caliphate up to its fall in 1258 A.D.

These developments in the Arab Gulf were accompanied with other world developments. Egypt, for example, paid, away from the Caliphate in Baghdad, special aattention to the Red-Sea-India route and furthered commercial ties with southern Europe. That period witnessed also the crusades where most castles and littoral cities in Sham were occupied. This event exercised a negative influence on the commercial relationships between the Arab Gulf area and these places. China, on its part, developed commercial ties with the Emirates in southern Arabia.

Some commercial centres, due the above circumstances, began to lose priority such as Basrah, Sirat and Sahar. Other centres like Ubella, Bahrain, Hurmuz and Qais Island flourished.

some of these latter centres continued ceaslessly up to the portuguese invasion of the area. These centres were active through a network of routes with the Far East, India and East Africa. New commercial marine routes were discovered at that particular era; they were characterized by more speed, less time and direct trips.

A number of land routes between these centres and areas adjoining to them were established such as Bahrain-Basra route and Yemen-Dhafar-Iraq route via Bahrain. With the commercial boom of these centres, a number of industries appeared such as textile in Bahrain, copper in Oman and sugar in Ahwaz.